

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 95 - EIGHTH YEAR - FEB. 1985.

العدد (٩٥) ـ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ شباط (فبراير) ١٩٨٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

العدد (٩٥) ـ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ السنة الثامنة ـ شباط (فبراير) ١٩٨٥م.

ISSUE 95 – EIGHTH YEAR – FEB. 1985.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات :

All Correspondence To:

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

EUROPE – AMERICA – ASIA

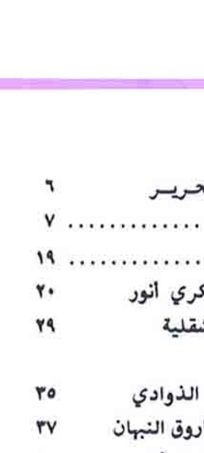
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

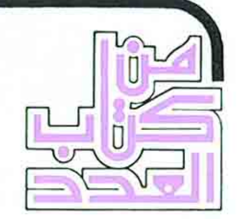
ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠





مقبل عبد العزيز العيسى

★ من مواليد عنيزة بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٤٦ هـ .

★ ليسانس حقوق .

★ يجيد الفرنسية والإنجليزية .

★ عمل في وزارة الخارجية في الحقل الدبلوماسي ، وكان آخر عمل له وزير مفوض ، ثم تقاعد ليتفرّغ للعمل الفكري والأدبي .

★ شارك في بعض المؤتمرات والدورات في الجامعة العربية ، والمجلس الاقتصادي لهيئة الأمم المتحدة ، وحلقات دراسية دبلوماسية في بيروت وجنيف والقاهرة .

★ له ديوان شعر مطبوع ، وله نشاط صحفي ، ودراسات في النقد الأدبي .





د . محمد رجب البيومي

★ من مواليد الدقهلية ـ مصر عام ١٩٢٤ م .

★ دكتوراه في النقد والبلاغة .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

★ عمل مدرّساً بالمدارس الثانوية ، ثم أستاذاً بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

★ يعمل حالياً عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر .

★ شارك في بعض المؤتمرات الأدبية في مصر .

★ له ثلاثون مؤلفاً في البلاغة والأدب والنقد والشعر والمسرحية ، والتاريخ ، والدعوة الإسلامية ، وله مئات المقالات المختلفة الأغراض .

★ حصل على ما يقارب عشر جوائز أدبية وعلمية .







د . عبد الرزاق الحاج عبد الرحيم

★ من مواليد القدس ـ فلسطين عام ١٩٤٩ م ، (أردني الجنسية) .

★ دكتوراه في الأدب والنقد .

★ يجيد اللغة الإنجليزية .

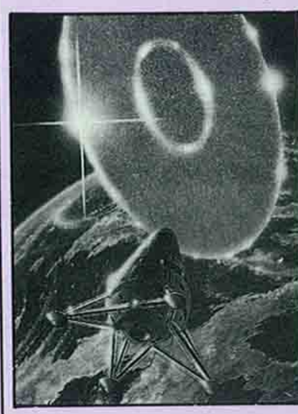


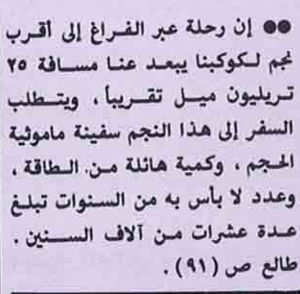
●● «سلطنة بروناي» ـ هذا القادم السعيد إلى عالمنا الإسلامي ـ لم تكن حقاً ضيفاً جديداً، بل هي من أصول العالم الإسلامي، حاولت بريطانيا طيلة نحو مائة سنة إذابة كيانها من خلال عدة محاولات ومشاريع. ولكن «الأخوة الإسلامية» في بروناي كانت تقف في صلابة لإفشال تلك المحاولات والمشاريع. طالع ص (٢٩).



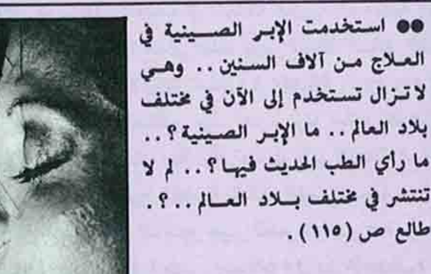
●● لقاء هذا العدد، مع مستشرق معروف بإسهامه البارز في دراسة اللغات الشرقية وحضارتها، ورحلته الطويلة مع التراث العربي بصفة خاصة، نحواً وأدباً. إنه المستشرق الألماني الأستاذ الدكتور «و. فيشر». طالع ص (٥١).

●● إن رحلة عبر الفراغ إلى أقرب نجم لكوكبنا يبعد عنا مسافة ٢٥ تريليون ميل تقريباً، ويتطلب السفر إلى هذا النجم سفينة ماموثية الحجم، وكمية هائلة من الطاقة، وعدد لا بأس به من السنوات تبلغ عدة عشرات من آلاف السنين. طالع ص (٩١).

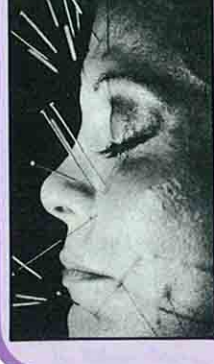


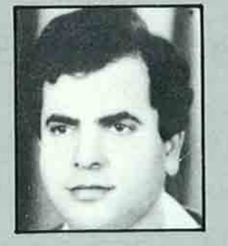


●● تكتسب المضائق المائية الموجودة على الكرة الأرضية، أهميتها من مواقعها الاستراتيجية ومن وجودها على طريق الملاحة الدولية، فهي تقدم المؤونة للأساطيل التجارية والحربية، ويمكنها عند اللزوم، إغلاق الملاحة بأسرها. طالع ص (١٠٤).



●● استخدمت الإبر الصينية في العلاج من آلاف السنين.. وهي لا تزال تستخدم إلى الآن في مختلف بلاد العالم.. ما الإبر الصينية؟.. ما رأي الطب الحديث فيها؟.. لم لا تنتشر في مختلف بلاد العالم..؟. طالع ص (١١٥).





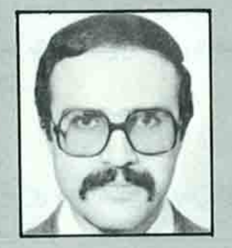
★ يعمل أستاذاً مساعداً بكلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

★ له كتاب تحت الطبع، وله دراسات وأبحاث نشرت في المجلات العربية.



نبيل حسون

★ من مواليد حلب ـ سورية عام ١٩٤٩م.



★ بكالوريوس في الهندسة المدنية.

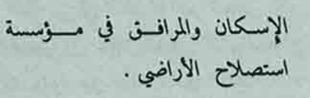
★ يجيد الفرنسية والإنجليزية.

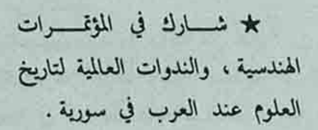
★ عمل مهندساً مدنياً في دراسات وتنفيذ الري والصرف، وفي قسم تصميم ودراسات الإسكان والمرافق.

★ يعمل حالياً مهندساً مدنياً في قسم التصميم ودراسات الإسكان والمرافق في مؤسسة استصلاح الأراضي.

★ شارك في المؤتمرات الهندسية، والندوات العالمية لتاريخ العلوم عند العرب في سورية.

★ عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب.





السراج الحسن محمد

★ من مواليد الناظور ـ المغرب، عام ١٣٦٨م.

★ الإجازة في القانون، خريج المعهد الوطني للدراسات القضائية بالرباط.

★ له إلمام بالإسبانية والفرنسية.



★ عمل في التدريس والقضاء.

★ يعمل حالياً نائب وكيل النيابة بالمحكمة الابتدائية بالناظور.

★ له اهتمام بالخط العربي، وله لوحات لأنواع الخط العربي.

★ له بعض المقالات والقصص التي نشرتها صحف بلاده.







قضية العلاج بالإبر الصينية

ما زالت قضية العلاج بالإبر الصينية تتقاذفها الآراء بين مؤيد ورافض رغم مرور آلاف السنين على استعمالها في منشئها الأصلي «الصين»، وانتشارها حديثاً في بعض بلدان العالم مثل ألمانيا والنمسا حيث يتم تدريسها في بعض الجامعات، ولكن بشكل محدود كما نعلم، وذلك ربما لعدم الإقبال على دراستها من قبل الدارسين نتيجة لمحدودية انتشار العلاج بها بين الجمهور، وتخوف المؤسسات العلمية والطبية من انتشارها وما قد ينتج عن العلاج بها من مضاعفات ربما كان خطرها أكثر من فائدتها.

وقد أثيرت هذه القضية في المملكة العربية السعودية بمناسبة افتتاح أحد الأطباء عيادة خاصة يقوم العلاج فيها على الإبر الصينية قبل عام تقريباً.. وكان لوزارة الصحة موقفها الذي أعلنه وزير الصحة السابق الدكتور غازي القصيبي، وهو موقف المعارض.. فقد أعلن ـ كما أذكر ـ أن العلاج بالإبر الصينية ما زال محدوداً، وأنه لا يؤيد انتشاره في المملكة.. وحجته في ذلك أن العالم ما زال يقف منها موقف الحذر والمعارض، ولو تأكدت فعاليتها أو جدواها لاستغنى العالم عن الأدوية والعقاقير منذ زمن، ولما استمر البحث والعمل في ابتكار الأدوية للأمراض.. أو بما معناه.

ولم تنته القضية عند إعلان أو تصريح وزير الصحة السعودي، بل إن بعض الصحف في المملكة أثارت القضية بصورة لم تتسم بالمتابعة والملاحقة باستضافة الأطباء والمختصين لطرح القضية بشكل علمي موسع.

وقبل شهرين ألقى الدكتور يحيى ناصر خواجي محاضرة في مستشفى القطيف العام عن علاج الوخز بالإبر الصينية.. والدكتور خواجي طبيب سعودي حصل على شهادتي دكتوراه في الطب، إحداهما «في علم الأعصاب»، والثانية «في الوخز بالإبر الصينية»، وهو يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية الطب بجامعة الملك فيصل في مدينة الدمام، وطبيباً في مستشفى الملك فهد الجامعي في مدينة الخبر.

وقد أشار الدكتور خواجي في محاضرته إلى الوخز بالإبر بديلاً للتخدير في العمليات الجراحية من ناحية، وعلاجاً لبعض الأمراض من ناحية أخرى.. كما ذكر أن الطبيب العربي المسلم ابن سينا كان يستعمل ما يشبه الوخز بالإبر في الأذن لعلاج بعض حالات الصداع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور السعودي خواجي يعالج مدمني التدخين عن طريق الوخز بالإبر في عيادة مكافحة التدخين بمركز رعاية الأمومة والطفولة في مدينة الدمام (طالع ما قاله الدكتور خواجي في محاضرته عن الوخز بالإبر ص (١٢٢) من هذا العدد).

وقد دعت وزارة الصحة في الصين الشعبية إلى المؤتمر الدولي الثاني للعلاج بالوخز بالإبر الصينية الذي انعقد في العاصمة «بكين» في الفترة الواقعة ما بين (٧ و ١٠) أغسطس (آب) ١٩٨٤م، حضرته وفود من الأطباء من مختلف أنحاء العالم.

أمام هذا نجد أنفسنا أمام عدد من الأسئلة:

١ ـ لماذا لم ينتشر العلاج بالإبر الصينية رغم ما حققه من نجاح؟.

٢ ـ ما الأسباب التي تدعو إلى الخوف من جهة، والحذر الشديد من جهة أخرى من العلاج بالوخز بالإبر؟.

٣ ـ ما أسباب عدم انتشار تدريسه في كثير من جامعات العالم شرقيها وغربيها؟.

٤ ـ هل يصح القول إن شركات إنتاج الأدوية والعقاقير تقف في وجه العلاج بالوخز وتحاربه لاستمرار أعمالها وتشغيل مصانعها؟.

ولو حاولنا تلخيص موقف فريقي المعارضة والتأييد في قضية العلاج بالإبر الصينية لوجدنا أن كلاً منهما يرى التالي:

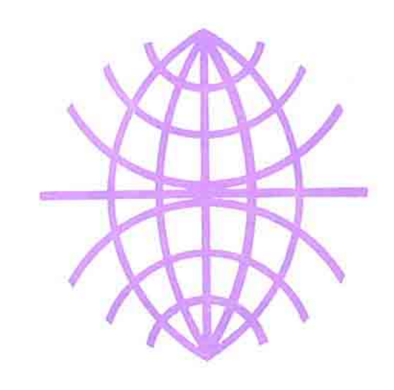
●● الفريق المعارض يرى أن الوخز بالإبر ليس علاجاً للمرض، وإنما هو مجرد مسكِّن أو مخدر للألم لفترة، ثم ما يلبث أن يعود المرض في صورة يصعب علاجه معها أو استحالة علاجه بعد أن يزول مفعول المسكِّن أو التخدير، وهذا ما يجعل العديد من الأطباء والمختصين يتخوفون ويحذرون العلاج بالوخز.. ويؤكدون رأيهم بأن أكبر مؤسسات العالم الطبية ما زالت تنتج الأدوية والعقاقير، وتخترع الجديد منها، وتواصل تطوير ما سبق اختراعه.

●● الفريق المؤيد يرى أن الوخز بالإبر علاج يفضل العلاج بالأدوية والعقاقير التي لا تخلو من مضاعفات استعمالها، وما تسببه من سموم للجسم، إلى جانب أن بعضها قد يقود المريض إلى الإدمان عليها فتفسد عليه حياته.. وهم يرون أن العلاج بالوخز لا يعني إلغاء العلاج بالأدوية والعقاقير والجراحة، ذلك لأن بعض الأمراض لا يمكن علاجها إلا بالأدوية والعقاقير والجراحة، لكن بعضها الآخر يفضل أن يكون علاجها بالوخز دون أية مضاعفات.

فإذا صحت آراء الفريقين، فلماذا لا يدخل العلاج بالوخز كل المستشفيات للحالات المرضية التي يكون فيها العلاج بالوخز أفضل من العلاج بالأدوية والعقاقير الكيميائية؟.

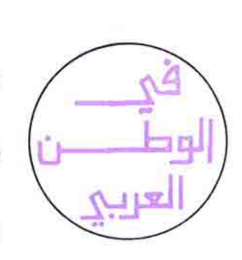
من هذه المنطلقات تنشر مجلة «الفيصل» في هذا العدد دراستين عن قضية علاج الوخز بالإبر، مشاركة منها في إثارة القضية بصورة جدية، وبأسلوب علمي أملاً في تحريك القضية للوصول إلى موقف علمي محدد، تحكمه مصلحة ملايين البشر في العالم.. والله الموفق.





* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية .
- الفائزون بجائزة الألسكو، وجائزة الإبداع العربي، وجائزة الأدب في المغرب .
- بيرزاده .. أميناً عاماً لمنظمة المؤتمر الإسلامي .
- انضمام أعضاء جدد لمجمع اللغة بالقاهرة .
- أخبار عن كتب التراث والندوات والمعارض
- كشف أثري في السعودية .



- قاموس للغة السومرية .
- سنغور يفوز بجائزة نهرو لعام ١٩٨٤ م .
- تيد هيوز ـ شاعر للبلاط الملكي الإنجليزي .
- وفاة الشاعر الإسباني فيسينت ألكسندر .
- كشف أثري في الصين .

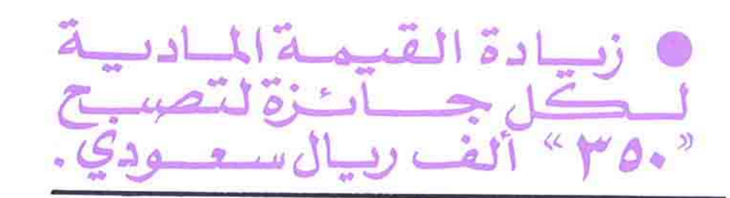




★ الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ★

السعودية :





في يوم الخميس ١٤٠٥/٣/٢٨هـ، الموافق ١٩٨٤/١٢/٢٠م، أعلنت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة (خدمة الإسلام، الدراسات الإسلامية، الأدب العربي، الطب، العلوم) أسماء الفائزين بالجائزة لهذا العام (١٤٠٥هـ)، برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل رئيس مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس الجائزة، ومدير عام مؤسسة الملك فيضل الخيرية التي تنبثق عنها الجائزة.. وقد ألقى قرار الأمانة الدكتور أحمد الضبيب أمين عام الجائزة.. وذلك على النحو التالي :

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام السيد (عبد رب الرسول سياف) (من أفغانستان)** لتميّزه **بتأسيس أول جامعة للحركة الإسلامية في أفغانستان، وإعداده الدعاة والمجاهدين، ووقوفه بكل إيمان وصلابة في وجه التيارات الإلحادية** رغم كل ما لحق به من تعذيب وسجن، ولدوره الفعّال في **قيادة حركة الجهاد الإسلامية في أفغانستان**، وجهوده في **التعريف بقضية أفغانستان** في المحافل الإسلامية، ومطالبته بدعم القضية حماية للحق والعدل والقيم الإنسانية، ودفاعاً عن الشرعية والكرامة والحرية. (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات).

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية** ثلاثة من المرشحين بالتساوي وهم :

★ **الدكتور فاروق أحمد حسن دسوقي (من مصر)** على كتابه «**القضاء والقدر في الإسلام**» (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات).

★ **الدكتور محمد رشاد سالم (من السعودية)** على تحقيق كتاب «**درء تعارض العقل والنقل**» **لابن تيمية**. (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات).

★ **الدكتور مصطفى محمد حلمي سليمان (من مصر)** على كتبه الثلاثة «**منهج علماء السنّة والحديث في أصول الدين**»، و«**قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي من مسائل الألوهية والعالم والإنسان عند شيخ الإسلام ابن تيمية**»، و«**السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية**». (طالع

●● عبد رب الرسول سياف
جائزة خدمة الإسلام

●● د. فاروق دسوقي ،
د. محمد رشاد سالم ،
د. مصطفى محمد حلمي سليمان
جائزة الدراسات الإسلامية

●● ماريو ريزيتو ،
روبرت بالمر بيزلي
جائزة الطب



★ الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله ★

●● حجب جائزتي الأدب العربي، والعلوم هذا العام

ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات) .

●● حصل على **جائزة الملك فيصل العالمية في الطب** مناصفة بين عالمين عملا في مجال التهاب الكبد الفيروسي وهما :

★ **البروفيسور ماريو ريزيتو (من إيطاليا) لاكتشافه للمرة الأولى مولداً للجسم المعتاد أسماه «مولد دلتا» في** خلايا كبد المرضى المصابين بالتهاب الكبد الفيروسي . (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات) .

★ **البروفيسور روبرت بالمر بيزلي (من أمريكا)** أستاذ الوبائيات والطب ومدير بحوث جامعة واشنطن في تايبيه بتايوان ، وذلك **لاكتشافاته المتصلة بمرض الكبد الفيروسي** . (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذه الصفحات) .

هذا ، وقد قررت لجنة الاختيار حجب جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي هذا العام لكون الأعمال المرشحة في موضوع النقد الأدبي عند العرب لا ترقى إلى مستوى الجائزة .

كما قررت اللجنة حجب جائزة الملك فيصل العالمية في العلوم لأن الأعمال المرشحة لها لم يكن في نتائجها ما يفوق المألوف .

وقد قررت لجان الجائزة أن تكون موضوعات الجائزة للعام القادم ١٤٠٦هـ ، على النحو التالي :

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية هو «**الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي**» .

★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي هو «**الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين في تاريخه أو رجاله أو قضاياه أو كتبه**» .



★ موضوع جائزة الملك فيصل العالمية **للطب** البحوث التي تناولت «**مرض السكري**»، وذلك لانتشاره الواسع في شتى أنحاء العالم، علاوة على مضاعفاته الخطيرة.

★ أما موضوع جائزة الملك فيصل العالمية **للعلوم** فقد رأت اللجنة أن يكون الموضوع نفسه الذي تقرر في هذا العام وهو موضوع «**الكيمياء الحيوية**» حتى يتم الحصول على قدر واف من أسماء المرشحين الموهوبين الأفذاذ.

هذا، ولم تحدد لجنة الجائزة موعد الاحتفال السنوي الكبير لتسليم الجوائز للفائزين الذي يشرفه عادة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز الرئيس الأعلى لمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

وقد أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة ومدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية زيادة القيمة المادية لكل جائزة من الفروع الخمسة لجائزة الملك فيصل العالمية لتصبح ثلاثمائة وخمسين ألف ريال سعودي، بعد أن كانت في السابق ثلاثمائة ألف ريال لجائزة خدمة الإسلام، ومائتين وخمسين ألف ريال لكل جائزة من الجوائز الأربع الأخرى.



عبد رب الرسول سياف



● من مواليد أفغانستان، في ١٩٤٥/٤/٩م.

● **المؤهلات العلمية:** (١) الشهادة الابتدائية: مدرسة بغمان في ضواحي كابل. (٢) الشهادة المتوسطة: مدرسة ابن سينا ـ كابل. (٣) الشهادة الثانوية: مدرسة أبي حنيفة في كابل عام ١٩٦٢م، وترتيبه الأول. (٤) الجامعية: بكالوريوس تربية ـ كلية الشريعة جامعة كابل عام ١٩٦٧م، وكان ترتيبه الأول. (٥) الماجستير: قسم الحديث كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بعنوان: «الوضع في السنَّة وجهود العلماء في مقاومته».

● **النشاط العلمي:** عمل قبل الماجستير مدرّساً في كلية الشريعة ـ جامعة كابل، حيث كان يدرّس مواد الحديث والمواريث واللغة.

بعد الماجستير، أستاذاً لمادة الحديث في كلية الشريعة ومادة النصوص الدينية في كلية الإدارة ـ جامعة كابل.

● **النشاط الجهادي:**

★ عام ١٩٦٣م، أسس مع زملاء له أول جماعة للحركة الإسلامية في أفغانستان.

وخلال فترة دراسته الجامعية شارك في إعداد الدعاة والمجاهدين في تحريك الفكر الإسلامي حيث كان من العناصر الإسلامية النشطة في الجامعة.

★ وبعد انقلاب داود عام ١٩٧٣م، بدأ العمل مع إخوانه ضد الشيوعية وعلى طرد الشيوعيين من الحكم.

★ قبض عليه عام ١٩٧٤م، وأودع السجن حيث قضى فيه ٦ سنوات وأطلق سراحه عام ١٩٨٠م، نتيجة اشتباه في الأسماء، حيث كان يعتقد أنه كان تم إعدامه قبل ذلك وأن هذا السجين هو شخص آخر.

★ غادر البلاد إلى بيشاور بباكستان، والتحق بالمجاهدين حيث تم تشكيل الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان وتم اختياره رئيساً له.

★ استمر في رئاسة الاتحاد حتى عام ١٩٨٢م، حيث أعيد دمج مختلف المنظمات الإسلامية التي تعمل في ميدان الجهاد وأعلن عن إنشاء الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وتم اختياره رئيساً له وما يزال حتى الآن.

● **المؤتمرات:**

★ ترأس وفد المجاهدين الأفغان إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في إسلام آباد عام ١٩٨٠م.

★ ترأس وفد المجاهدين الأفغان إلى مؤتمر القمة في الطائف عام ١٩٨١م، وألقى فيه خطابه الشهير.

★ ترأس وفد المجاهدين الأفغان إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بالنيجر عام ١٩٨٢م.

د . فاروق أحمد حسن دسوقي



● من مواليد الإسكندرية ـ جمهورية مصر العربية ، في ١٠/٢/١٩٣٨م .

● **المؤهلات :** ليسانس الآداب ـ جامعة الإسكندرية ، عام ١٩٥٩م ـ قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ـ ماجستير في الآداب ـ فلسفة إسلامية بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع وتبادل الرسائل ـ دكتوراه في العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م ، مع مرتبة الشرف الأولى .

● **الخبرات العملية :** أخصائي اجتماعي ونفسي اعتباراً من ١٩٥٩م ، إلى ١٩٧٤م ـ محاضر بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود اعتباراً من ١٣٩٤هـ ، إلى ١٣٩٨هـ ـ أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية اعتباراً من ١٣٩٨هـ ، إلى الآن .

● **المؤلفات المنشورة :**

(١) القضاء والقدر في الإسلام ، الجزء الأول في القرآن الكريم والسنَّة ـ الجزء الثاني بين السلف والمتكلمين ـ الجزء الثالث عن المتفلسفة في الحضارة الإسلامية .

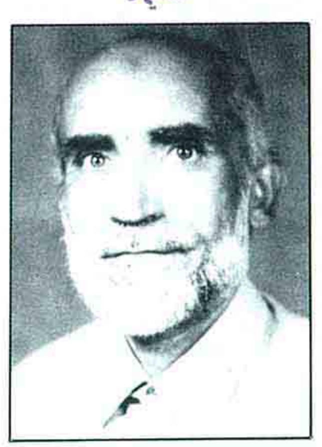
(٢) محاضرات في العقيدة الإسلامية .

(٣) استخلاف الإنسان في الأرض .

(٤) الإنسان والشيطان .

(٥) مقومات المجتمع المسلم .

د . مصطفى محمد حلمي سليمان



● من مواليد ١٠/١١/١٩٣٢م ، في مصر .

● **الحالة العلمية :** حاصل على ليسانس الآداب (قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية) من جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٠م ، بدرجة جيد ـ الماجستير في الآداب من الجامعة نفسها والقسم عام ١٩٦٧م ، بدرجة ممتاز ـ الدكتوراه في الآداب من الجامعة نفسها والقسم عام ١٩٧١م ، بمرتبة الشرف الأولى ـ شغل وظيفة مدرّس بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة اعتباراً من ١٧/٥/١٩٧٢م ـ أعير للتدريس بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية في المدة من ٦/١١/١٩٧٥م ، إلى ٢٠/٢/١٩٨٠م ـ عُيِّن أستاذاً مساعداً بتاريخ ٢/٥/١٩٧٩م ، بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ عُيِّن قائماً بأعمال رئاسة قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم في ١/٩/١٩٨٢م ، وما زال .

● **المؤلفات :**

(١) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ـ دار الأنصار بالقاهرة .

(٢) المشكلات التي تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها ـ دار الأنصار بالقاهرة .

(٣) قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ـ دار الأنصار بالقاهرة .

(٤) ابن تيمية والتصوف ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٥) الزهاد الأوائل ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٦) التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٧) منهج علماء الحديث والسنَّة في أصول الدين (علم الكلام) ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٨) السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٩) مناهج البحث في العلوم الإسلامية ـ دار الزهراء بالقاهرة .

● **دراسة وتحقيق :**

(١) غياث الأمم في التياث الظلم للجويني بالاشتراك مع د . فؤاد عبد المنعم ـ دار الدعوة بالإسكندرية .

(٢) النظريات السياسية والاجتماعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف المستشرق الفرنسي هنري لاووست ، وترجمة الأستاذ محمد عبد العظيم ـ دار الأنصار (جزءان) .



كشف أثري

تم العثور من قبل لجنة التنقيب على الآثار على قرية أثرية، وذلك في منطقة (بريمان) بشرق جدة، وقد تم تصنيفها على أنها من أكبر المواقع الأثرية في العالم التي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد في العصر الحجري. هذا وقد تم تحديد العمر الزمني للقرية بناء على الأدوات الحجرية والنقوش والكتابات الصخرية التي استخدمت في ذلك العصر الذي كان فيه الحجر هو عصب الحياة.

هذا ولا تزال الدراسات مستمرة حول هذه القرية ومحتوياتها من الآثار.

معرض للكتاب العربي

أقيم في مدينة (حائل) معرض للكتاب العربي تحت إشراف وتنظيم إدارة التعليم بالمنطقة وذلك خلال الفترة من ٣/٣٠ إلى ١٤٠٥/٤/١٣هـ.

اشترك فيه عدد من الناشرين، وعرضت فيه عدة عناوين زادت على ١٤ ألف عنوان شاملة لمختلف التخصصات وسائر العلوم.

بيرزاده أميناً لمنظمة المؤتمر الإسلامي

أختير السيد شريف الدين بيرزاده وزير العدل الباكستاني ليكون «أميناً عاماً لمنظمة المؤتمر

د. محمد رشاد بن محمد رفيق سالم



● من مواليد القاهرة في مصر ١٣٤٧هـ، (١٤ مايو (أيار) سنة ١٩٢٧م).

● الدراسة: تلقّى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس القاهرة، ثم التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل على الليسانس عام ١٣٧٠هـ، (١٩٥٠م)، ثم التحق بالدراسات العليا بنفس الكلية، وسجل رسالة الماجستير تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى حلمي ـ رحمه الله ـ ولكن اضطرته الظروف إلى ترك مصر والإقامة في سورية مدة عام شغل فيها بدراسة مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق واستطاع أن ينسخ ويصور عدداً كبيراً من مخطوطات شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم سافر إلى إنجلترا حيث التحق بجامعة كمبردج واستطاع الحصول على الدكتوراه عام ١٣٧٩هـ، (٥ مارس (آذار) عام ١٩٥٩م)، وكان عنوان الرسالة «موافقة العقل للشرع عند ابن تيمية The Agreement of Reason and Revelation in Ibn Taimiya»، وكانت تحت إشراف الأستاذ آربري «الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية».

● وجاء في تقرير الأستاذ المشرف عن طالبه بعد نجاحه: «إن الممتحنين أبديا أعظم الإعجاب بالرسالة وأوصيا بضرورة نشرها وطبعها، وقد سلك الدكتور سالم مسلكاً مثالياً أثناء دراسته، وإنني واثق أنه سوف يسهم إسهاماً عظيماً في مجالي الثقافة والتعليم في بلاده».

● الخبرات العملية:

★ عيِّن مدرّساً (أستاذاً مساعداً) بكلية البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٣٧٩هـ، (١٩٥٩م)، وكان قائماً في ذلك الوقت بأعمال رئاسة القسم.

★ ثم عيِّن عام ١٣٨٧هـ، (١٩٦٧م)، أستاذاً مساعداً «أستاذاً مشاركاً»، ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية وعضواً بمجلس كلية البنات بجامعة عين شمس.

★ وفي عام ١٣٩١هـ، (١٩٧١م)، أعير للتدريس في جامعة الرياض «الملك سعود» بالمملكة العربية السعودية، واستطاع تأسيس قسم الثقافة الإسلامية، وكان أول رئيس له، كما عمل عضواً في مجلس كلية التربية بجامعة الرياض حتى عام ١٣٩٦هـ، (١٩٧٦م).

★ وفي عام ١٣٩٦هـ، (١٩٧٦م)، حصل على الجنسية السعودية وانتقل للعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حيث عيِّن أستاذاً بكلية أصول الدين في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وما زال يعمل فيه إلى الوقت الحاضر.

● الجوائز: حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة الإسلامية من المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة عام ١٣٩١هـ، (١٩٧١م)، وعلى وسام العلوم والآداب والفنون في السنة نفسها.

● المؤلفات: في مجال التأليف:

(١) كتاب المدخل إلى الثقافة الإسلامية، طبع عام ١٣٩٤هـ، وأعيد طبعه ست مرات بدار القلم بالكويت.

(٢) كتاب المقارنة بين الغزالي وابن تيمية، طبع بدار القلم بالكويت عام ١٣٩٥هـ، وكان موضوع محاضرة ألقيت في جامعة الرياض عام ١٣٩٢هـ.

الإسلامي » خلفاً للسيد حبيب الشطي ، وذلك اعتباراً من بداية السنة الميلادية الجديدة .

هذا وقد تم الاختيار أثناء اجتماعات صنعاء لوزراء الخارجية في الدول الإسلامية خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ .

وقد كان السيد بيرزاده وزيراً للعدل الباكستاني طوال فترات حكم ثلاثة من الرؤساء الباكستانيين ، كما تولى منصب وزير خارجية باكستان خلال الفترة من ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ م ، ورأس وفد باكستان في مؤتمر قمة الكومنولث عام ١٩٦٦ م ، ومؤتمر قانون البحار عامي ١٩٧٨ م ، و ١٩٨٢ م ، ولهذا فهو يتميز بسعة اطلاع وخبرة بالقوانين والنظم الدولية ، وهو حاصل على شهادة المحاماة من جامعة (النكولنزان) .

نادي أبها الأدبي

حقق نادي أبها الأدبي المركز الأول على مستوى أندية المملكة الأدبية وذلك في النشاطات الثقافية والأداء المتواصل ، والمطبوعات المختلفة .

جاء ذلك بعد أن لمست الرئاسة العامة لرعاية الشباب تلك الجهود التي يبذلها المسؤولون في النادي من خدمة للأدب والثقافة في ذلك الجزء الغالي من الوطن خاصة والوطن عامة . . وقد تلقى النادي خطاب شكر وتقدير من سمو أمير الرئاسة .

تونس :

جائزة الألسكو للمسعدي وزكي نجيب محمود

منحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جائزتها التقديرية للثقافة العربية (جائزة الألسكو) ، **التي تتكون من شهادة تقديرية ، وميدالية ذهبية ، و (١٥) ألف دولار إلى كل من :**

في مجال التحقيق :

(١) تحقيق الجزء الأول من كتاب « منهاج السنّة النبوية » لابن تيمية ، طبعة دار العروبة بالقاهرة عام ١٣٨٢ هـ ، (١٩٦٢ م) .

(٢) تحقيق الجزء الثاني من نفس الكتاب ، في المطبعة نفسها عام ١٣٨٤ هـ ، (١٩٦٤ م) .

(٣) تحقيق المجموعة الأولى من كتاب جامع الرسائل لابن تيمية ، وهي عبارة عن ١٦ رسالة لم يسبق نشرها ـ فيما عدا رسالة واحدة نشرت أثناء طبع هذه المجموعة ـ وطبعت هذه المجموعة بمطبعة المدني بالقاهرة عام ١٣٨٩ هـ ، (١٩٦٩ م) .

(٤) تحقيق الجزء الأول من كتاب « الصفدية » لابن تيمية في مطبعة حنيفة بالرياض عام ١٣٩٦ هـ ، (١٩٧٦ م) ، وهو كتاب لم يسبق نشره ، وطبع على نفقة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وتحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٥) تحقيق كتاب « درء تعارض العقل والنقل » لابن تيمية ، وقد تم تحقيق الجزء الأول في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية عام ١٣٩١ هـ ، (١٩٧١ م) . . ثم أعيد نشره وتحقيق باقي أجزاء الكتاب في مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد صدر الكتاب في عشرة أجزاء وجزء حادي عشر للفهارس العامة للكتاب وذلك بين عامي ١٣٩٩ هـ ، (١٩٧٩ م) ، ١٤٠٣ هـ ، (١٩٨٣ م) ، وبذلك تم طبع الكتاب كاملاً بعد أن نشر ما يساوي ربعه تقريباً من قبل في المطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣٢٢ هـ ، بعنوان « موافقة صريح المعقول لصحيح النقول » ونشر على هامش الكتاب منهاج السنّة النبوية ، وقد طبع الكتاب عن حوالي ١٤ مخطوطة جمعت من بلدان متفرقة في العالم .

(٦) تحقيق كتاب الاستقامة لابن تيمية ، وهو كتاب لم ينشر من قبل ، وصدر في جزءين وطبع بمطبعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عامي ١٤٠٣ هـ ، ١٤٠٤ هـ .

(٧) تحقيق رسالة « مسألة فيما إذا كان في العبد محبة » وهي رسالة لم يسبق نشرها ، لابن تيمية ، وطبعت ضمن كتاب « دراسات عربية وإسلامية » ، وتم الطبع في القاهرة عام ١٤٠٣ هـ ، (١٩٨٣ م) .

(٨) وفي المطبعة الآن المجموعة الثانية من « جامع الرسائل » لابن تيمية وتتضمن ثلاث رسائل منها رسالة كبيرة لم يسبق نشرها عنوانها « قاعدة في المحبة » .

هذا وفي النية بإذن الله طبع الجزء الثاني من كتاب « الصفدية » لابن تيمية وهو معد للنشر منذ زمن طويل ولكن حالت ظروفه دون طبعه . . كما أن في النية ترجمة رسالة الدكتوراه إلى العربية ، ونشرها في فرصة قريبة بإذن الله مع إضافة جزء إليها .

● **المؤتمرات :** شارك في مؤتمر « رسالة الجامعة » الذي عقد بجامعة الرياض « الملك سعود » عام ١٣٩٤ هـ .

● **أعمال أخرى :**

★ أشرف على رسائل كثيرة للماجستير والدكتوراه في القاهرة والرياض واشترك في مناقشة العديد من الرسائل .

★ ألقى محاضرات على طريق الندب في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

★ أشرف على النشاط الثقافي لقسم الثقافة الإسلامية وعلى بعثة الحج لجامعة الرياض أكثر من مرة .

★ شارك في أعمال مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بالقاهرة .



★ **محمـــود المســـعدي** ـ رئيس مجلس النواب التونسي .

★ **والـدكتور زكي نجيـب محمـود** ـ الكاتب المعروف .

وذلك تقديراً لإسهامهما في إثراء الثقافة العربية وإغناء الفكر العربي بالعديد من الأعمال والمؤلفات التي صدرت عنهما خلال مسيرة نصف قرن من العطاء .

والجدير بالذكر أن الأستاذ محمـود المسعدي من مواليد تونس عام ١٩١١ م ، وحائز على إجازات في اللغة والأدب والحضارة العربية ، وقد تولى العديد من الوظائف الجامعية والمهام السياسية والحكومية ، كما تولى منصب رئيس تحرير عدة مجلات فكرية وثقافية ، وتولى رئاسة الجامعة القومية ، وأصبح وزيراً للتعليم من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨ م ، له كتب في مجالات مختلفة ، فضلاً عن أنه عضو في عدة مجالس وهيئات ولجان عربية ودولية من بينها اليونسكو .

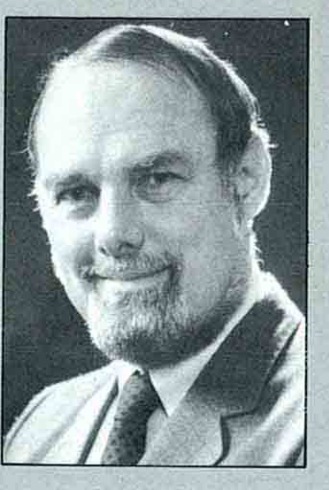
أما الدكتور زكي نجيب محمود فهو من مواليد عام ١٩٠٥ م ، في إحدى قرى محافظة دمياط ، وقد حصل على شهادات من مصر وأمريكا حيث درس في جامعات البلدين ، وقد شغل عدة مهام جامعية وأدبية ، له مؤلفات في الفلسفة والفكر والثقافة ، كما أن له كتابات أدبية ، ومترجمات في الفلسفة ، وشارك في إعداد موسوعات ومعاجم متعددة . من بين مؤلفاته :

بروفيسور ماريو ريزيتو



- يبلغ من العمر تسعاً وثلاثين عاماً .
- أخصائي أمراض الجهاز الهضمي في مدينة تورين بإيطاليا .
- اكتشف في عام ١٩٧٧ م ، للمرة الأولى مولداً للجسم المضاد أسماه « مولد دلتا » يوجد في خلايا كبد المرضى المصابين بالتهاب الكبد الفيروسي . وأوضح أن هذا المولد يصاحب على الدوام (فيروس ب) المسبب لالتهاب الكبد ، ويوجد دائماً في أمصال المرضى المصابين بهذا الداء . وقد أوضحت الدراسات السريرية (الإكلينيكية) عند استخدام وسائل اختبارات ذات حساسية عالية ، أن وجود مولد دلتا قد يزيد من ضرر إصابات الكبد الفيروسي المزمن علاوة على أنه قد يؤدي إلى انتشار التهاب الكبد الحاد بصفة وبائية .
- أوضح أن الإصابة بمولد دلتا توجد بنسبة عالية في كثير من أنحاء العالم . كما اكتشف الأجزاء المكونة لجسم دلتا وارتباط هذا الجسم بالمولد السطحي (لفيروس ب) . ولهذا فإن مولد دلتا يعتبر نوعاً جديداً من الفيروسات واكتشافه أدى إلى دراسات هامة في مجال التهاب الكبد الفيروسي والأمراض الفيروسية الأخرى .
- باكتشافه وتحديده لخواص مولد دلتا قد مهد الطريق لإنتاج لقاح ضد التهاب الكبد الفيروسي الخطير .

بروفيسور روبرت بالمر بيزلي



- يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاما .
- أستاذ الوبائيات والطب ومدير وحدة أبحاث جامعة واشنطن في تايبيه بتايوان .
- كان لديه إحساس قوي وقناعة تامة بأن التهاب الكبد الفيروسي يعتبر من أهم المشاكل الصحية الرئيسية في العالم التي لم تجد لها البحوث العلمية حلاً في ذلك الوقت فبدأ دراساته التي أدت إلى اكتشافين رئيسيين : أولهما أن الإصابة بمرض الكبد الفيروسي تنتقل من الأمهات اللائي يحملن هذا الفيروس بصفة مزمنة إلى أطفالهن أثناء الولادة ، وأن هذه الإصابة في كثير من بلدان العالم قد تصل إلى أكثر من ٩٠ في المائة .
- أثبت بروفيسور بيزلي ومعاونوه أن تطعيم أطفال الأمهات الحاملات للفيروس بالبروتين المناعي عند الولادة يقلل كثيراً من إصابتهم بهذا المرض ، وبالتالي فإن هذه النتائج أدت إلى تغيير الأساليب المتبعة للوقاية من التهاب الكبد الفيروسي .
- كان اكتشافه الثاني هو أن حاملي فيروس التهاب الكبد أكثر تعرضاً للإصابة بسرطان الكبد . ولقد بدأ ومعاونوه دراسة علمية منذ عام ١٩٧٤ م ، على ثلاثة وعشرين ألفاً من الأشخاص الحاملين لفيروس التهاب الكبد بصفة مزمنة مستعملاً في ذلك فحوصات مخبرية ذات حساسية عالية لاكتشاف سرطان الكبد الخلوي الأولي في أطواره الأولى حتى يتسنى علاجه قبل أن يستفحل انتشاره ويصعب إزالته جراحياً .
- وبما أن أكثر من ٤٠ في المائة من حاملي فيروس التهاب الكبد بصفة مزمنة يتعرضون لخطر الإصابة والموت من سرطان الكبد فإن هذه الدراسة سوف تثبت جدوى الوقاية من مضاعفات التهاب الكبد الفيروسي ، وإنقاذ حياة الكثيرين باستعمال التطعيم الواقي ضد هذا الداء .

★ « المنطق الوضعي » .

★ « الشرق الفنان » .

★ « نحو فلسفة علمية » .

★ « قشور ولباب » .

★ « المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري » .

★ « ثقافتنا في مواجهة العصر » .

إلى غير ذلك من المؤلفات .

وتجدر الإشارة أن الجائزة قد سلمت في حفل خلال شهر ربيع الأول الماضي .

جائزة الإبداع العربي

منحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جائزة الإبداع العربي لكل من :

★ **الدكتورة « رشا حمود الجابر » من دولة الكويت** ، في المقالة الصحفية .

★ **الأستاذ « عبد الله جفري » من المملكة العربية السعودية** ، عن كتابه **« حوار في الحزن الدافئ »** . (طالع التفاصيل في مكان آخر من هذه الصفحات) .

★ **« صالح الحاجة » من تونس** ، وذلك عن كتابه **« سنة أولى بطاقة »** .

وقد جاء هذا التكريم لهؤلاء الكتّاب أثناء الحفل الذي أقيم بمناسبة منح المنظمة جائزتها التقديرية لكل من المسعدي والدكتور زكي نجيب محمود ، وذلك تقديراً لإسهاماتهم المتعددة .

مصـــر

أعضاء جدد في مجمع الخالدين

انضم لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمسمى « **بمجمع الخالدين** » ـ وهو من أقدم المجامع في وطننا العربي ـ **أعضاء جدد** هم :

★ **الدكتور حسين مؤنس** المؤرخ ، والمدير السابق للمعهد المصري للدراسات الإسلامية .

★ **الدكتور محمود علي مكي** رئيس قسم اللغة الإسبانية ، وأستاذ الأدب العربي والأندلسي في جامعة القاهرة .

★ **الدكتور كمال بشر** أستاذ علم الصوتيات ، وعميد كلية دار العلوم سابقاً .

★ **الدكتور عبد العظيم حفني صابر** العميد السابق لكلية الصيدلة في جامعة القاهرة .

تاريخ الطب

عقد في القاهرة المؤتمر الدولي التاسع والعشرين « لتاريخ الطب » الذي نظمته **الجمعية المصرية لتاريخ الطب** بالتعاون مع **الجمعية الدولية لتاريخ الطب في (باريس)** .

هذا وقد نوقشت في المؤتمر الذي حضره العديد من المهتمين عدة موضوعات تدور حول :

★ « تاريخ الطب في العصور القديمة وحتى القرن الثالث الميلادي » .

★ « الطب في العصر الإسلامي » .

★ « تأثير الشرق على الغرب في المجال الطبي وتاريخه » .

الجفري .. وجائزة الإبداع العربي



حصل الأديب والقاص الروائي السعودي الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجفري على جائزة الإبداع العربي من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية .. أعلن ذلك الدكتور محيي الدين صابر مدير عام المنظمة في تونس .

ويأتي حصول الأستاذ الجفري على هذه الجائزة تقديراً للملامات الإبداعية البارزة التي تميزت بها كتاباته ، والتي جسدها كتابه «حوار في الحزن الدافئ» .

وكتابات الجفري تمثل نسيجاً جديداً يتميز بالاستقلالية والإبهار الشاعري في اختياره للمفردات ، وتراكيب الجمل بما يؤكد قدرة اللغة العربية المطواعة على التطور والتألق والإشراق حين تجد الكاتب الفنان القادر على التعامل معها بذكاء لمد جسور جديدة من الصلات بين «الموصل» وبين «المتلقي» .

ويعد الأستاذ الجفري من أبرز أدباء المملكة العربية السعودية الممثل لجيل الوسط .. وقد تأثر بكتاباته عدد من الأدباء والأديبات الشبان .

والأستاذ الجفري من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٥٨ هـ .. حاصل على شهادة الثانوية العامة .. وقد صدرت له أول مجموعة قصصية بعنوان «حياة جائعة» ، والمجموعة الثانية بعنوان «الجدار الآخر» .. ثم توالت أعماله فأصدر كتاب «لحظات» عبارة عن قطع نثرية وجدانية تتشح بالشاعرية الشفافة وتنزع إلى الرومانسية .

كما صدرت له رواية «جزء من حلم» ، ومجموعة قصصية ثالثة بعنوان «الظمأ» ، وكتاب «نبض» ، وكتاب «حوار وصدى» . وله رواية مخطوطة بعنوان «ذلك الشئ» .

وقد عرفته الصحافة السعودية مذ كان طالباً في بدايات دراسته .. كما عرفته الصحافة العربية من خلال قصصه وموضوعاته الشيقة الموفقة المورقة .. وله زاوية يومية في جريدة «الشرق الأوسط» بعنوان «ظلال» .

وقد احتفى الوسط الأدبي في المملكة بالأستاذ الجفري بمناسبة حصوله على هذه الجائزة ، وأقيمت الأمسيات الأدبية التي حضرها عدد كبير من أدباء المملكة والوطن العربي وأصدقاء المحتفى به .

و «الفيصل» يسعدها أن تقدم تهنئتها الصادقة ـ وهو أحد كتّابها ـ على هذه الجائزة التي يستحقها عن جدارة أملاً في حصوله على جوائز أخرى اعترافاً بدوره في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .



مهرجان للقصة والرواية

أقيم مهرجان كبير للقصة والرواية في أسوان، حيث دعي له أدباء من مصر يمثلون مختلف المحافظات لإلقاء بعض نماذج من قصصهم، كما عرضت في المهرجان عدة دراسات نقدية للاتجاهات الجديدة في الرواية.

الجدير بالذكر أن المهرجان قد عقد يوم ١٧ من شهر ربيع الآخر الموافق الثامن من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ م، ويأتي ضمن الاحتفال الذي أقامته أسوان بمناسبة العيد القومي والذي شمل أيضاً بعض العروض للفنون الشعبية المصرية والموسيقى العسكرية، وغيرها من الفنون.

العراق

ندوة حول الأسير في التاريخ الإسلامي

عقدت في بغداد ندوة خاصة حول **«الأسير في التاريخ الإسلامي»**، وذلك تحت إشراف وتنظيم الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بمقرها ببغداد وذلك خلال شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ م.

حيث ناقش عدد من الباحثين في مختلف الحقول العلمية والإنسانية موضوع الأسير من جميع جوانبه وذلك من خلال البحوث والدراسات التي قدمت للندوة.

الأردن

مؤسس باكستان

أقام **المركز الثقافي الإسلامي بالجامعة الأردنية** ندوة خلال شهر ربيع الثاني حول **«حياة مؤسس دولة باكستان السيد محمد علي جناح»**.

تحدث في الندوة **الدكتور عبد العزيز الخياط** عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، **والعميد أكرم زعيتر** رئيس اللجنة الملكية لشؤون القدس، **والدكتور سعد أبو دية** أستاذ مادة العلوم السياسية بجامعة اليرموك، والسيد **إحسان رشيد** سفير باكستان في الأردن.. وقد حضر الندوة العديد من المهتمين.

المغرب

جائزة المغرب في الأدب

فاز الباحث المغربي (محمد بن تاويت) بجائزة المغرب في الأدب لسنة ١٩٨٤ م، وذلك عن كتابه **«الوافي في الأدب العربي بالمغرب الأقصى»**، الذي يقع في ثلاثة أجزاء.

والباحث أستاذ في كلية آداب بالرباط وفاس، وهو متخصص في الأدب المغربي وفي اللغات الشرقية، وله عدة مؤلفات في اللغة والأدب والتاريخ والنقد، وله عدة ترجمات من الفارسية والتركية إلى العربية. والجدير بالذكر أن الأستاذ ابن تاويت هو من خريجي كلية آداب جامعة القاهرة في الثلاثينات، وتابع دراساته العليا في معهد اللغات الشرقية بالقاهرة ولندن ومدريد، ومارس الكتابة الأدبية والتاريخية زهاء أربعين عاماً، ويعد من روّاد النهضة الأدبية في المغرب خاصة، والمغرب العربي عامة.

وتجدر الإشارة إلى أن **الأستاذ الفائز بالجائزة، هو غير المرحوم محمد بن تاويت**، صاحب التأليف الخاص عن ابن خلدون المطبوع في مصر في الثلاثينات، حيث قد توفي منذ سنوات في أنقرة عندما كان يعمل أستاذاً للأدب العربي بجامعتها.

* *

الحركة الثقافية في العالم

أمريكا

قاموس للغة السومرية

صدر في الأسواق الأمريكية أول قاموس في العصر الحديث للغة السومرية.

والجدير بالذكر أن اللغة السومرية لم تستعمل منذ أربعة آلاف عام، ظهرت حضارتها في العراق فيما بين النهرين منذ خمسة آلاف عام قبل الميلاد، ويرجع إلى السومريين الفضل في اختراع نظام **الكتابة بالخط المسماري** الذي يلائم الألواح التي صنعوها من الطين، وهم أول من سنَّ قانوناً مدنياً مكتوباً، وما زالت طريقتهم الستينية في العد مستعملة في تقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة.

أسبانيا

وفاة الشاعر ألكسندر

توفي في مدريد الشاعر الإسباني **«فيسينت ألكسندر»** عن عمر ناهز الثامنة والستين عاماً، وذلك على إثر إصابته بمرض.

والشاعر فيسينت يعد أحد روّاد جيل الشعراء الإسبان الذين لم تشهد إسبانيا مثلهم منذ قرون مضت.

نشر أول كتاب يضم أشعاره عام ١٩٢٨ م، بعنوان «ليتورال»، أما عن أشعاره فقد تناولت سر الحياة والحب والموت واللاشعور، حصل على **جائزة نوبل** للأدب عام ١٩٧٧ م، وكان عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية، واكتسب شهرة عالمية.

بريطانيا

شاعر البلاط الملكي

فاز الشاعر «تيد هيوز» من بين قائمة

طويلة ضمت عدداً من الشعراء الإنجليز بلقب **« شاعر البلاط الملكي »**، وهو شاعر في الرابعة والخمسين من عمره، ويعتبر بهذه السن من أصغر الشعراء الذين تولوا هذا المنصب منذ استحداثه من قرون خلت والذي يتم منحه من جانب الملك أو الملكة بناء على توصية مقدمة من الحكومة البريطانية، حيث شغله من قبل الشاعر الإنجليزي **تينيسون** وله من العمر إحدى وأربعين سنة.

والجدير بالذكر أن هذا الشاعر « هيوز » قد جاء خلفاً للشاعر **« بيتجيهان »** الذي توفي في صيف العام الماضي حيث ترك المنصب خالياً حتى شغل بـ « هيوز ».

وتيد هيوز يعد من الشعراء المبدعين ولذلك فقد اختير لهذا المنصب الفخري الذي يبلغ مرتبه (٩٧) جنيهاً إسترلينياً سنوياً فقط.

الهند :

سينغور وجائزة نهرو

حصل الشاعر العالمي والرئيس السنغالي السابق **« ليوبولد سيدار سينغور »** على **جائزة جواهر لآل نهرو لعام ١٩٨٤ م**، للتفاهم العالمي، وتبلغ قيمتها حوالي (٢٠) ألف دولار.

وليوبولد سينغور فيلسوف وأديب إفريقي، حكم السنغال من عام ١٩٦٠م، إلى ١٩٨٠م، عندما قدَّم استقالته للتفرغ للأدب، وهو الآن رئيساً لجمعيات المؤلفين، وقد أشارت إلى ذلك مجلة **« الفيصل »** في عددها رقم (٩٤).

الصين :

اكتشاف كهف أثري

اكتشف علماء الآثار الصينيين كهفاً أثرياً بالقرب من (لاسا) عاصمة إقليم التبت الجبلي، حيث وجدوا بداخله آثاراً دلت على أن الإنسان قد عاش في تلك المنطقة منذ (٣٠٠٠) سنة، ويلقي هذا الكشف الضوء على التاريخ القديم وثقافة التبت.

وقد عثروا بداخله عقب عمليات حفر وتنقيب دامت شهراً على أدوات حجرية وأخرى من العظم، بالإضافة إلى قطع من الفخار وسكاكين ومعاول وإبرة من العظم.

ومما يذكر أن هذا الاكتشاف قد غيَّر المفاهيم السائدة حديثاً حول تاريخ التبت. إذ إن من المتعارف عليه أن تاريخها يعود إلى (١٣٠٠) سنة، والآن بعد هذا الكشف فقد قفز الرقم من ١٣٠٠ إلى ٣٠٠٠ سنة.

كندا :

الإسلام والسبق لعلم الأجنة

انطلق صوت من بلد يدين بالكفر مشيداً بالإسلام وسبقه للعلوم التي يحاول علماء العصر الحديث في البلدان المتقدمة جداً إثباتها.

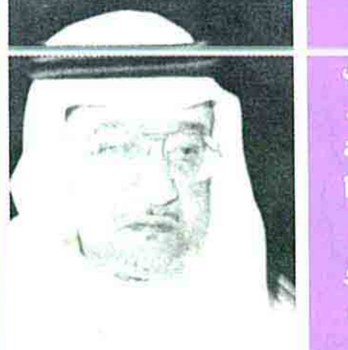
ذلك **هو الدكتور (كيث مور) وهو أستاذ متخصص في علم الأجنة بجامعة تورنتو الكندية**، إذ أبدى دهشته إزاء التصوير الدقيق الذي وصف به القرآن الكريم مراحل تطور الجنين منذ ألف وأربعمائة عام، وهو العلم الذي ما زال العلماء في تلك البلدان حائرين فيه لأنهم لم يطلعوا على أعظم كتاب لدى المسلمين وهو **« القرآن الكريم »**.

فعندما اطلع ذلك العالم أصابه الشعور بالدهشة لقاء علم قد جاء في القرآن الكريم منذ زمن ليس بالقصير، ولم يأت في غيره، إذ حاول هذا العالم أن يجده في الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل فلم يجده إلا في القرآن الكريم.

ولذلك فقد كتب كتابين عن **(علم الأجنة)**، كما درس ترجمة معاني الآيات القرآنية التي تناولت تطور الجنين البشري، وقال إنه وجدها تقدم تصوراً حياً ودقيقاً للغاية جعله يشعر بالدهشة.

والجدير بالذكر أن (مور) قد قام بدراساته هذه في **جامعة الملك عبد العزيز بجدة**، كما درس الأحاديث النبوية المتعلقة بهذا الموضوع (علم الأجنة) وقال: إن آيات القرآن الكريم إلى جانب بعض الأحاديث النبوية الشريفة تسهم في تقريب الفجوة بين العلم والدين التي ظلت قائمة طوال سنوات عديدة.

وسام باريس للشاعر عبد الله الفيصل



في حفل كبير حضره رجالات الفكر والأدب والمجتمع في مدينة الشعر والعلم والفن « باريس »، قدم « جاك شيراك » عمدة باريس، وسام مدينة باريس للشاعر الأمير عبد الله الفيصل تقديراً لأعماله الشعرية التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية.

والمعروف أن هذا الوسام لا يقدم إلا مرة أو مرتين كل عام لرؤساء الدول، أو رؤساء الحكومات، أو لرجال الفكر والإنجازات العلمية.

والجدير بالذكر أن الشاعر الأمير عبد الله الفيصل قد منح الجائزة الدولية الكبرى للشعر الأجنبي عن مجموعته الشعرية « ديوان الحب » الذي قام بنقلها إلى الفرنسية الكاتب اللبناني جواد صيداوي والشاعر الفرنسي « أتاناز فانتشيف دوتراسي ».. هذه الجائزة التي تمنحها مؤسسة « سولانزار الثقافية الفرنسية »، وقد أوردت مجلة « الفيصل » هذا الخبر في عددها رقم (٨٨).

كما حصل سمو الأمير الشاعر على درجة « الدكتوراه في الإنسانية » بقرار من « مجلس أمناء الأكاديمية للعلوم والثقافة » المتفرعة عن « مؤتمر الشعراء العالميين » الذي انعقد في مدينة « سان فرانسيسكو » في الولايات المتحدة الأمريكية.. وقد أوردت هذا الخبر مجلة « الفيصل » في عددها رقم (٦١).

ومجلة « الفيصل » يسعدها أن تهنئ سمو الأمير الشاعر عبد الله الفيصل على هذا التقدير العالمي الذي تلقاه أعماله الشعرية والإنسانية.. هذا التقدير الذي هو أهل له.. وهو مصدر اعتزاز كل مواطن سعودي.





يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية في الرياض المملكة العربية السعودية أن تدعو الجامعات والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً لإحدى الجائزتين التاليتين:

١. جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

وموضوعها: **الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي**

٢. وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي

وموضوعها: **الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، في تاريخه أو رجاله، أو قضاياه أو كتبه**

والمقرر منحهما في عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)

أ. يعد مؤهلاً لتسلم جائزة الملك فيصل العالمية كل من قام بعمل أصيل في موضوع الجائزة المعلن وينتج عنه خدمة واضحة للحقل الذي تنتمي إليه الجائزة.

ب. تخضع جميع الترشيحات لتقدير لجنة الاختيار وحكمها.

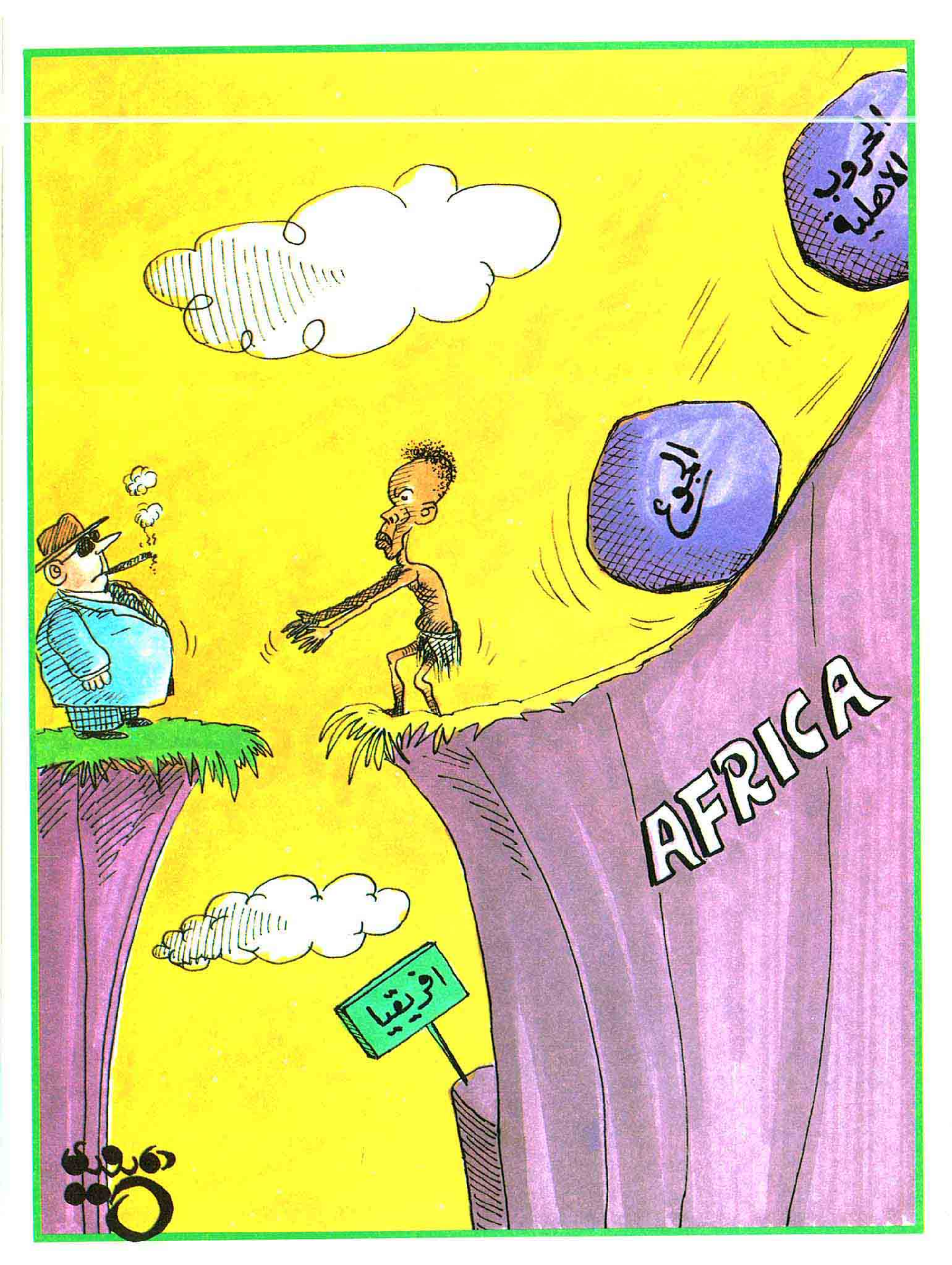
ج. يجوز أن يشترك في الجائزة الواحدة أكثر من شخص واحد.

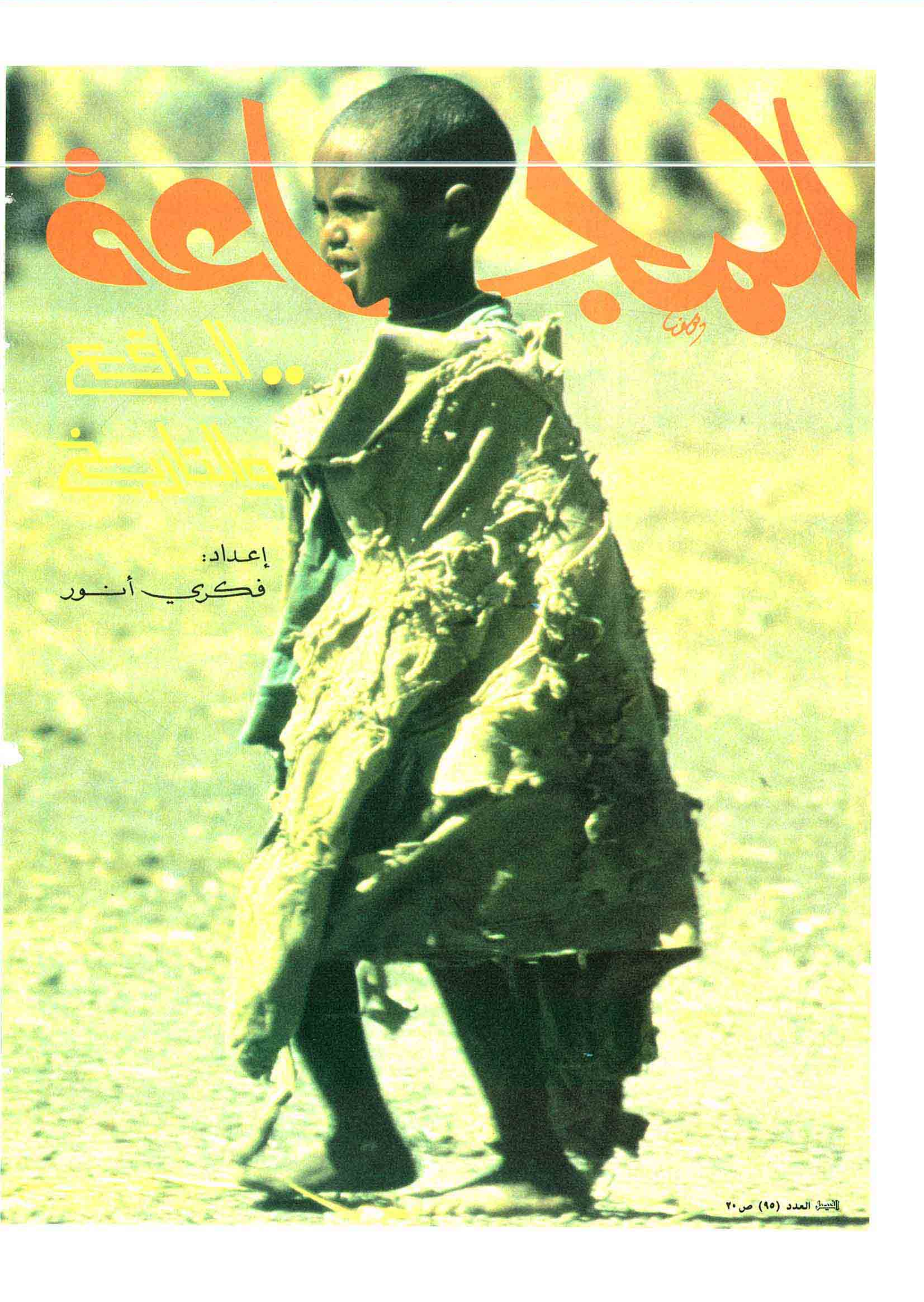
د. تعلن أسماء الفائزين في شهر ربيع الثاني ١٤٠٦هـ (ديسمبر ١٩٨٥م) ويتم تقليد الفائز في احتفال رسمي يقام في مدينة الرياض لهذا الغرض.

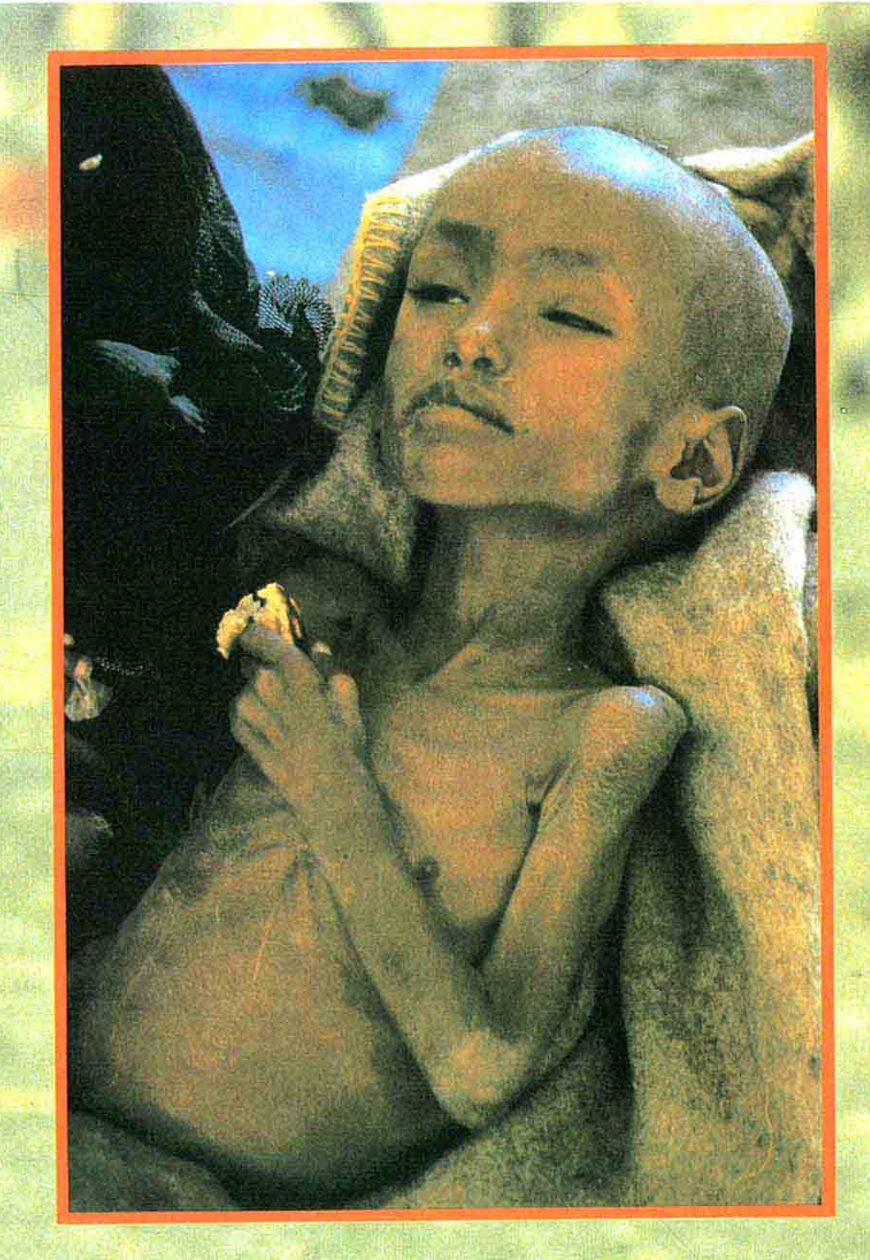
هـ. تتكون كل جائزة من:
١. شهادة تحمل اسم الفائز وملخصاً للعمل الذي أهله لتسلم الجائزة.
٢. ميدالية ثمينة.
٣. مبلغ نقدي قدره (٣٥٠,٠٠٠) ثلاثمائة وخمسون ألف ريال سعودي

و. يرجى ملاحظة الشروط الآتية عند الترشيح:
١. أن يكون العمل المرشح مطابقاً لموضوع الجائزة.
٢. أن تكون الأعمال متفقة مع قواعد البحث العلمي ومناهجه وأن تتميز بالجدة والأصالة وأن تحقق هدفاً من أهداف الجائزة.
٣. أن تكون الأعمال المرشحة للجائزة مطبوعة ومنشورة بالعربية.
٤. أن لا تكون الأعمال المرشحة قد منحت جائزة من قبل أي مؤسسة علمية أو عالمية.
٥. أن يتم الترشيح لكل جائزة من قبل المؤسسات العلمية العربية والعالمية كالجامعات ومراكز البحوث والمجامع اللغوية ونحوها. ولا تقبل الترشيحات الفردية ولا ترشيحات الأحزاب السياسية.
٦. تكتب الترشيحات باللغة العربية على أن تتضمن معلومات وافية عن المرشح تبين حياته العلمية والعملية ومؤلفاته وأعماله المنشورة مع صور من مؤهلاته العلمية، وثلاث صور فوتوغرافية للمرشح مقاس ٦×٩ سم. كما يرجى إيضاح عنوان المرشح ورقم هاتفه.
٧. ترسل الترشيحات مع عشر نسخ من العمل المرشح من داخل المملكة وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى العنوان الموضح في الفقرة (١٠) أدناه.
٨. آخر موعد لقبول الترشيحات والأعمال المرشحة هو يوم السبت ١٧ من ذي القعدة ١٤٠٥هـ الموافق ٣ أغسطس ١٩٨٥م وما يصل بعد هذا التاريخ لا يلتفت إليه، إلا إذا أجل موضوع الجائزة إلى العام القادم.
٩. لا تعاد الأعمال والترشيحات إلى مرسليها، فاز المرشحون أم لم يفوزوا.
١٠. تعنون جميع المكاتبات باسم: الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية
ص.ب ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٤٩٥ المملكة العربية السعودية.
تلكس ٢٠٤٦٦٧ PRIZE SJ

والله ولي التوفيق


الحروب الأهلية
الجوع
AFRICA
افريقيا


المجاعة
.. الواقع والتاريخ
إعداد:
فكري أنور



في الوقت الذي يفاخر فيه الإنسان بوصوله إلى القمر وغزوه لعدد من الكواكب ، وفي الوقت الذي بلغ فيه من العلم ـ كما يتصور ـ مبلغ الرشد ، في هذا الوقت يموت الناس في كثير من أقطار الكرة الأرضية جوعاً ومرضاً وقهراً .

لقد كشفت المجاعات في إفريقيا خاصة ، وآسيا عامة ، وآخرها مجاعة أثيوبيا ، أن العلم لم يزد الإنسان إلا ظلماً على ظلمه وبطراً على بطره .. وأن المبادئ الهدامة والأيديولوجيات الوضعية الفاسدة ، قد ساعدت فئة صغيرة من البشر على التحكم في مصائر الملايين من البشر .. هذه الفئة التي استأثرت بخيرات البلاد لتصرفها لنزواتها ومجونها وبطشها ـ كما تفعل حكومة مانجستو الأثيوبية الماركسية ـ .. وقد بات من المؤكد لدى دول العالم أن الشيوعية وغيرها من الأيديولوجيات الوضعية الفاسدة لم تبشر بالرخاء للجميع بقدر ما خططت الموت لمن تريد ولمن يخالفها رأيها وظلمها واستبدادها .

ومن المحزن والمؤلم أن المجاعة التي تحدث عنها العالم في أثيوبيا قد أصابت الشعب المسلم ، مما يؤكد أن حكومة مانجستو تسعى لإبادة هذا الشعب المؤمن ، وقد استبد الظلم بحكومة مانجستو إلى الحد الذي سعت معه إلى منع وصول المواد الغذائية إلى المنكوبين ، كما أنها استولت على الملايين المتبرع بها لإنقاذ المنكوبين ، لصرفها على نزوات الجيش « المانجستي » وبطانته .

وفي هذا الاستطلاع ، تطرح مجلة « الفيصل » قضية المجاعة في أثيوبيا خاصة ، والمجاعات التاريخية المشهورة ، لتسجل وثيقة تاريخية تدين الشيوعية كما تدين الإنسانية التي تساعدها ، كما ترصد المجاعات التاريخية لتسجل وثيقة أخرى تدين الإنسانية كلها ، التي تدعي العلم والأخلاق والفضيلة ، في الوقت الذي تفتقر فيه إلى أبسط قواعد التعامل الإنساني .



المجاعة ، لغة ، هـي النقص الشـديد في الغـذاء لمدة طويلة ، وما يترتب على ذلك من نزوح سكان المناطق المنكوبة بالجفاف ، وجدب الأرض ، ونفوق الحيوان ، إلى المناطق التي يمكن أن يجدوا فيها راداً للجوع ورواياً للظمأ وبريق أمـل في أدنى وأبسط سبل الحياة .

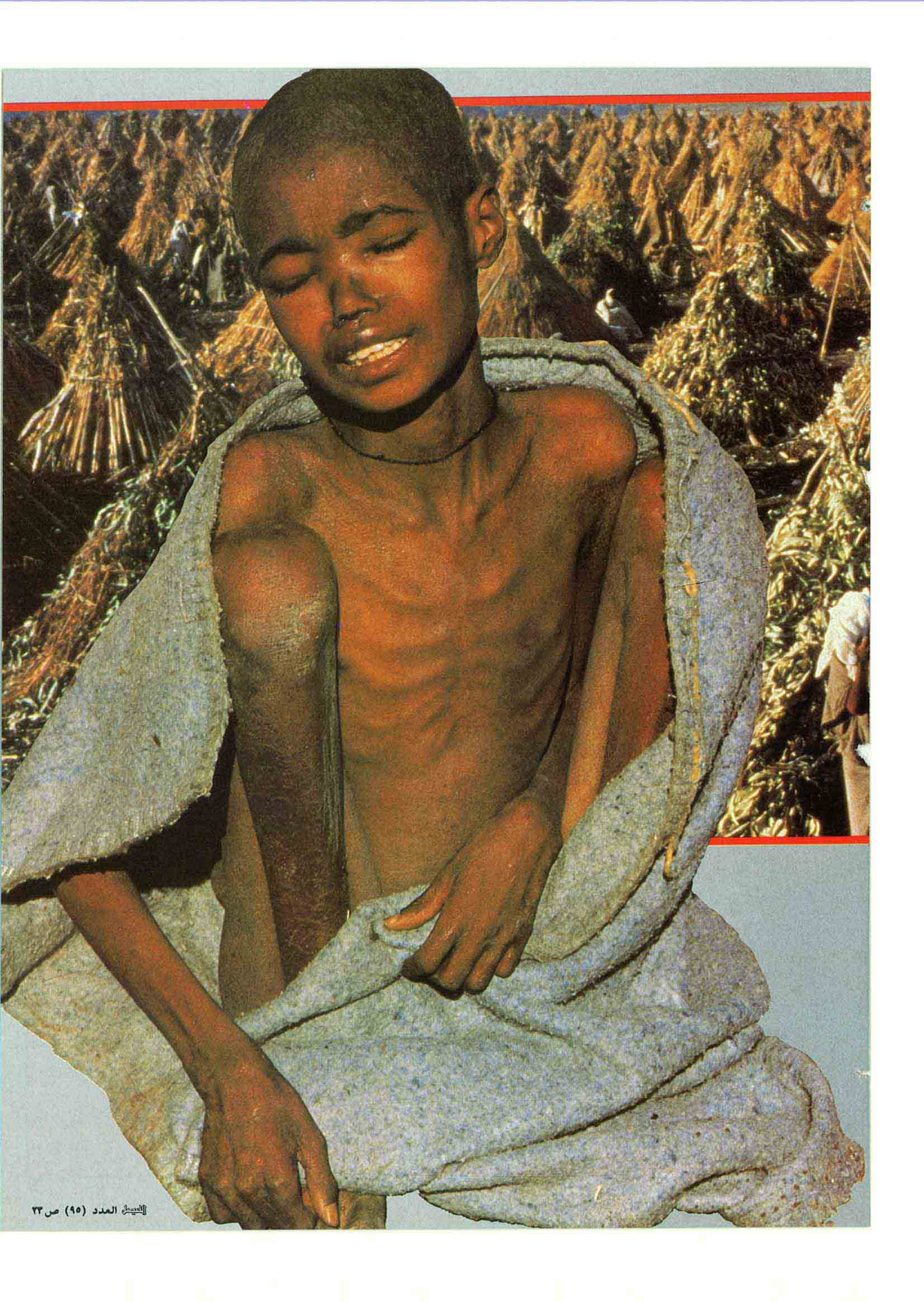
حديث الأرقام

في عام ١٨٤٥ م ، أصابت الآفة محصول البطاطس في **أيرلندا** فقضت عليه . ونتج عن ذلك وقوع مجاعة رهيبة بالبلاد أدت إلى هجرة مليون ونصف من السكان إلى **الولايات المتحدة الأميريكية** ، وهلاك حوالي مليون نسمة من عدد سكان البلاد ذات الملايين الثمانية .

وفي عام ١٨٧٧ م ، حدث **بالبرازيل** جفاف ، فمجاعة فطاعون راح ضحيته حوالي سبعة وخمسين ألف نسمة .

أما معدلات استهلاك المحاصيل الزراعية بالنسبة للفرد الواحد ، فتقول الإحصائيات إنها تبلغ ٣٥٠ رطلاً في **الهند** في مقابل ١٧٠٠ رطل في الولايات المتحدة الأميريكية . وعن معدل الاستهلاك بالغذاء المباشر لتلك المحاصيل تقول المقارنة إنها ٣٢٠ رطلاً في الهند يقابلها مائتي رطل في الولايات المتحدة ، والبون بين المثالين شاسع وواضح .

وإذا كانت المجاعة ظروفاً جوية تصنع الجفاف ، وأراض زراعية تظمأ فتجدب فتتشقق فتمسك عن تقديم الغذاء لأهلها ، وسكان تجف منهم الألسنة ظمأ وتتلوى فيهم الأمعاء جوعاً وتتعرى منهم الأجساد إلا من أسمال لا تقي من حر ولا تدفئ من قر ، فإن علماء السكان يضعون الجداول مليئة بالأرقام فيقولون :



تقديرات السكان في العالم

السنة	عدد السكان (بالمليون)
١٠٠٠ م	٣٤٠
١٦٥٠ م	٥٤٥
١٨٠٠ م	٩٠٧
١٩٠٠ م	١٦١٠
١٩٥٠ م	٢٥٠٩
١٩٧٠ م	٣٦٥٠

نسبة المواليد في بعض الدول الغربية (في الألف نسمة)

السنة	فرنسا	بريطانيا	ألمانيا	الولايات المتحدة
١٨٨٠ م	٢٤,٦	٣٣,٩	٣٨	٣٦
١٩٠٠ م	٢١,٤	٢٨,٥	٣٥	٣٠,١
١٩١١/١٩١٣م	١٨,٨	٢٦,٢	٢٨	٢٧
١٩٣٣ م	١٦,٢	١٩,٨	١٦,٧	١٦,٥

معدلات المواليد والوفيات قبل الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٣٩ م) (لكل ألف نسمة)

الدولة	معدل المواليد	معدل الوفيات	الزيادة الطبيعية
إفريقيا	٤٠	٣٦	٤
الولايات المتحدة وكندا	١٨	١١	٧
أميريكا اللاتينية	٤٢	٢٤	١٨
الشرق الأدنى	٤٢	٣٣	٩
جنوب آسيا	٤٢	٣٢	١٠
اليابان	٢٧	١٧	١٠
الشرق الأقصى	٤٢	٣٢	١٠
جنوب أوروبا	٢٣	١٦	٧
شرق أوروبا	٣٣	٢٢	١١
باقي أوروبا	١٧	١٢	٥
إجمالي العالم	٣٦	٢٦	١٠

هذا يعني أن عدد سكان العالم قد وصل إلى أول بليون نسمة في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي . وفي عام ١٩٣٠ م ، بلغ البليون الثاني . . أي بعد حوالي ١٣٠ عاماً من البليون الأول . أما في عام ١٩٧٥ م ، (خلال ٤٥ عاماً فقط) تضاعف البليونان . وأما في السنوات الباقية من القرن العشرين للميلاد ، (خلال ١٥ عاماً من الآن) فسيصل العدد إلى ستة بلايين . ومع عام ٢٠٢٥ م ، فإنه سيبلغ ثمانية بلايين نسمة .

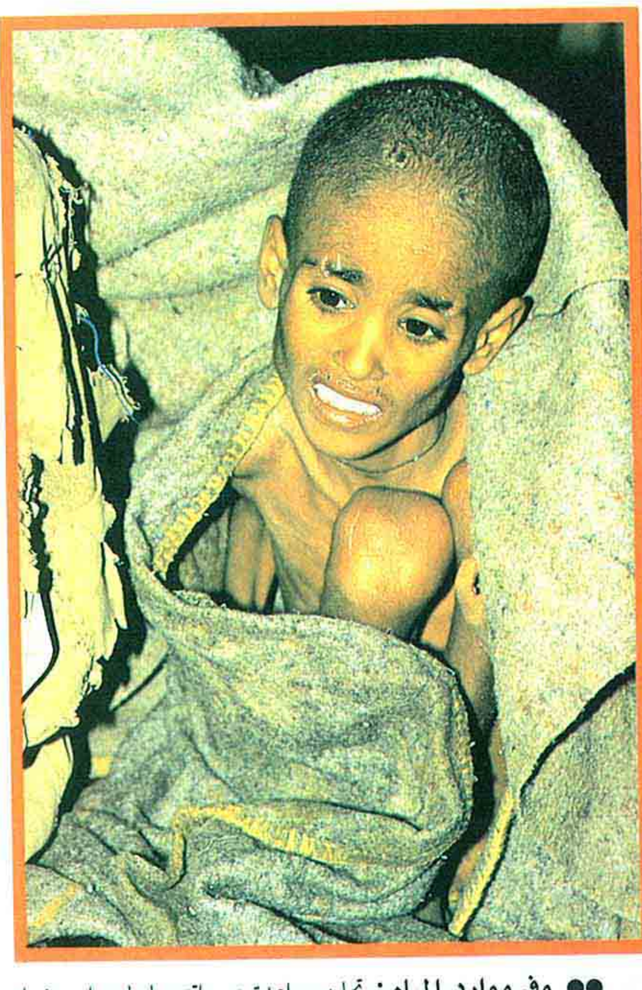
فإذا استمر هطول المطر ، واحتفظت الأراضي الزراعية ـ الحالية والمتوقع استصلاحها ـ بخصوبتها ، فثمة حقيقة ثابتة ـ حسب رأي علماء السكان ـ مؤداها أن مشكلة الإنسان على سطح الأرض ستتجاوز التحسب من مخاطر المجاعة إلى البحث عن موطئ قدم لبني آدم على كوكبنا الصارخ بالمعاناة .

صحيح أن عدد سكان الأرض كان قليلاً ، والضغط على البيئة محدوداً . آنذاك كانت المعركة ، بين الاحتياجات القصيرة الأجل وتلك الطويلة الأجل ، هادئة بعيدة عن التوتر والقلق ، فكان الإنسان يهجر المناطق القاحلة ـ غير مبتئس ـ إلى أماكن جديدة عالية الخصوبة وفيرة الماء معتدلة المناخ . أجل . . كان عنصرا المكان والزمان في صالح الإنسان . أما الآن ، ومع الزيادة الحالية والهائلة في السكان ، وعلى مساحة أرضية ثابتة تقريباً ، فقد أصبح إيجاد حل لهذا الفرق الحاد بين الاحتياجات القصيرة الأجل ، والطويلة الأجل أمراً صعب المنال ، بل إنه مرتبط بالحفاظ على استمرارية وجود الجنس البشري .

هكذا تبدو المعادلة صعبة . والمعادلة الصعبة تستوجب تحقيق ما قد يبدو مستحيلاً في عصر ما ثم لا يفتأ أن يغدو شيئاً مألوفاً في عصر تالٍ . ومن ذلك ما اجتهد به علماء هذا العصر ومنه :

●● **في مجال الزراعة :** بحوث دائبة ونتائج مثمرة حول الدورة الزراعية ، والتوسع الرأسي في المحاصيل الزراعية ، واستصلاح الأراضي الصحراوية ، واستنباط أنواع جديدة من التقاوي ذات إنتاجية عالية ، وابتكار مخصبات ترفع كفاءة التربة .







●● **وفي موارد المياه :** تجارب واعدة عن اقتصاديات استخدام المياه (كالري المحوري وري النقطة) ، وتنقيب عاكف على اكتشاف موارد المياه الجوفية .

●● **وفي الإنتاج الحيواني :** تركيز على زيادة إنتاجية وتناسل ووزن الحيوان والدواجن ، وانتشار المزارع السمكية بالأراضي العالية الملوحة أو الضعيفة الخصوبة ، إلى جانب بحوث لم تتأكد إيجابياتها بعد عن إنتاج أغذية من البتروكيماويات . . . إلخ .

●● **أما في البحار والفضاء** ، فيقول العلماء إن الإنسان سيهرع قريباً إلى مدن في أعماق البحار (تشبه الصوب الزجاجية) ليتخذ منها سكناً ومورد غذاء ومأمناً من أخيه الإنسان الأرضي النزّاع إلى القتال والتآمر والنفاق . كذلك فإنسان « الماء » المستقبل سيكون أسعد حظاً من أسلافه . . على الأقل لأنه سوف يعيش في بيئة غير ملوثة . وأما في الفضاء فالبحوث والسفن والأقمار لم تستطع إلى الآن أن تحمل معلوماتها بارقة أمل بحياة ممكنة فوق أسطح الكواكب .

في البدء جفاف

والجفاف ، لفظاً ، هو توقف سقوط الأمطار على منطقة ما لمدة طويلة .

والجفاف ، جغرافياً ، مرتبط بالمنطقة المدارية الممتدة بعرض النصف الجنوبي من الكرة الأرضية . والمنطقة المدارية ـ كما نعلم ـ محصورة بين **مدار السرطان** شمالا ، **ومدار الجدي** جنوباً ، وتغطي الدول التالية :

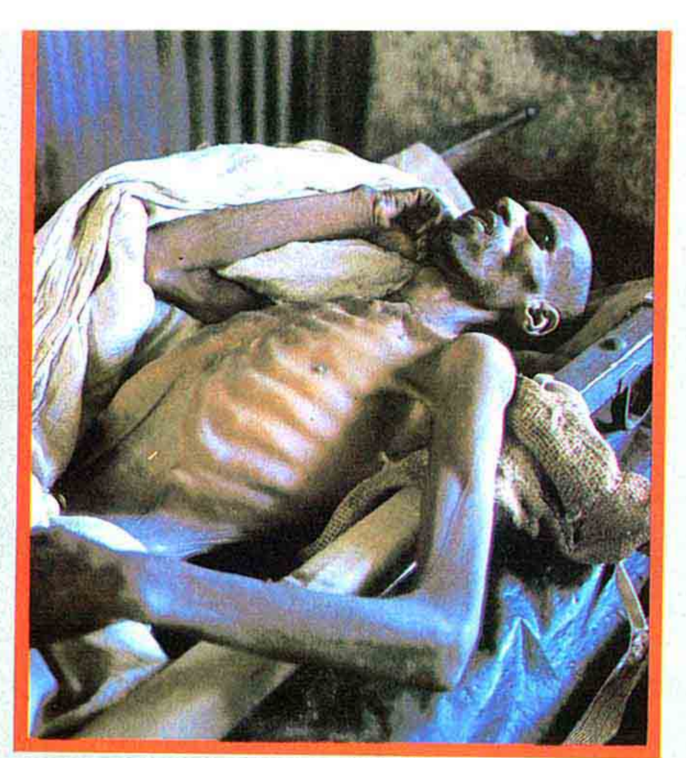
★ **من أميريكا اللاتينية :** البرازيل .

★ **من إفريقيا :** أثيوبيا ، الصومال ، موزمبيق ، زامبيا ، زائير ، أنجولا ، زيمبابوي ، مالي ، تشاد ، النيجر ، موريتانيا .

★ قارة أستراليا بأكملها .

... ثم جدب

تمتنع عائدات الأرض لغياب مورد ريها ، فيهلك الحيوان والطير ، ويجوع الإنسان ، ويدب الوهن في الأبدان وتجف أثداء النساء فتصرع فلذات الأكباد .



... ومجاعة أثيوبيا

وحديث الساعة عن أثيوبيا :

- تتكون أثيوبيا من أربع عشرة منطقة ، منها اثنتي عشرة تعاني الجفاف منذ عشر سنوات .
- أكثر من ٤٠٪ من السكان يعانون من سوء التغذية .
- ٢,٢ مليون نسمة هجروا مساكنهم وهاموا في أرض الله بحثاً عن الغذاء .

بهذه الأرقام ، ودون استدرار للرحمة أو إثارة للشفقة على أهالي هذه النكبة التي أجمع المراقبون على أنها أسوأ كوارث الأرض على امتداد التاريخ كله . . نستغني عن الخوض في حديث عن معاناة البشر هناك في أثيوبيا ، فهو حديث أوله مرارة وأوسطه آلام مفجعة وآخره تسليم يائس بواقع مهين .

وحيث إن المرارة تتصدر لزوميات الجوع والعري والضياع ، فيكفينا منها نتف أخبار نوردها فيما يلي :

يحصد الجوع والموت عشرات الآلاف في أثيوبيا منذ عامين وحتى الآن . ورغم ذلك ، فمن بكائيات الدهر وعذاباته أن العالم لم يشعر بما يحدث هناك حتى شاهد الناس فيلماً تلفزيونياً أنتجته **الإذاعة البريطانية** . طبعاً نحن في غنى عن التساؤل بما يمكن أن تصل إليه الأمور لو أن هذا الفيلم لم ينتج الآن !! .

يهب العالم مذعوراً . . الحكومات والمنظمات الدولية والهيئات الإقليمية ترسل فيضاً من الغذاء والكساء . . والأطفال يتبرعون بنقودهم بدل شرائهم الحلوى . . وصحف ومجلات العالم تفرد صفحات كاملة وصوراً مأساوية عن أخطر مجاعات التاريخ . . ووسط هذا الخضم ، تنفق حكومة أثيوبيا أكثر من مائة مليون دولار على إقامة أقواس النصر والاحتفال بالثورة التي أطاحت **بالإمبراطور هيلا سلاسي** .

ولعل مما يزيد الصورة بشاعة واشمئزازاً أن حكومة أثيوبيا تضع العراقيل في سبيل وصول المعونات الأجنبية من الغذاء والكساء والدواء إلى جياع شعبها ، وتقوم بتوزيعها ، بسخاء ، على رجال الجيش والحكومة .



المجاعة . . وإفريقيا

ارتبطت إفريقيا ــ منذ القديم ــ بتسمية ووصف موضوعي .

فأما التسمية فهي « إفريقيا السوداء » . ووصفها بالسواد هنا راجع إلى لون تربتها . . الأمر الذي يعني الخصوبة والإنتاجية الزراعية الوفيرة .

وأما الوصف الموضوعي فهو أن « إفريقيا هي سلة الغذاء للعالم » .

أيضاً تجدر الإشارة إلى أن إفريقيا ــ وفق ما تقرره كتب التاريخ ــ لم تعرف المجاعة من قبل أن يطأ الاستعمار أراضيها .

أما في الوقت الحاضر ، وبعد أن رحل الاستعمار ودخلت دياره أيديولوجيات مادية وفلسفات غوغائية فحالها يتمثل فيما يأتي :

●● ست وعشرون دولة إفريقية ــ من بين دول القارة الخمسين ــ يهددها الجفاف . وهذا يعني أن مائة وخمسين مليوناً من سكانها ــ البالغ عددهم خمسمائة مليون نسمة ــ مهددون بالجوع .

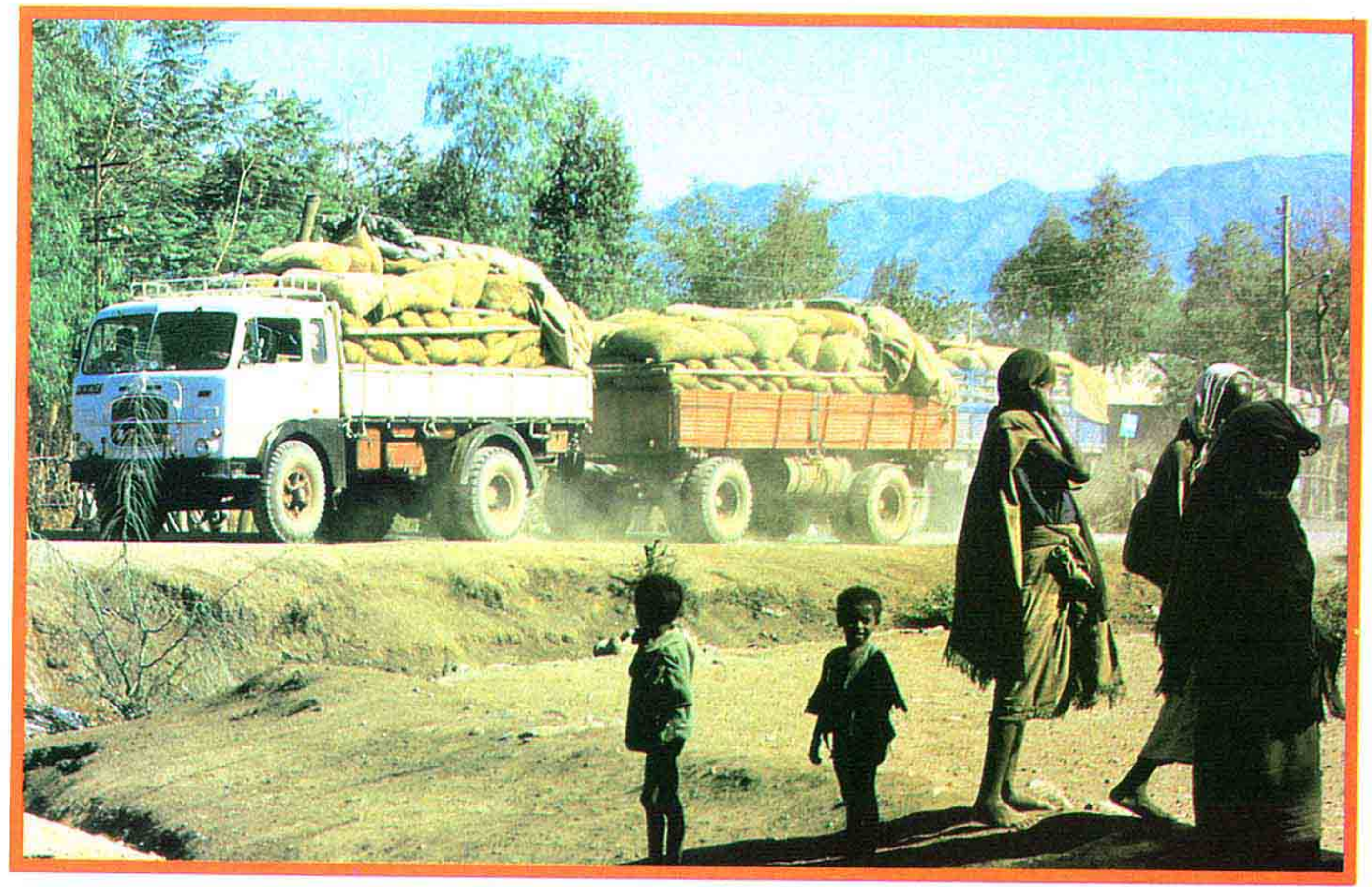
●● ثمانون بالمائة من الأراضي الزراعية ــ المحصورة بين أريتيريا شرقاً وموريتانيا غرباً ــ أصبحت بالفعل أرضاً جرداء مجدبة ، وفي جيبوتي وحدها نفقت نسبة الثلث من ثروتها الحيوانية بفعل الجفاف .

●● تنتشر معسكرات إيواء جياع أثيوبيا الآن في عدة دول منها الصومال وأثيوبيا وسوزيلاند وموزمبيق وإفريقيا الوسطى والسودان ، برغم ما تعانيه هذه الدول من أضرار الجفاف .

●● السودان يعاني الآن من نزوح أعداد غفيرة من لاجئي أثيوبيا وتشاد .

أشهر المجاعات

★★ **مجاعة السنوات السبع** ، حدثت أيام **الملك زوسر** في



مصر القديمة . تحكي صورة جدارية عنها ــ اكتشفت أيام البطالمة ــ تقول إن النهر توقف عن الفيضان سبع سنين « أجدبت خلالها الأرض ونضب الرزق وجاع الناس » .

★★ في عام ٤٢٩ ق . م ، حدثت **مجاعة في روما** ــ حاضرة الإمبراطورية الرومانية ــ بلغ من قسوتها على الناس أن الآلاف من سكان روما ألقوا بأنفسهم في نهر تايبر .

★★ عام ١٠٠٥ م ، **في إنجلترا** .

★★ عام ١٠١٦ م ، مجاعة شملت **دول أوروبا** جميعاً .

★★ من عام ١٠٦٧ ــ ١٠٧٢ م ، **في مصر** .

★★ عام ١١٦٢ م ، مجاعة في أوروبا ، بلغ من هولها أن اضطر الناس ــ في معظم دولها ــ إلى قطع الطريق وإلى أكل لحوم البشر .

★★ عام ١٤٩١ م ، **في أيرلندا** .

★★ من عام ١٦١٨ ــ ١٦٤٨ م ، وهي المدة التي استغرقتها حرب الثلاثين عاماً في أوروبا . وفي أعقابها حدثت مجاعة مروعة .

★★ عام ١٨٢٢ م ، في أيرلندا .

★★ عام ١٩٢٩ م ، **مجاعة عالمية** أعقبت الحرب العالمية الأولى .

★★ عام ١٩٧٤ م ، قتلت المجاعة مائة ألف إنسان من أثيوبيا ومائتي ألف من موزمبيق .

لقد حدثت هذه المجاعات في أزمنة وأماكن ، كان السائد خلالها هو العبودية والتخلف والوثنية ، واستبداد الأيديولوجيات الهدامة بمقدرات الناس .

وعن المستقبل

منذ ثلاثة شهور انعقد المؤتمر العالمي للسكان بمدينة نيومكسيكو بالمكسيك ، وحضره ثلاثة آلاف خبير يمثلون مائة وثمان وأربعين دولة من دول العالم ، وقد أعلن عن ما يلي :

●● أن مشروعات التنمية بدول العالم الثالث في طريقها إلى التوقف بسبب الزيادة المتواصلة في عدد السكان . . الأمر الذي يوشك أن يتردى بها إلى الفقر والجوع .

●● في عام ٢٠٢٥ م ، سيكون عدد سكان العالم ٨٢٠٠ مليون نسمة منهم سبعة بلايين في دول العالم الثالث .

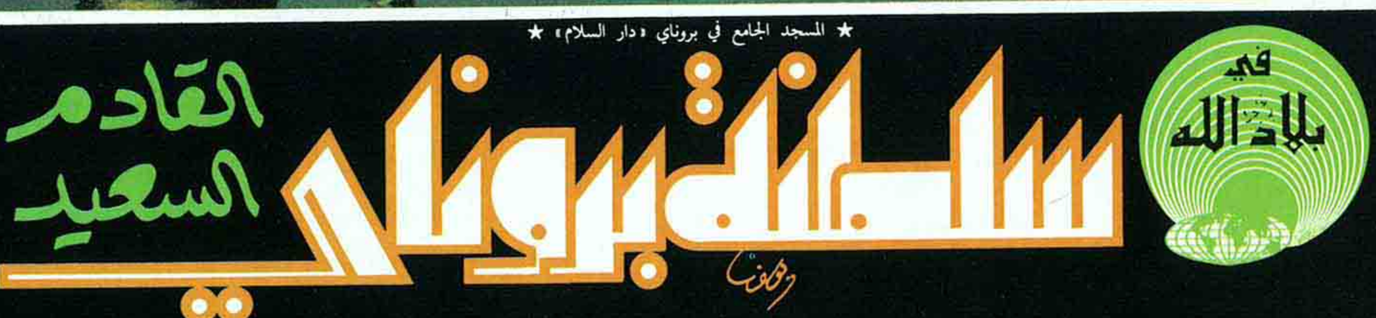
أما **منظمة العمل الدولية** ، فقد نشرت إحصاءً يقول :

● إن العالم يستقبل كل عام ثمانين مليون مولود جديد .

● في عام ١٩٨٥ م ، سيرتفع عدد البطالة إلى ٤٧٥ مليوناً .

● خلال العقدين الباقيين من القرن العشرين الميلادي ، ستحدث مجاعات تؤدي إلى موت شعوب بأكملها . وعلى سبيل المثال من المتوقع أن يهلك ألف مليون إنسان جوعاً في المنطقة الواقعة بين أفغانستان والفليبين ، إلى جانب مناطق أخرى في إفريقيا .

★ المسجد الجامع في بروناي «دار السلام» ★



سلطنة بروناي القادم السعيد

بقلم: د. أحمد شقلية

إن من أهم ما يمتاز به عالمنا الإسلامي هو اتساع رقعته وامتداده الجغرافي والفلكي وتعدد شعوب أمته وحنين هذه الشعوب إلى البحث عن العالم الأم كلما استيقظ منها شعب باحثاً عن منظماته الإسلامية التي يجد من خلالها ذاته الإسلامية التي لا غنى عنها بل ولا عوض عنها في درع كيانها ومنطلق احترامها. وسلطنة بروناي، هذا القادم السعيد إلى عالمنا الإسلامي لم تكن حقاً ضيفاً جديداً، بل هي من أصول العالم الإسلامي، حاولت بريطانيا طيلة نحو مائة سنة إذابة كيانها من خلال عدة محاولات ومشاريع لكن الأخوّة الإسلامية في بروناي كانت تقف في صلابة لإفشال تلك المحاولات والمشاريع .





★ منظر للغاز الطبيعي المشتعل في مصفاة سيريا ★

هذا الذي أثبتته الأحداث الأخيرة في رفض الوجود البريطاني في أراضيها، مطالبة بإصرار في العودة إلى العالم (الأم) الإسلامي للإسهام في حل مشكلاته والوقوف معه في وجه نائبات زمانه سواء في القسم الآسيوي منه أو الأوروبي أو الإفريقي

رحلة التاريخ

هي إحدى أقطار جنوب شرقي آسيا بابيها على شكل جناحين (جبين) في وسط شمال جزيرة **كاليمنتان**(١) أكبر جزر الهند الشرقية مساحة، وتتميز بروناي بتاريخ طويل مع الأحداث في جنوب شرقي آسيا خاصة زمن موجة الاستعمار الأوروبي، الذي بدأ **بإسبانيا والبرتغال وهولندا، ثم تأتي بريطانيا** لتستولي على بروناي ضمن خطتها لمطاردة هولندا في أقطار التوابل والقصدير والمطاط والأخشاب الصلبة وجوز الهند في هذا الركن من آسيا . . .

لقد جاء الاستعمار الأوروبي إلى هذا الجزء الآسيوي وبروناي لها إمبراطورية كبيرة في مساحتها وعدد سكانها وإمكاناتها الجغرافية، وما إن

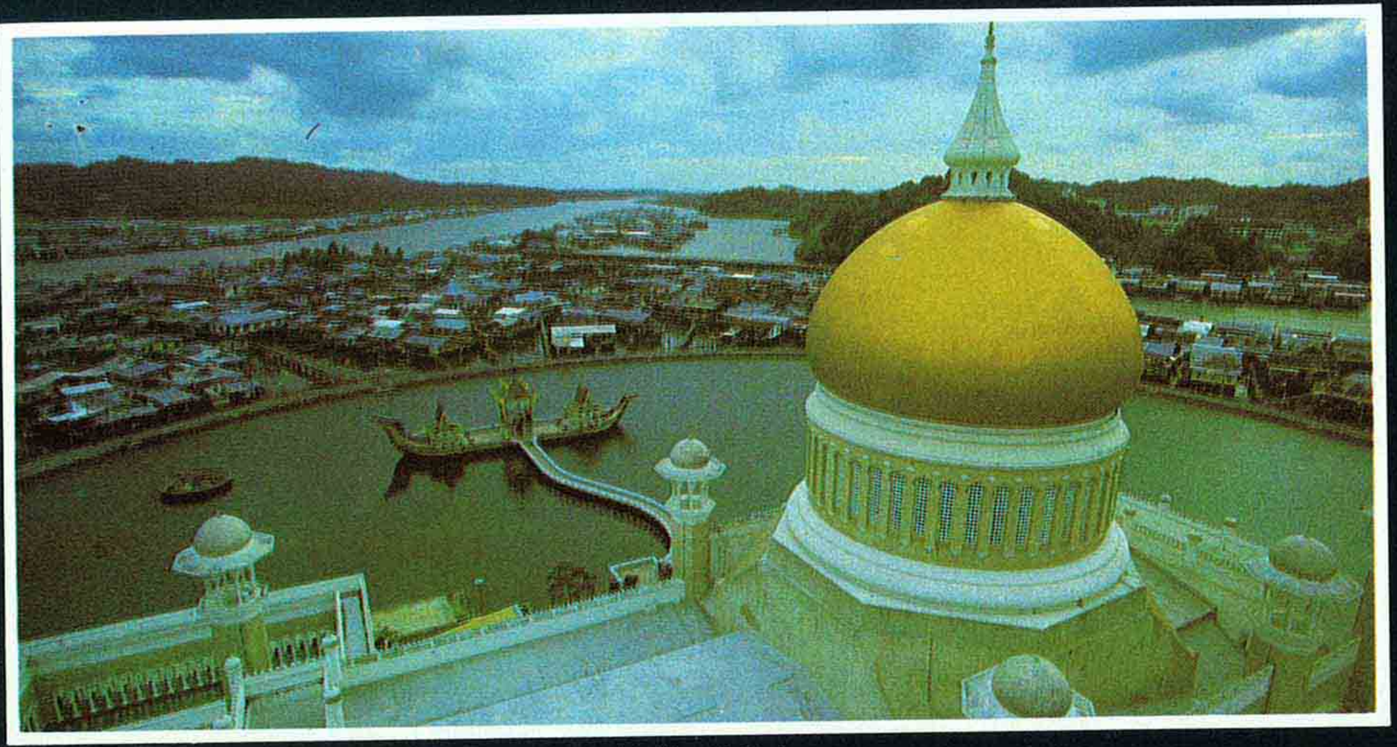


دخل القرن التاسع عشر الميلادي حتى بدأت أملاكها ونفوذها تتقلص إلى أن أعلنت الحماية البريطانية عليها وتدخلت في شؤونها السياسية والاقتصادية، بل وعملت على تفريق سكانها ونشر المشادات بينهم، وكان ذلك في ١٨٤٧/٥/٢٧م، حين عقدت اتفاقية الحماية عليها . . . لكنها لم تستطع أن تستمر إلى الأبد لتستغل إمكانات هذه اللؤلؤة في عقد مستعمراتها المتقطع والمنفرط، ولتخرج منها إلى غير رجعة في ١٩٨٤/١/١م، (١٤٠٤/٣/٢٧هـ)، وعلى رأسها حاكمها الشاب **السلطان مودا حسني البولكية** موعظ دين واد الله، ولن ننسى هنا الضغوط الدولية خاصة منها في عام **١٩٧٣م**، على بريطانيا لتنسحب من هذا القطر الإسلامي الغني بثرواته والاستراتيجي في موقعه والمسلم في كيانه حكومة وشعباً.

ومن أبرز الخطوات السياسية التي خطتها بروناي بعد الاستقلال، هو انضمامها **كعضو كامل في منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي الأمم المتحدة**، لتبدأ بخطوات سريعة على طريق العلاقات الدولية عامة والإسلامية منها خاصة، مساندة ومدعمة للقضايا الإسلامية والعالم الإسلامي ومشكلاته ولتنضم إلى منظمات دولية أخرى **كالأوبك، ومعاهدة الدفاع عن أقطار جنوب شرقي آسيا.**

الموقع الجغرافي

كما أسلفنا فإن بروناي تقع في وسط الساحل الشمالي لجزيرة بورنيتو تقريباً، مطلة بجزءيها على مياه **بحر الصين الجنوبي** الذي هو جزء من المحيط الهادي الشمالي، بمعنى أنها مستعمرة بريطانية نشأت كقاعدة بحرية وجوية لحماية الطرق البحرية البريطانية التجارية والحربية مع



★ قبة المسجد الجامع ★

هونج كونج وجزرها في المحيط الهادي الشمالي، ثم مستعمراتها: **الصباح، وسرواك أو سيرواق** في شمال بورنيو[٢]، كما أنها كانت قاعدة عسكرية بريطانية لمواجهة المستعمرة الفرنسية في الهند الصينية، والبرتغالية في مكاو والإسبانية في الفلبين والهولندية في باقي جزر الهند الشرقية (**أندونيسيا**)، بل وفي مواجهة الصين التي كانت من أكبر الأسواق التجارية لبريطانيا ومنتجاتها.

إذن، فنحن أمام قطر ما زال محتفظاً بأهمية موقعه الجغرافي في المجالين التجاري والسياسي معاً، وإن أكبر دليل على أهمية موقعها الجغرافي هذا هو استمرار العلاقة العسكرية والتجارية البريطانية معها حتى أوائل سنة ١٩٨٤م، التي لم تستغن عنها لولا تحقيق رغبة سلطانها وشعبها، ثم تحاشياً للضغوط الدولية على بريطانيا التي سبق لها أن أعلنت أنها ستنسحب من جميع مستعمراتها وقواعدها العسكرية الواقعة في شرق السويس.

أما عن موقعها الفلكي فهي تقع بين خطي طول ١١٤° ـ ١١٥,٢٠° شرقاً، ودائرتي عرض ٤° ـ ٥° شمالا أي أنها تقع في نصف الكرة الطولي الشرقي ثم في نصف الكرة العرضي الشمالي، وبالذات في حدود مفهوم المنطقة الاستوائية منها، كذلك تبين من موقعها الفلكي هذا أن الفارق في الزمن بينها وبين لندن ٨ ساعات، وبينها وبين الرياض ٥ ساعات ولتنعم بروناي فيها بالأمطار طيلة أيام السنة المصاحبة بالمعدلات المرتفعة من الحرارة والرطوبة

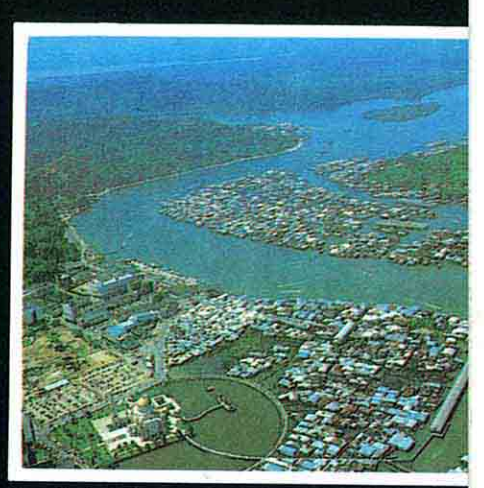
الحدود والمساحة

لقد أسلفنا أن هذا القطر يتكون من جناحين من اليابسة تفصل بينهما اليابسة السرواكية (سرواك) إحدى المقاطعات الشرقية من ماليزيا، وليحدها من الجنوب ومن الشرق ومن الغرب، أما من الشمال فيحدها مياه خليج بروناي الذي هو جزء من مياه بحر الصين الجنوبي... بمعنى أنها جميعاً حدود إسلامية تزيد من الطمأنينة الأمنية لهذا القطر، وقد أعطتها هذه الحدود مساحة قدرها ٥٧٧٠ كلم² (٢٢٠٠ ميل مربع).

إن الناظر إلى خريطة مقارنة بحدود هذا القطر يقع في نفسه تساؤل عن أسباب اتخاذ أراضيها شكل جيبين (جناحين)، ولكن الإجابة عليه من السهولة بمكان حين يعرف المسلمون كم كانت تتحكم في أقطارنا الإسلامية الأهواء والمصالح الاستعمارية.... ونقصد بها هنا المصالح البريطانية التي كانت تتعامل مع مبدأ (**فرّق تسد**)، وتقسم شمال جزيرة بورنيو إلى أربعة جيوب استعمارية بريطانية بالرغم من كمال تبعيتها لشعب واحد هو الشعب الملاوي، بينما تسرع هولندا بأخذ الجزء الباقي والأكبر من هذه الجزيرة ضمن مستعمرتها الكبرى ــ أندونيسيا ــ، أما إسبانيا فقد سلخت جزر مورو وصولو وغيرها من الجزر من كيان هذا الشعب لتضمها إلى مفهوم مستعمراتها الكبرى الفلبين، وهكذا دعمت تلك الأطماع الاستعمارية تشويه أشكال يابسة هذه الأقطار والولايات واتجاهات الحدود بينها، بل وتركت من ورائها لنا مشاكل عديدة أهمها مشكلة مورو (مسلمو جنوب الفلبين) وفطاني....

البنية

تتبع أراضي هذا القطر الحركة الألبية وهي أحدث الحركات البناءة للجبال على سطح الأرض... بمعنى أنها تقع ضمن نطاق الزلازل النشط في حركته بينما لا يوجد بها براكين نشطة، أما سطح أراضيها فيغطى في معظمه



★ العاصمة بندر سيري وأحياء العوامات ★

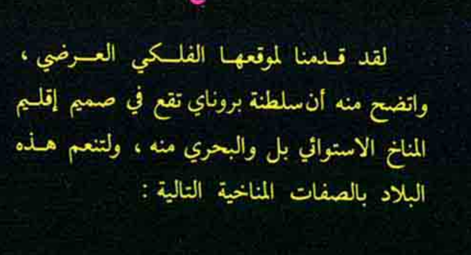


★ جسر معلّق فوق أحد الأنهار ★

بغطاءات من التربة الحمراء والحصى والرمال، أي من التكوينات الحديثة.

التضاريس

ينتمي شمال البلاد إلى المظهر السهلي المستوي والمنحدر ببطء شمالا نحو مياه البحر، ويقطع استواء هذه السهول عدد من مجاري الأنهار الدائمة الجريان خاصة ونحن في قطر استوائي المناخ ذي الأمطار الدائمة، كما تشغل المستنقعات الدائمة مساحات كبيرة من هذه السهول حتى مياه البحر، وتأخذ الأرض بعد هذه السهول والمستنقعات بالارتفاع نحو الجنوب والجنوب الشرقي حتى تصل في الجناح الشرقي إلى جبال ارتفاعها ١٨٥٠ م، هذا خاصة في جناحها الشرقي . وقد منحتها هذه الجبال العديد من الشلالات التي تعترض مجاري أنهارها، وتكسبها إمكانات هيدرولوكية غنية وسمعة سياحية معطاءة.



المناخ

لقد قدمنا لموقعها الفلكي العرضي، واتضح منه أن سلطنة بروناي تقع في صميم إقليم المناخ الاستوائي بل والبحري منه، ولتنعم هذه البلاد بالصفات المناخية التالية:

فيما يخص أمطارها: فهي دائمة وعلى مدار السنة مع زيادة ملحوظة في كل من أشهر وأيام موسمي الربيع والخريف وعلى أقل من الموسمين الأخرين من السنة وهما الصيف والشتاء، وتسقط أمطارها عليها من حمولة الرياح التصعيدية، ثم الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية في الصيف، والشمالية الشرقية والشمالية في الشتاء، وليصل معدل أمطارها السنوية ما بين ٤ ـ ٥ م، وهو رقم لا يفوقه في العالم إلا رقم أمطار سومطرة وبنجلاديش وغرب نيوزلندة وشرق سواحل نيجيريا، يقابله نشاط نحر يتراوح ما بين ٨٠ ـ ١٠٠ سم في السنة وهو فاقد من كمية الأمطار مباشرة.

وفيما يخص حرارتها: فهي في الصيف (الشمالي) مرتفعة وتتراوح معدلاتها ما بين ٢٠ درجة إلى ٣٠ درجة مئوية.

وأما في الشتاء (الشمالي) فتقل معدلاتها نسبياً لتتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ درجة مئوية، وهذه الأرقام هي نفسها الأرقام المميزة لحرارة مناطق المناخات الاستوائية.

التربة

تنتشر على معظم أراضي هذا القطر تربة اللتريت (الحمراء) التي تتماشى في توزيعها الجغرافي مع توزيع مناطق الغابات المدارية، وهي تربة غنية بأكاسيد المعادن، ولا ينقصها إلا التسميد الطبيعي لاستغلالها لزراعة الغلات المدارية. أما الجهات الساحلية منها فتغطى بالتربة الرملية المخلوطة بالحصى، بالإضافة إلى التربة الطينية التي رسبتها الأودية والأنهار على حواف مجاريها، كذلك النصيب الكبير الذي تغطيه تربة المستنقعات الحمضية التي يصعب استصلاحها للزراعة.

النباتات الطبيعية

تغطي الأجزاء الداخلية والوسطى والغربية من ساحل بروناي الغابات الاستوائية المخلوطة بالموسمية الدائمة الخضرة، بينما تغطي قمم جبالها الغابات المعتدلة الدفيئة (الصينية) وجميعها غابات ذات أشجار غنية بثروتها الخشبية الصلبة والحمراء التي تساهم في التجارة الدولية لسلطنة بروناي.

السكان

ينتمي سكان هذا البلد الإسلامي إلى عدة أجناس ولكن نصفهم ينتمي إلى (**الملايو**) الواسع الانتشار في جميع أقطار جنوب شرقي آسيا وخاصة منها: أندونيسيا، وماليزيا، وبروناي، وجنوب الفلبين.. إنه جنس عن أصل من **السلالة المغولية** وهي الأولى بين السلالات البشرية الأخرى في عددها والثانية في اتساع رقعة انتشارها. **ويطلق على سكان بروناي اسم (البروناويك) نسبة إلى بروناي، ويقدر عدد سكان بروناي حالياً بنحو ٢٢٠,٠٠٠ نسمة**، من هؤلاء نحو ٢٢٠٠٠ من المهاجرين المؤقتين العاملين في مختلف الأعمال، بينما عدد الصينيين نحو ٤٨٠٠٠ نسمة، ونحو ٥٠٠٠ نسمة من البريطانيين، ونحو ٢٥٠٠ نسمة من الهنود والباكستانيين، وأخيراً أقلية من العرب الذين قدموا إليها قديماً من **مسقط وحضرموت**.

وأما العدد المتبقي منهم من الملاويين الذين يتكونون من عدد من القبائل أهمها: دسنس ايانز، ملناو ثم كديانس الذين يسكنون معظم الغابات الكثيفة الداخلية. بينما العدد الأكبر منهم يتركزون في عدد من مراكز السكن (البلدان) الساحلية نخص منها العاصمة بندر سيري پاجوان[٣]، وبنجر وسيرا ورابي وتوتنجو وباداس ثم كاولا.

ومن أشهر مظاهر العمران بهذه السلطنة هي **بلدة (ضاحية)** كمبونج اير، وهي أكبر بلدة في العالم تقام منازلها في المياه، إذ يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠ نسمة وتتمتع بجميع الخدمات

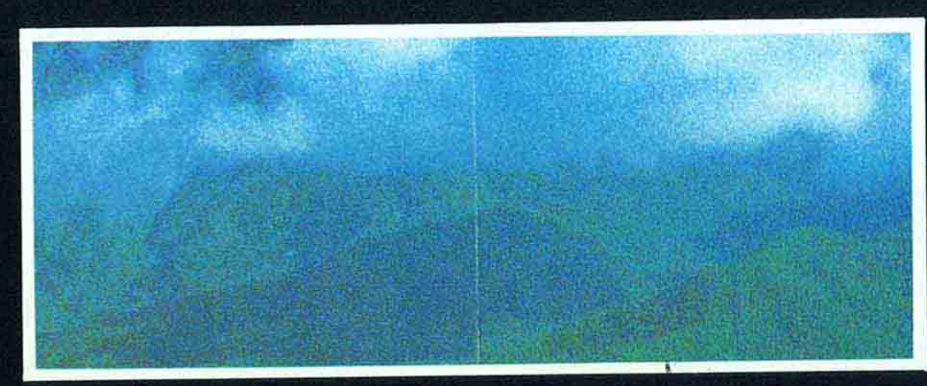
الحكومة لنشر الإسلام ، ويسودهم المذهب السني بل هم أكثر تحمساً بإسلامهم من جيرانهم .

وينعكس ذلك على لباسهم خاصة لباس النساء ، كما أنه من المفضل عندهم استعمال اليد اليمنى . ومن أهم ما يميز البرونيين حبهم إلى الاستقلال الذاتي ، وذلك تأكيداً منهم على تمسكهم بتاريخهم المجيد الغابر زمن الإمبراطورية البروناوية ، ولغة البلاد هي اللغة الملاوية بالإضافة إلى الإنجليزية التي يتكلمها معظم السكان بينما تتكلم الأقلية الصينية لغة هوكين .

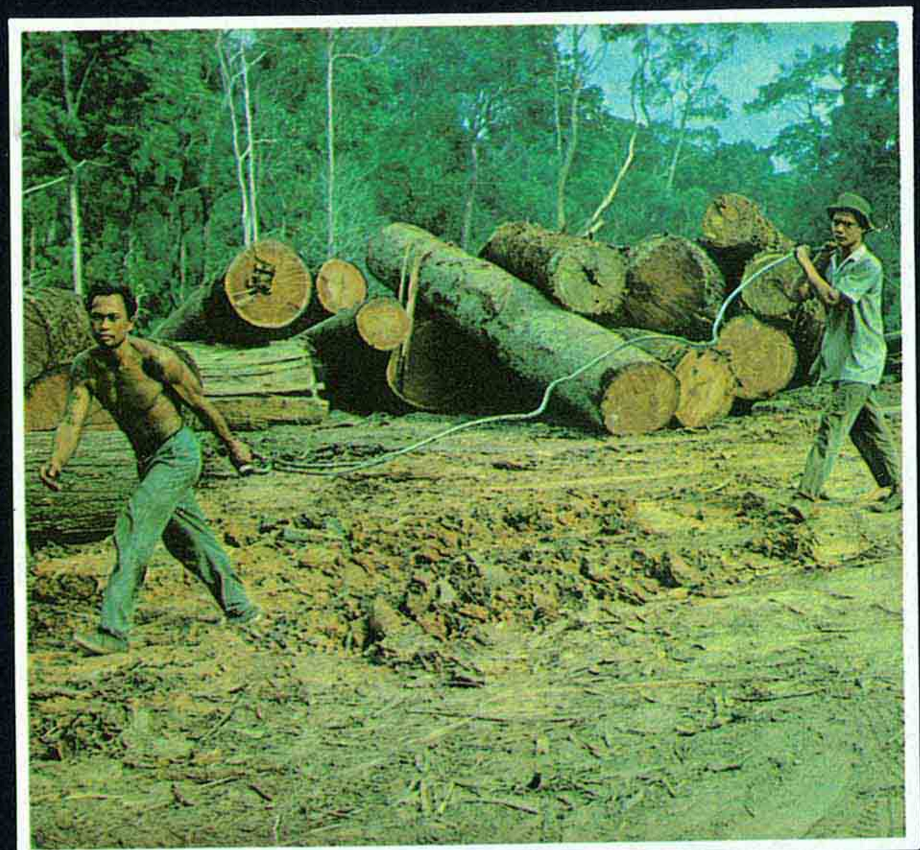
وفيما يخص حرف السكان : فهي هنا متنوعة ومتعددة ، ساعد على ذلك الظروف الجغرافية والطبيعية والبشرية للبلاد خاصة منها موقعها الجغرافي ومناخها ونباتاتها الطبيعية ثم التكوين الجيولوجي ليابستها .

ففيما يتعلق بموقعها الجغرافي فقد حباها الله بواسطته بعدة حرف أهمها وأقدمها الصيد البحري في مياه بحر الصين الجنوبي ومياه خليج بروناي ، هذه المياه الدفيئة والغنية بنباتاتها وأعشابها ومخلوقاتها البحرية حتى اعتبرت من مناطق الصيد الهامة ، كما يدخل موقعها الجغرافي البحري ضمن أهم مشجعات اتخاذها محطة راحة وتموين للسفن التجارية والعسكرية واشتغال عدد من البرونيين في خدمة هذه السفن العابرة ، ثم في ركوب البحر ومتاجرتهم مع جيرانهم خاصة الفلبين والصين والملايو (ماليزيا) .

وفيما يخص جيولوجيتها فقد حباها الله الكريم بطبقات هيدروكربونية غنية بتكويناتها النفطية والغاز الطبيعي احتياطاً وإنتاجاً ، الذي يبلغ يومياً ١٥,٠٠٠ برميل من النفط والذي تبلغ عائداته السنوية نحو ٤٠٠٠ مليون دولار ، أي ٥/٤ من إجمالي دخلها ، أي (٩٠٪) من إجمالي الصادرات البرونية والذي وفر للفرد من سكانها دخلاً سنوياً مقداره نحو ٢٢,٠٠٠ دولار أميريكي ، وهو من أعلى أرقام الدخل للفرد في العالم ، وفي مقابل ذلك ليس هناك أي نوع من ضرائب الدخل في البلاد ، وعملة البلاد هو الدولار البروناوي .



★ جبال بروناي مكسية بالغابات المعتدلة الدفيئة التي تناطح السحاب ★



★ قطع الأخشاب في الغابات ★

أما عن العلاقة التاريخية لبروناي بالإسلام فهي قديمة قدم النشاط التجاري للتجار المسلمين العرب مع أقطار جنوب شرقي آسيا والصين الذين كانوا متخذين من ملاقة (ملقا) مقراً لهم . وقد اتخذ أولئك التجار من **مدينة بندر سيري** محطة لهم ولنشر الدين الإسلامي ، وبنفس الطريقة انتشر الإسلام في هذه البلاد في شمال بورينو ، وما زال ينتشر بين سكانها حتى أصبحت نسبة المسلمين بينهم نحو ٤٥٪ . ويقال إنهم في زيادة مستمرة بسبب تبني

العامة وحتى المساجد ويصلها بالبلاد قوارب ولنشات تسمى «تكسيات المياه» .

ومن أهم المعالم السكانية هنا هو أن نسبة الإخصاب مرتفعة جداً وتصل إلى ٥,١٪ بينما تبلغ نسبة المواليد بينهم (٢٨٪) ونسبة الوفيات ٤٪ لتصبح نسبة الزيادة السكانية الطبيعية ١٠٠٠/٢٤ (٢,٤٪) .... بمعنى أن عدد السكان سيتضاعف بعد ٢٩ سنة . كما سيصبحون في سنة ٢٠٠٠ ميلادية ٤٠٠,٠٠٠ نسمة ، بمعنى آخر أن الكثافة السكانية في الأراضي المعمورة كانت في عام ١٩٨٢ م ، هي نحو ١٢٥٨ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد .

وقد اكتشف النفط في البلاد منذ وقت مبكر ومنذ سنة ١٩٢٩ م ، بواسطة شركة شل الملكية (هولندية ـ بريطانية) أي قبل اكتشافه في البحرين والسعودية والكويت والإمارات .

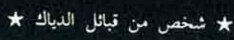
وقد كان لحقول نفطها شركة خاصة أطلق عليها اسم «**شركة شل بروني**» . وقد بدأت بالأرباح مناصفة ولكنها قلصت ليصبح نصيبها فقط ١٥٪ والنسبة المتبقية منه تعطى لحكومة السلطنة .

وفي عام ١٩٧٣ م ، اكتشفت في بروناي حقول ضخمة للغاز الذي سرعان ما تعاقدت بموجبها مع شركة ميتسوبيتشي اليابانية لبناء معمل لإسالة الغاز بحيث يكون لها الثلث والثلث الآخر لشركة شل والثلث الآخر للحكومة ، ولتدخل بروناي مسرح إنتاج وتجارة الغاز المسيل بإنتاج سنوي قدره ٥ ملايين طن من الغاز الطبيعي المسيل .

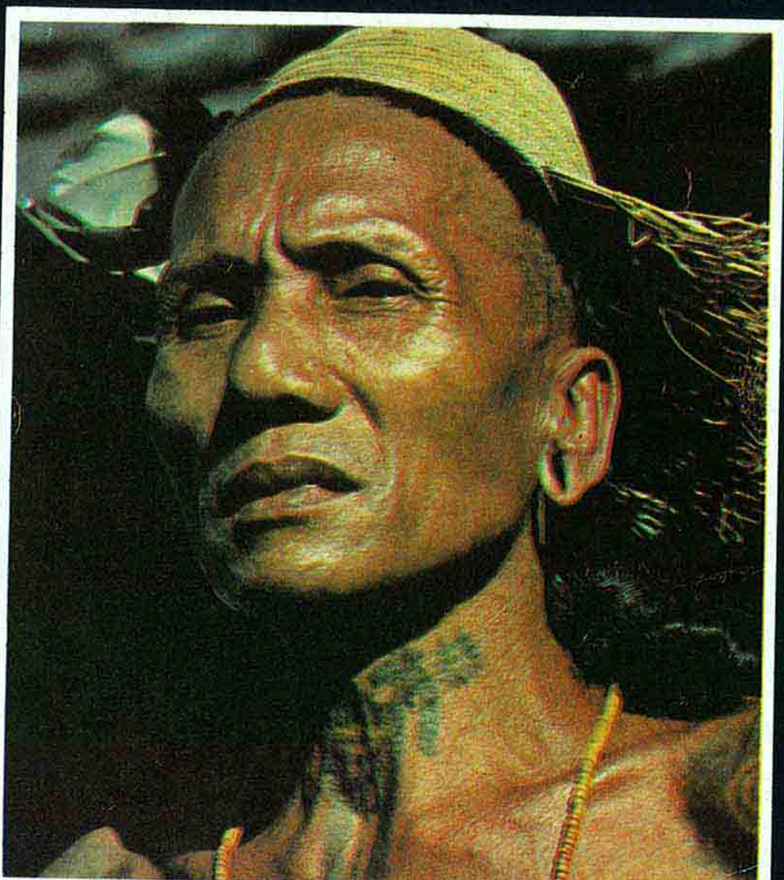
وفيما يخص مناخها : فقد منحها مناخها الاستوائي الغابات الاستوائية الغنية بأخشابها الصلبة التي يعمل في قطعها وتهذيبها وتصنيعها العشرات من سكانها ، بالإضافة إلى ما يصنعونه من فحم نباتي من بقايا التخشيب ، ولن ننسى ما يخرجوه من مادة **اللبان** الذي يلي النفط كغلة نقدية ، كما أن المطاط يعتبر من إنتاجها وصادراتها الرئيسية ، كذلك **الفلفل الأسود** ، ولتسهم جميعاً بما نسبته ١٠٪ من صادرات البلاد (يقال إنها ١٪) بعد صادرات النفط العملاقة .

كما وفر لهم المناخ نباتات وحشائش شبيهة بالسافانا البستانية بالإضافة إلى أوراق أشجار الغابات وأغصانها وأشجارها لترعى وتربى عليها الأبقار الآسيوية وأعداد قليلة من الماعز والأغنام ، ولكنها لا تكفي حاجات السكان من منتجاتها مما يضطرها إلى الاستيراد منها من الهند وأستراليا والصين الشعبية وجنوب إفريقيا وغيرها .

أما عن وارداتها فهي متعددة ومتنوعة وتشمل جميع المنتجات الصناعية والعديد من المواد الغذائية ، خاصة الأرز الغذاء الرئيسي للسكان ، واللحوم والألبان والمنسوجات والأدوية والصناعات الجلدية .



★ شخص من قبائل الدياك ★



المواصلات

تتمتع سلطنة بروناي بشبكة من الطرق المعبدة الداخلية تصل جزءيها ببعضهما عبر سرواق كما تصلها بجارتيها الصباح وسرواق (سرواك) ، ونخص منها ما تتمتع به العاصمة بندر سيري من طرق وشوارع واسعة جميلة جداً ، تخدم عليها أعداد كبيرة من السيارات ، هذا خاصة ونحن في بلد نفطي من الدرجة الأولى .

ولا ننسى هنا دور اللنشات والقوارب التي تصل بين العاصمة وضواحيها من العوامات ويسمونها محلياً تكسيات المياه . كما تقوم اللنشات بأعمال النقل الهامشية بين قرى ومدن السواحل البرونية والماليزية الشرقية .

أما فيما يخص مواصلاتها مع العالم الخارجي فهي هنا إما الطيران وخاصة منه شركة بروناي الملكية للطيران ، والخطوط البريطانية (كاليدونيا) والماليزية . . والوسيلة الثانية هي سفن النقل والتنقل التي تصل موانئ السلطنة بموانئ ماليزيا وهونج كونج والفلبين وفرموزا والهند وغيرها .

وتتمتع بروناي هذه السلطنة المسلمة بخدمات التلكس المباشرة والهاتف مع معظم أنحاء العالم ، ذلك لأنها تحظى بمحطة أرضية للأقمار الصناعية تخدم اتصالاتها الهاتفية والبرقية ثم إرسال الإذاعة المرئية (التلفزيون) .

ومن أهم مظاهر هذا القطر تمتعه بصناعة الكهرباء بواسطة عدد من المحطات المركزية التي تباع بأسعار رمزية نظراً لمجانية وقود تلك المحطات .

الهوامش

(١) اسمها القديم بورينيو .

(٢) تسمى حالياً الولايات الشرقية من مملكة اتحاد ماليزيا .

(٣) كانت تسمى بندر بروني ، وهي تقع في الركن الشمالي الشرقي من الجناح الغربي .

صعوبات التنمية الذاتية في الوطن العربي والعالم الثالث

يدور محور هذه التأملات حول قضايا التنمية في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث على العموم. وتميل مقولتنا هنا ـ كما سوف يتضح ـ إلى القول إن نجاح عملية التنمية الذاتية (أي تطوير طاقات وإمكانات المجتمع ذاتياً) بالدول النامية غير ممكنة في الظروف الراهنة، وذلك رغم المناداة بها أكثر فأكثر من طرف بعض مختصي التنمية في العالم المتقدم والنامي على السواء.

ويرجع موقفنا المتشائم هذا أساساً إلى عامل «ميزان القوى» الذي لا زال يُعطي المجتمعات الصناعية استمرارية قدرة الهيمنة على المجتمعات النامية التي ظنُن أنها تخلصت من نير الاستعمار بعد نيلها استقلالها.

بقلم: د. محمود الذوادي

مفهوم ميزان القوى

طالما تُستعمل عبارة «ميزان القوى» على **المستوى العسكري** في علاقات الدول بعضها ببعض. فيُقال مثلاً إن «ميزان القوى» في الصراع العربي الإسرائيلي لا زال لصالح الطرف الصهيوني. ومعنى ذلك أن الغلبة العسكرية في أي حرب مستقبلية ـ كما كان الوضع في الماضي ـ بين المتنازعين ستكون إلى جانب العسكرية الإسرائيلية.

أمّا استعمال مفهوم «ميزان القوى» هنا فهو أعَمُّ من المعنى العسكري الضيق. فهو يُفيد عندنا **كل تلك القوى والعوامل التي يستطيع بها مجتمع أو مجموعة من المجتمعات السيطرة على وطن أو فئة من الأوطان الأخرى**. ومن أهم عناصر «ميزان القوى» في العصر الحديث هي **العوامل العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والعلمية والسياسية والثقافية**. فالمجتمعات الصناعية تلجأ أكثر فأكثر إلى هذه الوسائل للضغط على مجتمعات العالم الثالث بما في ذلك في مسيرتها التنموية شكلاً ومحتوىً. فلف تجارب التنمية في كل من العالم العربي والعالم الثالث منذ الحرب العالمية الثانية هو ملف تعثر وفشل على العموم. وفي رأينا أن الأمر سوف يستمر على هذا المنوال طالما ظلت معادلة «ميزان القوى» تخدم من جهة مصالح المجتمعات الصناعية أولا وقبل كل شيء، ومن جهة ثانية ما دام أن المجتمعات النامية لم تحقق بنفسها إشادة البنية القاعدية الأساسية للعملية التنموية **الذاتية**. ولا يبدو أن هناك مؤشرات جدية لدى مجتمعات العالم الثالث من شأنها أن تُغَيِّرَ من «ميزان القوى» بطريقة جذرية فتجعله يميل لصالحها.

محاولة تغيير ميزان القوى

إن مناداة دول الجنوب ـ منذ أن خطب **الرئيس الراحل هواري بومدين** بمقر الأمم المتحدة ـ بنظام اقتصادي عالمي جديد، تُعتبر محاولة لبداية تغيير معطيات معادلة «ميزان القوى» إلى صالح مجتمعات العالم الثالث. فلقد تبيَّن لهذه الدول أن التنمية لن تتحقق



بدون توزيع جديد **أعدل** (حتى لا نقول **عادلا**) بين الشعوب لثروات الأرض ، واستلام أسعار معقولة مقابل مواردها الطبيعية بحيث تدر لها رصيداً اقتصادياً أكبر لإدارة مشاريع التنمية .

ورغم ما في دعوة الدول النامية من شرعية ، فإن المجتمعات الصناعية لم ترحب بذلك . ومن ثَمَّ بدأ توتر جديد يسطو على العلاقات بين الطرفين . وتعاقبت حوارات « الجنوب مع الشمال » دون أن يحدث أي تغيير يذكر في موقف الدول الصناعية الغنية ، ويمكن تحديد **ثلاثة** أسباب على الأقل لذلك :

(أ) إن المجتمعات الصناعية الغربية تمر منذ سنوات بأوضاع اقتصادية هي أَقْرَبُ إلى التراجع Mecession منها الى الاستقرار أو النمو المتزايد . ومن هنا يبدو من غير الواقعي أن تنتظر الدول الفقيرة النامية من الدول المتقدمة الثرية استعداداً فعلياً لتوزيع جديد **أعدل** لخيرات الأرض ، وذلك رغم ما أفصحت عنه الإحصاءات العالمية **بالأرقام** بخصوص استمرار تزايد الفجوة الاستهلاكية بين سكان الشمال والجنوب .

(ب) وحتى لو كان اقتصاد المجتمعات الصناعية في حالة طيبة ، فإن الرأي العام السائد في هذه المجتمعات لا يبدو أنَّه مستعد بحق للقيام بعملية التوزيع الجديد . فأغلبية الناس هناك لا زالت تؤمن الإيمان الكبير بفكرة النمو المتزايد Increased and Sustained growth ، وما دام هذا هو موقف سواد الشعب فإن الحكومات سوف تجد نفسها غير قادرة ـ في أنظمة ديمقراطية ـ على تبني سياسات تتعارض مع الإجماع الشعبي العام .

(جـ) ولعل المرء يستطيع ـ إلى جانب ما وَرَدَ أعلاه ـ إرجاع قسط كبير من تَلَكؤ الدول الصناعية الغربية إلى الخلفيَّة التاريخية لظاهرة التنمية نفسها في الغرب منذ القرن السابع عشر الميلادي . فمن المعروف أنها اقترنت إلى حد كبير بعملية الاكتساح التوسعي الاستعماري الغربي في كل من **آسيا وإفريقيا وأميريكا اللاتينية** . ومن المُسَلَّم به أن من أهم



دوافع الحركة الاستعمارية هذه ، هي تلبية حاجاتها من المواد الخام الرخيصة التي تطلبها عمليات التصنيع . **وليس من المبالغة** إذن أن **نَرُدَّ جانباً كبيراً من ارتفاع المستوى الاقتصادي الغربي الهائل إلى استغلال الموارد الطبيعية لمجتمعات العالم الثالث التي سقطت تحت نير الاستعمار الغربي** . ومن ثَمَّ فإنه لمن الخطأ أن نُفسِّرَ النمو الاقتصادي الضخم للغرب ، في العصر الحديث ، على أنه نتيجة للقوى الداخلية **فقط** لهذه المجتمعات . فظاهرتا التَّنمية في الغرب من جهة ، والتخلف في العالم العربي والعالم الثالث من جهة أخرى ، هي **في نظرنا حصيلة لتفاعل العوامل الداخلية والخارجية للمجتمعات الإنسانية** . ومع ذلك فالغرب لا يكاد يعترف بهذه المعطيات التاريخية التي عملت لصالحه على حساب غيره ، وبالتالي فهو غير مستعد لمناقشة مبدأ نظام اقتصادي عالمي جديد يسلبه الشيء الكثير من منافعه وامتيازاته .

الغرب وبقية أوراق عملية التنمية

إن « ميزان القوى » الذي تمسك به المجتمعات الصناعية على الساحة العالمية لا ينحصر في التفوق الاقتصادي فحسب وإنما يمتد إلى مجالات أخرى جدُّ حيوية بالنسبة للتنمية بوصفها ظاهرة متعددة الجوانب . فالدول الصناعية الغربية لا زالت المصدر المؤثر المُهم في المجتمعات النامية في قطاعات التكنولوجيا والعلوم والثقافة ووسائل الإعلام .

وكل هذا لا يزيد الطين إلا بَلّة . فكيف يمكن أن تقبل الدول الغربية المتقدمة بمبدأ إيجاد نظام اقتصادي جديد ، وهي المستفيد من بقاء الحال كما هو عليه اليوم .

صعوبة توطين التنمية

مما سبق يتضح أنَّ إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد **عادل** أمرٌ غير وارد في الظروف الراهنة التي تحكم المجتمعات . وهذا الواقع هو ضربة جارحة للتنمية **الذاتية** في مجتمعات العالم الثالث . فاستمرار النظام الاقتصادي العالمي على ما هو عليه سوف يسلب الدول النامية من القاعدة الاقتصادية اللازم توفرها لكل عملية تنموية . فبدونها تظل المجتمعات عاجزة حَتْماً عن القفز والانطلاق **الذاتيين** في عالم التنمية .

ولكن رغم ما للعامل الاقتصادي من أهمية في تحريك عملية التنمية ، إلا أنه من السذاجة أن يعتقد المرء أن مُجرد تَوفُّر العامل المادي في مجتمع ما يؤدي بالضرورة إلى كسب الفوز بتحقيق التنمية **الذاتية** (المُوَطَّنَة) المتكاملة . فهذه الأخيرة تحتاج إلى عدة عوامل تتعدى العامل الاقتصادي . فمجتمعات الخليج العربية اكتشفت أن طفرة المال ليست كل شيء بخصوص إنجاح عملية التنمية الذاتية (الوطنية) الشاملة . ومن هنا تنبهت إلى أن ثروة البلاد الحقة إنما تكون في أبنائها ، ورأت أن توطين المهارات والخدمات والأيدي العاملة والوسائل التكنولوجية والعلوم . . . في بنية هذه المجتمعات لا يزال من أهم تحديات إرساء هياكل تنمية وطنية مكتفية فعلاً **ذاتياً** . ومن هنا فإن حُظوظ العالم العربي والعالم الثالث من التنمية **الذاتية** الحقة لا تحتاج إلى تعديل النظام الاقتصادي العالمي فحسب ، وإنما إلى تغيير جذري في نظام « ميزان القوى » بين شعوب الجنوب والشمال . ولا يبدو أن ذلك ممكن فعلاً في المستقبل القريب على الأقل .





كانت العقوبة في العصور القديمة تخضع لمبدأ الانتقام والثأر، وهذا المبدأ تتحكم فيه الظروف الاجتماعية لكل من الجاني والمجنى عليه، ومدى قوة كل منهما، سواء من حيث القوة القبلية، أو المكانة الاجتماعية.

ونظراً لطبيعة العلاقات الاجتماعية في تلك العصور، التي كانت تخضع لنوع من التنظيم القبلي والعشائري، فإن الجريمة أو العقوبة لم تكن ذات طبيعة فردية، بين الجاني والمجنى عليه، وإنما كانت ذات طبيعة اجتماعية، وهذه الطبيعة كانت تجعل حجم الجريمة كبيراً إلى درجة تعتبر فيها الجريمة موجهة ضد القبيلة بأكملها، ولذا فإن المجنى عليهم وهم كل من ينتمي إلى تلك القبيلة، كانوا يقفون صفاً واحداً في مواجهة الجاني ومواجهة قبيلته.

وهكذا كانت الجريمة الفردية لا تتوقف حدودها عند طرفي الجريمة، وإنما كانت تمتد لتشمل قبائل وعشائر، وكثيراً ما كان لهيب الثأر يمتد ليأكل الأخضر واليابس، وتجري أنهار الدماء بين قبائل متجاورة، لمدة سنوات.

مبدأ التصالح

ثم ظهر لدى **قدماء اليونان مبدأ التصالح** على مال، في الجريمة، وذلك كمحاولة للسيطرة على عمليات الثأر المتلاحقة، وكان مقدار المال المتصالح عليه يخضع لطبيعة الجريمة، ولظروفها، والمكانة الاجتماعية للمجنى عليه ولقبيلته، ولمدى قوة القبيلة في الأخذ بالثأر.

ثم تطور هذا المبدأ لدى الأمم القديمة، وأصبح عرفاً عاماً مألوفاً، له قيمة القانون، وقوة إلزامه، سواء من حيث قبول الطرفين في التصالح على مال لقاء التنازل عن الثأر، أو من حيث تحديد مقدار المال الذي يتم التصالح عليه.

وعرف هذا المبدأ **عند العرب** في الجاهلية، وأصبحوا يتحاكمون إليه، ويحكم به حكماؤهم، ويقضي به أهل القضاء منهم، وفق معايير لم تكن تخضع – على وجه التأكيد – لمبدأ من مبادئ العدالة، ولم تكن تنسجم مع صورة من صور العدل، وإنما كانت تعبر عن الصراع الأبدي بين الأقوياء والضعفاء، حيث يتاح للقوي أن يفرض سلطانه على الضعيف، وفق طريقة من طرق الإذعان، التي لا يجد الضعيف أمامها أية فرصة للمناقشة أو الحوار، وإنما يجد نفسه أمام خيارين، إما القبول والاستسلام، وإما الرفض المؤدي إلى الانتقام.

ولا نجد صعوبة في التأكد من هذه الصورة القائمة من خلال ما نقرأه من روايات عن تاريخ العصر الجاهلي، وتاريخ الحروب الجاهلية، التي كانت من معالم حياة القبائل العربية قبل الإسلام.

وعندما جاء الإسلام لم يكن من الممكن أن يقضي على الجريمة في المجتمع، فالجريمة ظاهرة اجتماعية، لا يمكن السيطرة عليها نهائياً، وأقصى ما يملكه المصلحون أن يتحكموا في تلك الجرائم، وذلك عن طريق السيطرة على أسبابها، والتخفيف من آثارها وانعكاساتها على المجتمع...

ومن هذا المنطلق فقد أقر الإسلام مبدأ القصاص وذلك في الجرائم العمدية المقصودة ذات الطبيعة العدوانية، ومبدأ الدية في الجرائم التي لا تتوفر فيها أركان الجريمة العمدية، كما أجاز لأصحاب الحق في جرائم القصاص أن يتنازلوا عن حقهم في القصاص لقاء «بدل مادي» هو ما يسمى بالدية.

مشروعية الدية

وتطلق كلمة «الدية» على المال الذي يقوم الجاني بدفعه للمجنى عليه أو لأوليائه كعوض عن الجناية التي ارتكبها، سواء كانت الجناية على النفس أو على ما دون النفس. واصطلح الفقهاء على إطلاق كلمة «الأرش» على الدية التي تدفع بدلا عن الجروح.

وقد جاءت مشروعية الدية من خلال النصوص القرآنية، التي أقرّت مبدأ الدية.

قال تعالى ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصدّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة** ﴾[1].

وقال أيضاً ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب**



عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾[٢] .

ونلاحظ أن الآيات القرآنية قد أقرت مبدأ الدية ، ولكنها لم تحدد مقدارها وأحكامها ، وتركت ذلك للسنة النبوية التي كانت تقوم بدور البيان لما أجمله القرآن من أحكام ، والتأكيد لما أقرّه القرآن من بيان .

روي عن **أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم** عن أبيه عن جده ، أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** كتب إلى أهل اليمن كتاباً ، وكان في كتابه أن من اغتبط[٣] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتول ، وأن في **النفس** الدية مائة من الإبل ، وأن في **الأنف** إذا أدعب جدعه الدية ، وفي **اللسان** الدية ، وفي **الشفتين** الدية ، وفي **البيضتين** الدية ، وفي **الذكر** الدية ، وفي **الصلب** الدية ، وفي **العينين** الدية ، وفي **الرجل الواحدة** نصف الدية ، وفي **المأمومة** نصف الدية ، وفي **الجائفة** نصف الدية ، وفي **المنقلة** خمسة عشر من الإبل ، وفي **كل إصبع من أصابع اليد والرجل** عشر من الإبل ، وفي **السن** خمس من الإبل ، وفي **الموضحة** خمس من الإبل ، وأن **الرجل يقتل بالمرأة** ، وعلى أهل الذهب ألف دينار ، رواه النسائي[٤] .

والدية في الفقه الإسلامي محددة ، وذلك لأن الإسلام يريد أن يقيم التعويض على أساس العدل ، وليس على أساس التصالح على مال ، الذي يخضع لمعايير القوة والضعف ، **والإسلام لا يعترف بالتفاوت فيما يتعلق بحياة الإنسان ، فالحياة الإنسانية ذات قيمة واحدة ، بالنسبة للجميع ، وكل من يعتدي على آخر متعمداً معتدياً فإن عقوبته القصاص ، فإن عفي عنه انتقل حقه إلى التعويض المالي كعقوبة بدلية ، وإذا لم تكن الجريمة متعمدة ، فإن حق المجنى عليه أو أوليائه هو الدية ، كعقوبة أصلية .**



وتعطينا الدية معنى الغرامة من جهة ، والتعويض من جهة أخرى ، وذلك لأن الدية تستهدف زجر الجاني بفرض الدية عليه ، لئلا تهدر حقوق المجنى عليه أو أوليائه ، وتستهدف في نفس الوقت تعويض المجنى عليه أو أوليائه ، ببدل مادي يدفع لهم ، وهو وإن لم ينظر إليه كعوض عن الدماء ، فهو نوع من أنواع التعويض المادي لترميم الضرر الذي وقع على المجنى عليه ، ويؤكد معنى التعويض أن الدية لا تدفع إلى الدولة كما هو الشأن في الغرامة ، وإنما تدفع لمن وقع عليهم الضرر .

شروط وجوب الدية

يشترط لوجوب الدية شروط أهمها :

(١) أن يكون فعل الجاني غير مشروع : ويراد بعدم المشروعية أن يكون ما صدر عن الجاني محرماً في نظر الشريعة الإسلامية ، وداخلاً ضمن دائرة الأفعال التي تعاقب عليها الشريعة ، فإذا كان الفعل مشروعاً في الأساس ، وترتب عليه ضرر بالمجنى عليه ، دون أن يكون هناك أي تقصير أو تجاوز في استعمال ذلك الحق المشروع ، فلا قصاص ولا دية ، وذلك لأن المسؤولية تنحصر في عدم المشروعية .

وبناء على هذا المبدأ ، لا يعتبر الطبيب مسؤولاً عن موت المريض أثناء علاجه ، بسبب دواء أو بسبب عملية جراحية ، ما لم يثبت وقوع تقصير من الطبيب ، وفي هذه الحالة يحاسب الطبيب على التقصير ، وفقاً لما يراه أهل الاختصاص .

ويدخل ضمن المشروعية حق التأديب الشرعي ، ومن المؤكد أن حق التأديب لا يجيز إلحاق الضرر الجسيم بمن أقرت الشريعة تأديبهم ، كالأطفال ، ومن الضروري هنا أن نفرق بين التأديب المشروع الذي لا يلحق الضرر بمن وقع عليه التأديب ، والتأديب غير المشروع كالضرب المبرح أو استعمال أداة جارحة ، وفي هذه الحالة تثبت الدية ، وتعتبر جريمة .

ويرى الفقهاء المتأخرون أن حق التأديب الذي أباحه الشرع مقيّد بشرط السلامة ، وهو حق للمؤدب ، فإن لم يحرص على سلامة من وقع عليه التأديب فهو مسؤول عن تصرفه ، وعليه الدية الشرعية .

(٢) ألا يكون المجنى عليه قد اشترك فيما أدى إلى إصابته : وذلك لأن المجنى عليه إذا شارك فيما أدى إلى موته لا يمكن اعتبار الجريمة كاملة ، ويمكن اعتبار الجاني متسبباً في الجريمة ، كما إذا غرر الجاني بالمجنى عليه فدفعه إلى موقف لاقى فيه حتفه فلا يمكن اعتباره قاتلاً ، ويجب عليه التعزير ، كما إذا نصحه باستعمال دواء سام فمات بسببه .

وهنا يثور تساؤل حول ما إذا وضع شخص ما سماً لآخر في طعامه ، فأكل المجنى عليه الطعام مختاراً دون أن يعلم بوجود السم فيه ، فإن الراجح في الأمر لدى جمهور الفقهاء أنه يعتبر قتلاً عمداً ، لأن السم يعتبر وسيلة للقتل ، ولا يختلف في شيء عن أية آلة قاتلة ، وإن تناول المجنى عليه للطعام المسموم بإرادته لا يمكن اعتباره مشاركة منه في قتل نفسه ، ولو كان القتل بالسم مانعاً من القصاص ، لأصبح القتل به وسيلة معتادة للتخلص من القصاص مع أنه أكثر خطورة من آلة القتل المعتادة .

(٣) أن يكون المجنى عليه معصوم الدم في نظر الشريعة : وهذا الشرط يجعل الجريمة مرتبطة بالعصمة الشرعية ، وليس بمجرد الفعل المادي ، فمن قتل حربياً لا تجب عليه الدية ، لأن الحربي مهدر الدم ، وكذلك كل حربي يدخل إلى دار الإسلام بنية التخريب والتجسس .

ويعتبر المسلم معصوم الدم ، ولا تزول عصمته إلا بوجود سبب يهدر دمه ، كالردة ، وإذا كان الإسلام هو سبب العصمة ، فإن خروجه من الإسلام هو سبب لإهدار دمه ، وكذلك يعتبر الذمي معصوم الدم ، ولا يجوز قتل ذمي سواء كان يهودياً أو نصرانياً ، إذا أعطي له الأمان ، وسبب العصمة هنا ليس الإسلام ، وإنما هو العهد والأمان ، ما احترم شروط العهد ، والتزم بها .

إقرار الإسلام لمبدأ التكافل في دفع الدية

أجاز الإسلام لعاقلة الجاني أن تشترك في دفع الدية معه ، وذلك في غير جريمة العمد ، أي في جريمة الخطأ ، وجريمة شبه العمد ، والحكمة من ذلك أن الجاني إذا ارتكب جريمته بطريقة العمد ، وتوفرت فيها كل أركان الجريمة العمدية ، فيجب عليه أن يتحمل وحده القصاص ، أو العقوبة البدلية عن القصاص ، وهي الدية ، عقوبة له على جريمته .

أما إذا كانت الجريمة قد وقعت عن طريق الخطأ ، فإن الإسلام أراد ـ تخفيفاً عن الجاني الذي لم تتوفر لديه نية الجريمة ـ أن تشاركه عاقلته في دفع الدية ، تعبيراً عن التضامن المادي بين أفراد العائلة أو القبيلة الواحدة ، وأعتقد أن هذا هو نوع من أنواع **التأمين التكافلي** ، الذي تتحمل فيه عاقلة الجاني جزءاً من المسؤولية المادية عما يقع على أحد أفرادها من أعباء مادية .

وهذا التكافل محمود الأثر ، عظيم الفائدة ، وهو تكافل خاص بالجرائم التي تفتقد صفة العمدية ، لئلا يكون هذا التكافل مشجعاً على الجريمة .

مفهوم العاقلة في الفقه الإسلامي

العاقلة مأخوذة من عقل البعير إذا شد وظيفه إلى ذراعه ، يقال : عقل عنه إذا أدى عنه جنايته ، والعقل هو الدية ، ويقال : تعاقلوا دم فلان أي عقلوه بينهم .

قال **ابن قدامة الحنبلي** :

« العاقلة من يحمل العقل ، والعقل الدية ، تسمى عقلاً لأنها تعقل لسان ولي المقتول وقيل : إنما **سميت العاقلة لأنهم يمنعون عن القاتل** ، والعقل المنع »[٥] .

قال **الرملي الشافعي** :

« وسموا عاقلة لعقلهم الإبل بفناء دار المستحق ، ويقال : لتحملهم عن الجاني العقل أي الدية ، ويقال لمنعهم عنه ، والعقل المنع ، ومنه سمي العقل عقلاً لمنعه من الفواحش »[٦] .

وتختلف المذاهب الفقهية في تعريف العاقلة ، هل هم الأقرباء من أصحاب العصبة النسبية ، أم هم أهل الديوان ، وإذا أخذنا بالاعتبار أن العاقلة هم أهل النصرة ، فإذا كانت النصرة بالأهل كانت الدية فيهم ، وإذا كانت النصرة بالديوان بالنسبة للجند ، كانت الدية فيهم .

والتساؤل الآن . . إذا كان مفهوم العاقلة مرناً ، ويقبل الاجتهاد ، ويرتبط بالنصرة فكيف يمكننا أن نفهم مدلول العاقلة في عصرنا الحديث ، وهل يمكن أن تعتبر النقابات المهنية أو الجمعيات المتخصصة هي العاقلة بمفهوم عصرنا ، وبخاصة بعد أن ضعفت روابط القبيلة ، وأصبحت روابط المهنة أقوى من روابط العصبة النسبية . . . كل هذا يحتاج إلى نظر جديد وتفسير جديد .

وفي جميع الأحوال فإن الفقهاء قد نصوا على أنه لا يجوز أن تتحمل العاقلة ما لا تطيق من التكاليف ، وأنه لا يجوز أن نسعى للتخفيف عن الجاني بإيجاد تكاليف جسيمة على العاقلة التي لم تشارك في الجريمة ، وبالتالي فإن من الضروري أن توزع المسؤوليات المادية ، بحسب قدرة الأشخاص ، وحسب استطاعتهم المادية ، ولا يكلف الفقير من العاقلة بدفع ما يعتبر عبئاً عليه .

مسؤولية بيت المال عن دفع الدية

يعتبر بيت المال مسؤولا عن دفع الدية إذا لم يكن للجاني عاقلة تدفع عنه ما يجب عليه ، وقد ذهب إلى هذا الرأي **الإمام الشافعي** ، وحجته في ذلك أن بيت المال يرث من لا وارث له ، ويجب عليه أن يتحمل الدية عمن لا عاقلة له .

واستدل على هذا الرأي بما روي عن **علي ابن أبي طالب** عندما قتل رجل في زحام في زمن عمر ولم يعرف قاتله أنه قال **لعمر بن الخطاب** : « يا أمير المؤمنين ، لا يطل دم امرئ مسلم ، فأدى ديته من بيت المال ، ولأن المسلمين يرثون من لا وارث له ، فيعقلون عند عدم عاقلته كعصباته ومواليه »[٧] .

وهذا التكافل بين الفرد والدولة يعتبر نموذجاً حياً لمدى مسؤولية الدولة في نظر الإسلام عن تحمل ما يعجز عنه الأفراد ، عندما يفتقدون الأهل والنصير ، وهذه المسؤولية تبرز لنا سمو نظرة الإسلام للحقوق ، وأن تلك الحقوق تظل حية ، ولا تهدر ، وأن الدولة يجب عليها أن تكون في النهاية هي الجهة التي تحمي الحقوق ، وتتحمل أعباء من يعجزون عن أداء ما عليهم من واجبات .

واعتقد أن مسؤولية بيت المال عن دفع الدية عند عدم توفر العاقلة القادرة على المشاركة في واجب التضامن والتكافل في مجال الواجبات المالية يؤكد مدى مسؤولية الدولة في نظر الإسلام في القيام بتحمل الأعباء الواجبة على الفقراء والمساكين ، وإذا ثبت هذا المبدأ فإن من المؤكد أن هناك واجبات أخرى أكثر أهمية من موضوع الدية ، تجب على الدولة أن تتحمل مسؤولياتها فيها ، وأبرزها ضمان حياة الفقراء والعجزة والأطفال ممن لا يجدون ما يوفر لهم الحياة الكريمة التي ضمنها لهم الإسلام ، كحق من حقوقهم الإنسانية .

الهـوامش

(١) سورة النساء ، الآية ٩٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ .
(٣) الاغتباط : القتل بغير سبب موجب ، وأصله من اغتبط الناقة إذا ذبحها من غير مرض .
(٤) انظر : نيل الإطار ، جـ ٧ ، ص ٦١ .
(٥) انظر : المغني ، جـ ٧ ، ص ٧٨٤ .
(٦) انظر : نهاية المحتاج ، جـ ٧ ، ص ٣٥٠ .
(٧) المغني لابن قدامة ، جـ ٧ ، ص ٧٩١ .



و.. للحديث شجون







بقلم: عبد العزيز الرفاعي

حدثنا الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي في كتابه العظيم (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) حديثاً ممتعاً مسهباً عن الإمام اللغوي الفيروزآبادي ، صاحب (القاموس المحيط) .. وأعطانا ملامح من حياته في مكة ، أثناء مجاورته بها .

وقال لنا إنه كان يملك كتباً كثيرة ، ولكنه أذهبها بالبيع ، فلما توفي ، لم يجد الناس عنده ما كان يظن وجوده منها .

ويبدو أن الفيروزآبادي كان يعيش على جانب من البحبوحة .. فله على الصفا دار واسعة فيحاء ، وله بمكة بُستان ، وقد يكون له في الطائف آخر .. وهذا يعني الإنفاق الكثير .. ولعل نفقته زادت عن دخله ، فاضطر إلى بيع جانب من كتبه على حبه لها .

والسيد الفاسي نفسه ، كان يملك مكتبة كبيرة ، غنية بنفائس الكتب .. كان لها مكان مخصص من دار آل الفاسي بمكة في حي أجياد ، وكنت أتردد ، بعض الأحايين في صباي على هذه الدار ، لزمالة دراسية تضمني مع بعض أحفاده .. وكان منهم محمد علي الفاسي .. أعني من أولئك الأحفاد ، لا من أولئك الأنداد .. وكان محمد علي مولعاً بالكتب ، حفياً بمكتبة جده ، حريصاً على نفائسها ، طالما حدثني عنها حديث المعجب المأخوذ .. وكان ينوي أن يطلعني على هذه المكتبة .. لو أتيحت لي فرصة .. ولكن الموت كان أعجل إلى الشاب فاخترمه .. واخترم معه الفرصة التي كنت أترقبها لرؤية مكتبة الفاسي الكبير .

ولم أعد أعلم من شأن هذه المكتبة شيئاً ولا عن مصيرها .

ومكتبة السيد الفاسي كانت إحدى مكتبات مكة الخاصة ، التي لا يشك في نفاسة مقتنياتها .. هذا إذا لم يذهب الزمن بنفائس هذه المقتنيات .. في تلك الفترة الزمنية التي أعقبت موته سنة ٨٣٢ هـ ، إلى ذلك الزمن الذي أتحدث عنه أعني ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، أي ما يزيد على خمسمائة سنة .. وهي مدة كافية لتفرق ما اجتمع من تلك النفائس ، إلا أن تصان صيانة نادرة المثال .. وإن لم تخني الذاكرة فقد كان السيد محمد علي يرجح بقاءها على حالها .

ومن المكتبات الخاصة المشهورة بمكة مكتبة الشيخ ماجد كردي ، صاحب المطبعة الماجدية .. وهي مطبعة مشهورة ، طبعت كتباً أصبحت الآن نادرة الوجود .. وكان الرجل رحمه الله من هواة جمع الكتب .. اقتنى مكتبة نفيسة بين الكتب المخطوطة والمطبوعة .. ومن أبنائه من كانت له بالكتب عناية بل شغف .. عرفت ذلك في الأستاذ كامل كردي رحمه الله .



وقد ابتاع هذه المكتبة بعد موت صاحبها الشيخ عبّاس قطان الذي كان أميناً للعاصمة (أي رئيساً لبلدية مكة) ، وقد توفي رحمه الله قبل أن ينقلها إلى المقر الذي بناه خصيصاً لها .. ولكن ورثته قاموا بهذه المهمة .. وهذه المكتبة موجودة الآن بمكة ، ومتاحة لروادها .

ومن أصحاب المكتبات الخاصة ، التي تزخر أيضاً بنفائس الكتب المطبوعة والمخطوطة مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي .. وقد أدركت الرجل بمكة في مطلع حياتي .. واجتمعت به أكثر من مرة ، وله في مجلة «المنهل» كتابات ، كما أن ابنه الأستاذ محمود عبد الوهاب ، من الأدباء الكتّاب .. وقد نفذ وصية والده رحمه الله فأودع مكتبته الثمينة مكتبة الحرم المكي ، في ركن خاص بها ، فهي موجودة هناك متاحة للباحثين والدارسين .

وكان الشيخ عبد الله الصنيع رحمه الله ، من رجالات مكة المكرمة ، وكان من هواة الكتب ، ولكنه كان جمّاعة واعياً ، عالماً فاضلاً .. وقد جمع مكتبة كبيرة اشتهر أمرها .. وعندما أسندت إليه وظيفة إدارة مكتبة الحرم المكي قبلها ، وكان أهلاً لها لخبرته وواسع اطلاعه .

ولما توفاه الله ، آلت مكتبته إلى جامعة الملك سعود بالرياض عن طريق الشراء من ورثته .. فهي الآن من مقتنياتها .. بل لعلها من أنفس ما اقتنت .

وكانت تجمع الشيخ الصنيع صداقة حميمة بالشيخ محمد حسين نصيف ، يرحمها الله .. وكانت هواية الكتب قاسماً مشتركاً بينهما .. فلا يكادان يجتمعان إلا ويكون الحديث عن الكتب ، وما جدّ من أمرها .. ومن مطبوعها ومخطوطها محور أحاديثهما .

وكما هو معروف ، فلقد كان الشيخ محمد حسين نصيف عين من أعيان جدة ، بل هو من رجالاتها في المقدمة استطارت شهرته في آفاق البلاد الإسلامية ، وبعد صيته في الكرم ، وحبّ الكتب .. واقتنى مكتبة كبيرة جداً .. معظمها مطبوع ، ويقلّ فيها المخطوط .. وكان يفتحها للرواد والباحثين والناسخين .. ولكنه قلّما يعير منها شيئاً ، حفاظاً عليها .. فالعارية إحدى آفات الكتب .. وكنت أتردد على هذه المكتبة ، فيهش لي صاحبها ، وآنس لحديثه .. ولطيف معشره .

وقد آلت مكتبته عن طريق الشراء إلى مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة .. ولكني لا أعلم هل أتيح ترتيبها وإتاحتها للمطالعة .. أم لا تزال قيد الإجراء ..؟

والحديث عن الكتب والمكتبات لا يكاد ينتهي .

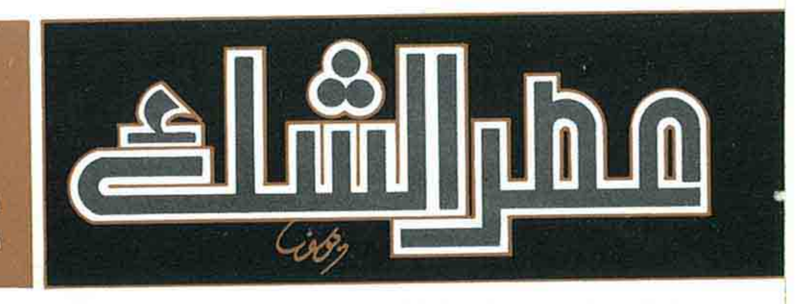
الداعية الإسلامي في

لا نجد عصراً تجسدت فيه أسباب الشك تجسداً يلمس باليد كهذا العصر ، إذ جدّت فيه من ضروب العلم وأفانين المعرفة ما ساعد على زعزعة كثير من القواعد الراسخة في العقول ، ثم جاء الفن الأدبي بشعره وقصصه ومسرحه وتمثيله ، فساعد على تأكيد هذه البلبلة مساعدة طائشة ، لأن أكثر القائمين بالتمثيل والإخراج قد ألهاهم الكسب الرخيص فأخذوا يستهوون النفوس بما يعرضون من مغريات هابطة ، وليس لديهم من الحصانة الخلقية ، في أكثرهم الغالب ، ما يزجرهم عن هذا الاستهواء الآثم ، ومَن وجد لديه بعض السمو فحاول الارتقاء بفنه رأى نفسه متخلفاً غير سابق في دنيا الربح والاتجار ، ومصيبة التأثير بالفن أكبر هولا من مصيبة التأثير بالعلم ، لأن العلم في كتبه الخالصة وفروعه الدقيقة ، ومسائله المتشعبة ، وَقْف على الخاصة من المثقفين ، أما الفن المسرحي بعد ذيوع الراديو والتليفزيون فقد أخذ يغْشَى كل منزل وأصبح ضرورياً لا كمالياً ، إذ إن قضاء السهرات أمام الروايات التليفزيونية صار عادة متبعة لا سبيل إلى الخلاص منها ، فماذا تقول في تأثير هذه الروايات على مستواها الفسيح إذ شُحنت بضروب الملهيات ، وملئت بشتى مظاهر الإسفاف ! تلك مأساة دامية يدعى فيها الصبر ، ويتحتم الإسراع بالعلاج .

علم النفس

نعود إلى الشك الذي أحدثه ما يُدْعى بالتقدم العلمي في هذا العصر ، فنقول إن العلوم الحديثة في وضعها الجديد ، قد مالت بالعقل إلى الزعزعة الخلقية ، لأن أوروبا المعاصرة في دراستها المتعددة لهذه العلوم لم تشأ أن تربط بينها وبين الخلق الكريم ، بل جعلتها في كثير من أمورها ، تصطدم بما تقرره قواعد الأخلاق من مثل ، بل إن بعضها يعدّ المثل الأعلى خرافة مضحكة يشتغل بها البلهاء ! وقد ازدهرت هذه العلوم ازدهاراً كبيراً ، وأصبحت مادة الدراسة في الكليات والمعاهد ، وباب القراءة في الصحف والمجلات ، وميدان البحث النظري في الكتب والمحاضرات ، والداعية المعاصر مضطر تمام الاضطرار إلى أن يُلم بهذه العلوم كي يقنع هذه العقول المتشككة ، فإذا اقتصر على الكتب الدينية وحدها جُوبه بما لا يستطيع الثبات أمامه من اعتراضات ، وأصبح داعيةَ السذّج من العوام ، وهؤلاء مؤمنون أصلاً بفطرهم السليمة ، لا يحتاجون إلى جهدٍ جبّار في الدعوة إلى الرشاد ، وهو بمعاودة إرشادهم لا يُضيف أرضاً جديدة للإسلام ، وإن كان عمله لا يخلو من نفع واضح في تأكيد العقيدة وتثبيت القلوب على الإيمان ، ولكن الأهم من ذلك كله أن يرتقي بنظره إلى الخاصة ممن درسوا علوم العصر فتعرضوا لزعازع الشك ، وفيهم من أراح نفسه حين استكان إلى الإلحاد جهلاً وقصوراً ومن لم يسلك هذا السبيل قد صار في مهبّ العواصف لا يدري أين يتجه ، فإيمانه الموروث يدعوه إلى الثبات والصمود ، وزعازعُ العلوم المعاصرة تهبّ عليه من كلّ سبيل ، فتزعزع الرواسخ من قواعد هذا الإيمان ، ولا بد من أن يتجه الداعية إلى دراسة هذه العلوم ليميز الخبيث من الطيب ، ويجذب إليه نفوساً تريد أن تتلمس وسائل الإرشاد النافع فتضل السبيل .

إن مِنْ أولِ هذه العلوم القوية التأثير في بذرِ الشك الديني ما يعرف **بعلم النفس** ، إذ اتجه هذا العلم إلى دراسة ما يسمّى **بالعقل الباطن** ، فاهتدى إلى أنّ الانحراف والشذوذ والتسفل نتائج محتومة لغرائز طبيعية تعمل عملها ، ولا حيلة في مصادمتها ، ومن ثم أغار على الفضائل النبيلة غارات مكتسحة حين ردّها كلها إلى دواع هابطة من حب الظهور والإغراق في الأنانية ، فالمجاهد الذي يستشهد في سبيل الله مثلاً ، هو لدى علماء النفس إمّا أناني يحب نفسه أكثر من اللازم فيدفع بها إلى الاستشهاد ليُحدث له دوياً بعد استشهاده حين يتحدّث الناس عن بطولته ، ويعطّرون المجالس ببسالته ، وإما أن يكون معذّباً في حياته فيحاول الخلاص منها انتحاراً في ميدان القتال ، فيندفع إلى المعركة لا حبًّا للعقيدة ، ولا دفاعاً عن الوطن ، بل للنجاة من مضايق كريهة يصلاها سرًّا دون أن يشعر بها أحد سواه ، والجوادُ الكريم حين يتبرّع بماله لا يُريد وجه الله قَدْرَ ما يريد حسن الأحدوثة وجمال الإطراء وإعظام العامة والخاصة ، والداعيةُ الذي يَهدي الناس إلى الصراط القويم ، لا يبتغي وجه الله في صميم عمله ، بل يريد وجاهةً بين العامة والخاصة ، ويحرص على مظاهر التبجيل والتعظيم ، وهكذا تعرضتِ الفضائلُ الإنسانية في أكثر أمورها إلى تفسيرٍ خاطئٍ يجعلُها ظواهر لأمراض خلقية ، بل إن حبّ الوالد لولده ، والأم لابنها حبّ مغرض ، لا ينبعثُ في منطق هؤلاء عن رحمة حانية وإشفاقٍ نبيل ، بل ينبعث عن حبّ للذات حين يريد الوالدان أن يكون الأبناء عاملَ نفع في الحياة فيساعدوا الآباء في زمن الكبر والشيخوخة ، وحين يكونون عاملَ تذكار لهمْ بعد الموت ، إذ يحملون أسماءَهم ،



بقلم: د. محمد رجب البيومي

ويخلدون آثارهم ! وإذا كان هذا الشعور الأبوي الصادق مريباً في تحليله النفسي ، فماذا نقول إذن فيما دونه من مشاعر الصداقة والأخوة وظواهر التعاون والتماسك والإيثار ؟!

علم الاجتماع

نترك علم النفس إلى **علم الاجتماع** ، لنجدهُ قد أوقع الإنسان في جبْرية محتومة لا سبيل إلى الخلاص منها ، لأنّ الفرد رهنٌ بالوراثة من ناحية ، وبالبيئة من ناحية أخرى ، فعاملُ الوراثة يدفعه إلى سلوك معين يمليه عليه كيانه الداخلي بما ورث من أعصاب وانفعالات وما يصيب كيانه العضوي من صحة ومرض ، وعامل البيئة يخضعه إلى ظروف خاصة تغلّه بقيودها الثقيلة ، فالمناخ الجوي والمناخ الاجتماعي والمناخ الاقتصادي وسائر ما يحيط بالمرء في مجتمعه يسيره تسييراً آلياً بحيث لا يكون الانحراف عنه إلا موضعاً للشذوذ الطارئ ، أما القاعدة العامة فهي تحتم السير نحو ما توجبه أوضاع البيئة ، ولهذا الكلام وَجَاهَتُه إذا رُوعي كلُّ شيء بقدر ، فيُعرف للوراثة أثرها ، وللبيئة ضرورتها ، ويُراعى للإنسان من ناحية ثانية تفكيرَه وتميزه ، وقدرتَه على تمييز الطيب ، ورفض الرديء ، وسلوكه النابع من هذا التمييز ، وهذا ما يحدث فعلاً ، لأن الإنسان في صميم نفسه يتمتع بقدر كبير من الحرية يهديه سواء السبيل ، ويزين له سبيلي الخير والشر ، تصديقاً لقول الله عز وجل ﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾ (سورة الشمس ، الآيات ٧ ـ ١٠) ، والطفلُ الصغير ذو إرادة معقولة تجعله يصحب من يحب ويبتعد عما يكره ، ويأكل ما يستطيب ويتجنب ما يرفض ، وهو بعدُ طفلٌ لم يكتمل إدراكه كل الاكتمال . وكذلك الحيوان الأعجم ، يفهم اتجاهه ، ويتجنب شرور ما يتوقع ، ويحتال إلى الوصول لما يريد ، فهو يتمتع بمقدار كبير من الحرية ، ولكنّ نفراً من علماء الاجتماع يحاولون أن يجعلوا الإنسان كما قال الشاعر القديم :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له
إيّاك إيّاك أن تبتل بالماء

وواجبُ الداعية أن يدرسَ هذا العلم ليجابه ما يعترض الناس من شكوك ، وليظهر رأي الإسلام مدعماً بالحجة العقلية والنص القرآني وما ورد في الصحاح من آثار .



علم الاقتصاد

أما علم **الاقتصاد** فقد ساء حظه لدى الدارسين ، الذين التزموا الوجهة الأوروبية في التحليل والتعليل لأنّ المعسكر الرأسمالي يدفع

أساطينه إلى نوع خاص من التفكير المالي يغلب عليه الحرص ، وتسوده الرغبة في الابتزاز والانتهاز ، حتى لكأن الأسواق المالية غابات تتصارع فيها الوحوش لينهض كل وحش بما يستطيع الوثوب عليه من ضحايا وفرائس ، وإذا وُجدت ضوابط حافظة فهي للوقاية من الاصطدام ، لا لرعاية الحقوق وتقديس الواجبات ، أما المعسكر الشيوعي فقد بنى سياسته المالية على إثارة الحقود ، وتأليب الطبقات وإحداث المنازعات ، بحيث لا يخلو المجتمع من حاقد ومحقود عليه ، وادعاء الاشتراكية أصبح من الزيف في مجال التطبيق بحيث لا يصدّقه من يرى الرؤساء في العالم الشيوعي يعيشون عيشةَ الأباطرة ، ويزعمون أنهم يرعون حقوق الطبقات الكادحة ، ويناصرون العمال والفلاحين ، ويسهمون في تكوين مجتمع عالمي ينتفي فيه الحسد وتنعدم البغضاء ! وإذا صح ذلك فما لنا نرى الدول الشيوعية تصطدم وتتنازع ، ولا يقل الصراع السياسي بينها عن صراع المعسكر المقابل ! وإذا كانت هذه التيارات المتقابلة قد وجدت دعايتها البرّاقة في المجتمعات الإسلامية فلا بد أن يفتح الداعية المسلم عينيه على هذه الهزات التي تزلزل أرضه زلزالا عنيفاً ، والتي تحتاج منه إلى تسكين وتمكين .

العلوم السياسية

وأما **علوم السياسة** ، فقد اتجهت الوجهة **الميكافيلية** بحيث أصبحت الغاية تبرر الوسيلة ، وأصبحت الدولة المنتصرة هي صاحبة الحق مهما قام انتصارها على البغي ! وقد ساد منطق القوة بين الشعوب المتناحرة ، ولا عجب أن يسود في عالم غابت عنه رسالة السماء ،

ولكن العجب أن يجد من علماء السياسة من يشيدون بالاتجاه الميكافيلي ويرونه دليل النجاح ! مهما قام على البغي والاعتداء ، لأن الحصول المبكر على الثمرة الناضجة هو الهدف المنشود ولا يعني هؤلاء أن يكون هذا الحصول عن طريق السرقة والاغتصاب أم عن طريق الكسب المشروع ! وللسياسة كتبها ودعاتها ولها بريقها الخادع ، ولكن ذلك كله بعيد عن منطق الإيمان .

الداعية الإسلامي

العلم الطبيعي

ولعل **العلم الطبيعي** بعد ظهور **(داروين)** وشيوع نظرية **أصل الأنواع** لم يعد خافياً على الناس بما أحدث من بلبلة دينية ، وقد يكون من الحق أن نذكر أن فضلاء من الباحثين قد مزقوا الأسطورة الدروونية كل ممزق بما اهتدوا إليه من الحق الصريح ، ولكن من الحق أن نقول إن مؤيدي هذه النظرية لا يقفون عند مدلولها العلمي المعقول بل يتعدونها إلى شكوك تتجه نحو عالم الغيب ، وفيهم من تشربته المادية تشرباً جعلته يكفر بكل ما جاءت به الأديان السماوية جميعها من يهودية ومسيحية وإسلام ! ومن حسن الحظ أن اللغة العربية لم تعدم كتباً علمية ذات سلاح باتر يهدم هذه النظرية ، ويظهر عوارها الخادع ، وعلى الداعية الإسلامي أن يقرأ ويدرس ليحارب العلم بالعلم ، ويفل الحديد بالحديد .

صفات الداعية

على أن سلوك الداعية في تصدّيه للنقاش ، ومبادرته للدفاع ، يجب أن يكون في مستوى الأستاذ الموجه ، والقائد المرشد ، لأن سلوكه الإنساني يقدم النموذج الأتم للمسلم المكتمل ، ومهما برع علماً وفاق حجة فالسلوك الأمثل مناط التأثير وموضع الانصياع ، ولا نريد بالسلوك سلوك الحياة في أسلوب معيشتها وحده ، بل نضيف إليه سلوك الداعية حين يقوم بأعباء الدعوة ، مناقشاً ومجيباً ومعترضاً وموافقاً ، فإن سبيل الهداية يحتاج إلى سعة صدر ، ورحابة أفق ، قدر ما يحتاج إلى قوة بصيرة وغزارة علم ، وعمق خبرة . إن سعة الصدر عنصر قوي من عناصر النجاح إذ بها يمتص الداعية كل غضب ، ويتغلب على عوامل الشطط والجموح حين يصدران من المناقش اللجوج ، ولذلك قال الله عز وجل في محكم كتابه **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾** (سورة النحل ، الآية ١٢٥) .

أعرف أن الإنسان كبشر يضيق بالتعسف واللجاج ، ويرى المشتط في تعسفه إنساناً مريضاً يحتاج إلى علاج ، والعلاج لدى الداعية هو الحلم الكاظم ، والصبر الصفوح إذ يجب عليه أن يتوقع كل شطط ، وأن يعلم أن الريح ستهب من كل اتجاه تحمل الغبار الثائر ، وتطمس وجه الأفق ، وقد يعقبها رعود وبروق وأمطار ، يعلم ذلك ويقدره ويراه غير غريب ، حتى إذا جُوبه به ، ملك زمام تفكيره وأخذ يتصرف أمام مناوئه كما يتصرف الأب المجرب أمام ولده المراهق النزق ، يعرف أنه مخطئ متسرع ، ولكنه بحنانه يدفعه إلى أن يبتسم وأن يهدي للتي هي أقوم ، بصبر راسخ وحلم رشيد .

قد يجابه الداعية أقسى ما يتوقع من إنكار لوجود الله ، ومن إنكار لبعثة الرسل ، ومن إنكار ليوم البعث ، وعليه حينئذ أمام هذه الدواهي المنكرة أن يتسلح بالابتسام ليرى من صفحة وجهه ما يدل على السماحة والرفق حتى إذا ملك زمام نفسه بدأ بالرد في رفق ولين .

أسلوب الداعية

أسوق تجربة واعية لداعية أمين ، ووجه بالإنكار الصارم لهذه المسائل الثلاث ، مسألة وجود الله ومسألة البعث الأخروي ، ومسألة إرسال الرسل فلم يعبس في وجه صاحبه ، بل رحّب بما سأل متبسماً ثم قال في رفق غفور ، متجهاً إلى المعارض في حنو ، وكأنه يعاتب صديقاً من أعز الأصدقاء .

قال الداعية في سماحة لصاحبه :

إنّ ما سمعته منك لم يكن مستغرباً لديّ ،

فقد عصفتْ بي العواصف كما عصفت بك ، ومضى عليَّ زمان وقفتُ فيه في مهب الأعاصير ، أشكّ ولا أوقن ، وأضلّ ولا أهتدي ، وأثور ولا أهدأ ، ولكني كنت أطلب العون من عقلي دائباً مفكراً ، فرأيتني أزيح ما تراكم في عيني من الغيوم شيئاً فشيئاً بطول النظر وإمعان الفكر حتى صفا الجو وأشرقت الشمس في الآفاق .

لقد نظرت إلى نظام هذا الكون حيثُ تسير الحياة في نسق مطرد ، **﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾** (سورة يس ، الآية ٤٠) ! ينزل المطر فيروي الأرض ، وينشق الجماد عن نبات أخضر يحمل رزق العباد ! يتكون الإنسان جنيناً فعلقة فمضغة ثم يصير طفلاً يرى الوجود في وقت معلوم ، وقد جهز بآلات وقف العلم أمامها حائراً وسار على نظام لا يختل ولا يعتل ! يولد الحيوان كما يولد الإنسان ليؤدي دوره الطبيعي في الحياة ، تزدحم الأكوان بالكواكب والنجوم والأفلاك دون أن تتصادم ، تجري البحار بالمياه ، وتكن آلاف الأسماك والحيتان لتكون رزقاً للناس ! أيكون هذا الإبداع في السماء والأرض والإنسان والحيوان قد جاء اعتباطاً دون أن يقوم على أمره إله ؟ أيّ عقل يقبل أن ينهض بناء أرضي كمنزل أو مدرسة أو مصنع دون أن يقوم به أناس يفكرون ويعملون ؟ وإذا استحال أن يبني منزل صغير بدون بان ، فكيف تنتظم أمور الكون دون موجد يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

إلى هنا ـ يا أخي ـ وجدت طبقة من الغيم تنزاح من فوق عيني ، فآمنت بإله خلق الكون ، وأبدع الكائنات ! فزالت الكربة الأولى .

ثم جعلت أفكر في أمر **القيامة** وساءلت نفسي أحقاً سيقوم الناس لرب العالمين ؟ أحقاً سينفخ في **الصور** يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ؟ أحقاً ستنشق السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية ؟ أحقاً سيخرج الناس من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ؟ ذلك اليوم الذي يوعدون !

جعلت أسأل نفسي هذه الأسئلة ؟ فوجدتني أتجه إلى هذا الخالق الذي أبدع الكائنات جميعها وقد اعترفت بوجوده ، وأصبحت لا أشك لحظة في قيامه على أمر السموات والأرض ، فقلت في نفسي **أيجوز أن يخلق الله هذا الكون ، وأن يجعل الإنسان خليفته في الأرض ، ثم يدع الناس كما شاؤوا دون ثواب أو عقاب ؟** لو جاز أن يكون ذلك ما صلح نظام وما استقام أمر ، لا بد أن الذي خلق الناس وهداهم بالعقل قد كفل لهم رسالة حية يؤدونها على ظهر البسيطة فإما أن يكونوا أبراراً خيرة ، فيلقوا ثوابهم وإما أن يكونوا أشراراً فجرة فيلقوا عقابهم ، **﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾** (سورة المؤمنون ، الآية ١١٥) ، وإذا اعترفنا بأن مبدع الكون مصور حكيم فإن من حكمته البالغة أن يجزي بالمعروف معروفاً وبالمنكر منكراً ، وليس من الحكمة أن يودع الإنسان عقلاً حصيفاً وإدراكاً مستنيراً ثم يتركه كالسائمة !! وإذن فما نفع الحياة ؟ إذا كانت مجرد حياة وفناء !! دون أن تؤدي إلى بقاء دائم ، لتذهبْ إذن إذا كانت دورتها الأولى في الأرض هي كل شيء ، لأن الإنسان مهما عاش فسيموت ، ولن يجديه العيش نفعاً إذا انتهت حياته بموته ، أما إذا استقبل حياة أخرى فإن البقاء بها اكتمال لحكمة الوجود ، وتنفيذ لمشيئة خالق الكون ذي الجلال والإكرام !

قلت في نفسي ذلك وأخذت أفكر فيما أقول ، فوجدت الحياة بدون جزاء عبثاً لا يفعله إله ، ورأيت لديَّ يقيناً جازماً باليوم الآخر حين يتم الثواب والعقاب ، فشعرت أن طبقة أخرى من الغيم قد زالت عن عيني ، وأني صرت أومن بيوم الجزاء كما آمنت من قبل بوجود الله .

بقيت الثالثة ! وهي إرسال الرسل ! فماذا أقول فيها ؟

لقد قرأت ما يقول الملحدون عن الرسل ، فعرفت اتجاههم نحو هؤلاء ، إذ هم في رأيهم مصلحون أذكياء ، رأوا العالم في فساد ، ففكروا في هدايته ، وكان لهم من ثاقب النظر ، وعمق التفكير ، وصفاء البصيرة ما حبب إليهم النضال من أجل سعادة الإنسان ! وحين عرفوا أنهم على الحق زادوا إيماناً بواجبهم الإصلاحي ، وتغلغل هذا الإيمان لديهم حتى اعتقدوا أنهم مسيرون لا مخيرون وأنهم مرسلون من الله ؟ هذا ما يقوله من يحترم الأنبياء والرسل ، ويشك في صلتهم بالسماء !

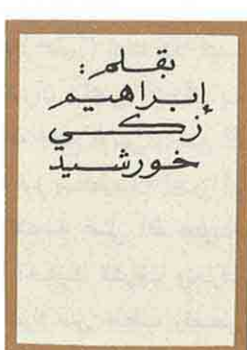
ولكن النظر إلى الرسالات السماوية ، يهدي إلى أنها جاءت بما فوق طاقة البشر أن يأتوا به ، فمهما بلغ الرسول من الذكاء والفصاحة فهو لا يستطيع أن يخترع كتاباً سماوياً ! لدينا مثلاً كتاب الله عز وجل وهو القرآن ، أيجوز أن يأتي به بشر ؟ وقد تحدى الله جميع الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا ! أيجوز أن يكون قد صنعه **محمد صلى الله عليه وسلم** ؟ ! إننا نقرأ الحديث الشريف ونعرف أسلوب الرسول فيما ترك من خطب وقصص ورسائل وفيما قال من حديث ! أيوجد أدنى تشابه بين الأسلوبين : أسلوب القرآن وأسلوب الحديث ، وإذا تعذر أن يوجد تشابه ما بين الأسلوبين ، فأسلوب القرآن منفرد بالإعجاز ولن يكون إلا من لدن حكيم عليم .

ثم إن العقل البشري مهما زاد اكتمالا ، وعلا سمواً ، وائتلق ضياءً فله حد يقف عنده ! أفيجوز أن يصنع إنسان كتاباً سماوياً يتحدث عن الغيب ، وتأتي الأيام بما يصدق هذا الحديث ؟ لن يعرف الغيب إلا عالم الغيب والشهادة ، فكيف يرتقي إليه الإنسان كائناً من كان !

هنا وجدت الغشاوة جميعها تنزاح عن عيني ، وعدت مبصراً أرى الحياة سعيدة تأتلق بنور الإيمان .

هذه خلاصة ما واجه به الداعية صديقه المفكر ، وقد جذبه إلى معتقده بما ساق من حجج وما اعتصم به من سلوك رشيد ! فعلى الدعاة أن يكونوا في مستوى الكملة من الهداة ، لتتأكد الثقة بهم في نفوس المستمعين والقارئين ، كما أن على الداعية إذا وفق إلى اجتذاب الناس ألا يشمخ مزهواً ، فالله ولي التوفيق ، وفي دراسته الواعية لما اعتصم به السابقون من الدعاة من تواضع مخلص ، ورضا هادئ ، وحنو صادق ، ما يجعله يخفض لمستمعيه جناح الذل من الرحمة ليبلغ بهدايته ما يريد .

الأصول الفنية للترجمة وأدواتها



ما هي الترجمة ؟ قد يرى البعض أنه من العسير أن نجد لها تعريفاً جامعاً مانعاً ، وحسبنا أن نقول إن الترجمة هي نقل صورة أمينة كل الأمانة للأصل مع سلامة اللغة العربية . ولعل هذا يصدق على ترجمة الآثار العلمية ، إذ يشترط فيها دقة الفهم ، ووضوح الأسلوب ، وإحكامه ، واصطناع المصطلحات العربية المرادفة للمصطلح الأجنبي ، وتحرير النصوص ، وضبط أسماء الأعلام والمدن وتعريبها إذا كانت أسماء أجنبية ، وردّها إلى أصلها العربي إذا كانت عربية مكتوبة برسمها الأجنبي .

أما الترجمة الأدبية فهي أصعب وأعسر من ترجمة الآثار العلمية والثقافية ، ذلك أنها تقتضي أن يكون المترجم من أدباء العربية وأصحاب الأساليب فيها ، وأن يتقمص شخصية الكاتب الأجنبي وخياله وروحه ، ويعايش الأثر الذي يترجمه وخاصة إذا كان هذا الأثر من روائع الأدب العالمي .

شروط المترجم

ولا بد للمترجم وخاصة في الآثار العلمية والثقافية أن يكون واسع الثقافة ملمًّا بالكثير من العلوم والمعارف واعياً بأسرار اللغة التي ينقل عنها واللغة التي ينقل إليها مدركاً للفروق الدقيقة بين اللغتين ، وكذلك يشترط في المترجم أن يكون من أبناء اللغة المنقول إليها وهو مبدأ أقرّته **هيئة اليونسكو** ، ثم إن البراعة في الترجمة هي أن يشعر القارئ أنها قد كتبت أصلاً باللغة العربية .

ومن الأمور التي يجب أن ينتبه إليها المترجم ويتداركها :

(١) ألا يلتزم الترجمة الحرفية فيفسد بذلك الأسلوب العربي ، وليس معنى ذلك أن يغفل أي معنى أو ظلًّا لمعنى ورد في الأصل الأجنبي ، وإنما يراعي سلامة اللغة العربية التي يكتب بها .

(٢) أن الأصل في اللغة العربية هو البدء بالفعل ولا يقدّم الاسم إلا إذا كان هناك سبب بلاغي يقتضي ذلك ، فعبارة : خرج محمد جملة تقريرية ، أما محمد خرج فالغرض منها هو تأكيد أن محمداً هو الذي خرج وليس عليًّا .

(٣) تمتاز اللغة العربية عن اللغة الإنجليزية مثلاً بأن فيها جملاً اسمية في حين أن اللغة الإنجليزية لا تصح الجملة فيها إلا إذا كان فيها فعل وفاعل ، ذلك أننا نترجم عبارة الكتاب مفيد فنقول : The book is useful .

(٤) في كثير من الأحيان يكون الرابط بين الجمل في العربية رابطاً ذهنياً ، في حين أن الرابط في الإنجليزية مثلاً يكون بأدوات تصل الجمل بعضها ببعض .

(٥) يسرف المحدثون في استعمال « قد » في حين أن قد إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق ، وإذا دخلت على المضارع تفيد الاحتمال ، وكذلك يستعملون « إنّ » في فاتحة الكلام وهي تفيد التوكيد في حين أن العبارة الأجنبية ليس فيها توكيد .

(٦) يسرف المحدثون في استعمال ألفاظ أدخلتها الصحافة الحديثة غير مراعية للأسلوب العربي مثل الإسراف في استعمال كلمة « يشكّل » فيقولون هذا يشكل خطراً على الإنسانية ، والأسلوب السليم المحكم يقول : هذا خطر على الإنسانية .

(٧) يستعمل المترجمون المحدثون الأسلوب الفضفاض وينسون القاعدة البلاغية العربية التي تقول إن كل ما يحذف من غير إخلال بالمعنى يكون أبلغ فيقولون مثلاً : يحتوي الكتاب على فصول ، والأبلغ أن يقولوا : والكتاب فصول . ويقولون كذلك قام بزيارة فلان ويكفي أن نقول زار فلاناً .

(٨) ينسى المترجمون الجدد أن الحكمة تقتضي أن يختار المترجم الكلمة التي تتمشى مع السياق الأصلي ، ذلك أنه إذا كان يعرف لكلمة ما معنى أو معنيين لا يتمشيان مع السياق فلا شك أن لها معنى آخر لا يعرفه وأن الواجب يقتضيه أن يرجع إلى المعاجم ليعرف المعنى الذي يجهله .

(٩) يقع المترجمون في مزالق كثيرة فلا يحررون النصوص التي أصلها عربي ويترجمونها عن الكتاب الأجنبي ، وكذلك لا يتثبّتون من الأسماء التي أصلها عربي فيترجمونها حرفياً ، ثم هم لا يتحرون الدقة في معرفة المصطلحات العلمية التي اهتدى لها العرب فينحتون لها مصطلحات جديدة ، وتراهم أحياناً يزيدون على الأصل أو ينقصون أو يلخصون وهذا غير جائز .

مزالق في الترجمة

هذه ملاحظات عامة ينبغي أن يراعيها المترجم ، وبالتطبيق لها نسوق مزالق كثيرة وقع فيها مترجمون جدد ومترجمون كبار من الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة :

●● ترجم مدرّس بكلية العلوم مرّة العبارة الآتية : The RAF bombed the city and the plants فقال : قذف الراف بالقنابل المدينة والنباتات ، ولم يعرف أن المقصود بالراف هو سلاح الطيران الإنجليزي وأن كلمة plant معناها نبات ومعناها أيضاً مصنع ولو تدبر الأمر قليلاً لعرف أنه من غير المعقول أن يضرب سلاح للطيران عاقل النباتات بالقنابل !!

●● وترجم مترجم آخر عبارة There were in ancient Egypt artisans, carpenters and husbandmen فقال : كان في مصر القديمة صناع

ونجارون وأزواج ، ولو انتبه قليلاً لتبين أن وجود أزواج في بلد من البلاد ليس من الحقائق الجديرة بالتنويه والمقصود هنا ليس الأزواج بل الزراع .

●● وقد أصدرت دار من دور النشر الكبرى أطلساً تاريخياً لأستاذين من أساتذة الجغرافيا وقعت فيه أخطاء فاحشة فقد رسمت فيه أسماء المدن بغير ما عرف العرب فقيل سفيل Seville والمراد إشبيلية بل إن هذه الأخطاء وردت في أسماء المدن العربية في السعودية وغيرها !!!

●● وقد جرى المترجمون العرب على كتابة اسم إمبراطور روماني مشهور بالرسم الإنجليزي جستنيان في حين أن العرب القدماء كانوا أدق فقالوا يوستنيانوس وهو أقرب للأصل اللاتيني .

●● وقد حدثت فضيحة في الترجمة انزلق إليها موظف من أكبر موظفي وزارة المعارف فقد ترجم كتاباً عن الإنجليزية في جغرافية القرآن الكريم ونقل في ترجمته سوراً من القرآن الكريم استشهد بها المؤلف عن الإنجليزية مباشرة وجوزيَ على هذه السقطة بإحالته على المعاش .

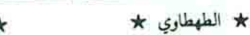
●● وكذلك فعل أستاذ كبير ترجم كتاب history of stanley hane poole Cairo in the Middle Ages وأشرك معه تلميذاً له ، والظاهر أنه اعتمد فيه على هذا التلميذ كل الاعتماد فورد في الترجمة مدينة ألبو Aleppo والمقصود بها حلب ، وهيداب والمراد بها عيذاب وهكذا .

والملاحظ في الترجمة العلمية أن المترجم قد يكون أستاذاً متمكناً في ميدان تخصصه لكنه قطع صلته بالكتب العربية القديمة في ميدانه ، وكذلك قد يكون حظه من اللغة العربية ليس بالحظ الكبير ، وقد اهتدينا بعد طول معاناة إلى تدارك ذلك ووضعنا مبدأ هو أن يشترك في ترجمة الكتاب العلمي أستاذ متخصص في مادة الكتاب ، وأديب متمكن من اللغة العربية حتى تجيء الترجمة سليمة ، وقد يشترك في ترجمة الكتاب العلمي أكثر من مترجم ، على أن المراجع يستطيع أن يوحد بين الأساليب المختلفة في الترجمة .

الترجمة الأدبية

ولننتقل الآن إلى ميدان الترجمة الأدبية وهي في رأيي ورأي الكثيرين فن أعسر وأشق من الترجمة العلمية فهي تقوم على التذوق ، وتشرب المترجم لروح الكاتب الأجنبي ، وتطويع النص الأجنبي لمقتضيات الأسلوب العربي البليغ الرصين .





★ الطهطاوي ★ ★ المازني ★

هذا وقد عرضت لهذا في بحثي السابق لمذاهب المترجمين المختلفة في ميدان الأدب ، ونستطيع هنا أن نتمثل مذهب المترجم المترسل القدير **أحمد حسن الزيات** إذ يقول إنه ينقل النص الأجنبي نقلاً حرفياً إلى اللغة العربية على طريقة نظمه في لغته ثم يعود فيجربه على الأسلوب العربي بالتقديم والتأخير دون النقصان أو الزيادة ، ثم يعود ثالثة فيفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم والمجاز المطابق والنسق المنتظم .

ولا شك في أن الأثر الأجنبي العالمي إذا ترجم إلى العربية ترجمة أنيقة بليغة أصبح في اللغة العربية رائعة من الروائع .

لننظر الآن مثلاً من أمثلة الترجمة التي أتى بها الزيات في ترجمته آلام فرتر للشاعر الألماني العظيم **جوته** ، وإني لأسوق هنا عبارة عن الترجمة الإنجليزية لهذه الرائعة وأحسب أنها قريبة كل القرب من الأصل الألماني .

How happy I am that I am gone! my dear friend, what a thing is the heart of man! To lave you, from whom I have been inseperable, whom I love So dearly, and yet to feel happy! I know you will forgive me.

وقد ترجم الزيات هذه العبارة كما يأتي :

« لشد ما أبهج نفسي وأثلج فؤادي أني سافرت ! وتلك عجيبة من عجائب القلب يا صديقي !.

كيف أسرّ وقد روعنا البَيْن وصدعنا الفراق



★ جوته ★ ★ طاغور ★




وأنت الذي أشربت محبته وما كنت أطيق الصبر عنه ؟ على أنني واثق منك بالصفح والمغفرة » .

وهذا أسلوب رائع من أساليب المترسلين ، وقد يعترض معترض بأن هذه الترجمة فيها تزيد وكان حسب الزيات أن يكتفي بعبارة لشد ما أبهج نفسي . على أنه يغيب عن هذا المعترض أن المرادفات في الترجمة الأدبية إلى العربية تزيد في حسن الأسلوب وتراعي موسيقى العبارات وليس فيها خروج عن المعنى المراد .

ورأى الأستاذ **العقاد** في مقدمة كتابه عن **ابن الرومي** أن عصر هذا الشاعر العربي الفحل يماثل عصر الثورة الفرنسية ، فاستعار فاتحة الكاتب الإنجليزي المشهور **ديكنز** لروايته « **قصة مدينتين** » ، وهاكم الفاتحة في نصها الإنجليزي وترجمتها إلى العربية بقلم العقاد :

«It was the best of times, it was the wroste of times, It was the age of wisdom, it was the age of foolishness, it was the epoch of belief, it was the epoch of incredulity, it was the season of light, it was the season of darkness, it was the spring of hope, it was the winter of despair, we had everything before us, we had nothing before us, we were, all going direct to heaven, we are, all going direct the other way. In short the period was So like the present period, that some of its noisiest authorities insisted on its being recieved for good or evil, in the superlative degree of comparison only».

وترجم العقّاد هذه الفقرة كما يلي :

« كان أحسن الأوقات وكان أسوأ الأزمان ، كان عصر الحكمة وكان عصر الجهالة ، كان عهد اليقين والإيمان ، وكان عهد الحيرة والشكوك ، كان أوان النور وكان أوان الظلام ، كان ربيع الرجاء وكان زمهرير القنوط ، بين أيدينا كل شيء وليس بين أيدينا شيء قط ، وسبيلنا جميعاً إلى سماء عليين ، وسبيلنا جميعاً إلى قرار الجحيم ، تلك أيام كأيامنا هذه التي يوصينا الصاخبون من ثقاتها أن نأخذها على علاّتها وألا نذكرها إلا بصيغة المبالغة فيما اشتملت عليه من طيبات ومن آفات » .

ولا شك في أن العقاد قد أجاد في التعبير بمفردات مختلفة عن الزمن فقال أزمان وأوقات وعصر وعهد وأوان وربيع وزمهرير ، لأن اللغة العربية حافلة بالمفردات غنية بالاشتقاقات وإن كان قد تصرف بعض التصرف في العبارات الأخيرة ، ذلك أن العقاد له شخصية جبارة تطغى على النص وليس هو في ذلك **كالمازني** يستطيع أن يلبس

لبوس الكاتب الأجنبي حتى في ترجمة الشعر ومن براعاته في هذا الباب ترجمته للبيت الإنجليزي :

I saw her in the duey flowers.
I hear her in the tuney birds.

إذ قال :

أراه في الزهر خضلاً وأسمعه
في هادل الطير هاجتهن أشجان

والبراعة هنا واضحة لا تترك مزيداً لمستزيد .

ومن أخطاء المترجمين الجدد عدم مراعاتهم في الترجمة الأسلوب الأدبي فقد طلبت منهم مرة ترجمة عبارة للروائي الإنجليزي المشهور **سومرست موم** يقول : The novel is a statement embellished by the jam of fiction فترجموا jam of fiction مربّى الخيال ، وهي ترجمة صحيحة ولكنها تنبو عن الذوق ولو تأملوا العبارة قليلاً لقالوا حلو الخيال ، وهذه تجري على الأساليب العربية ، وكذلك هم يعبرون في الترجمة الأدبية عن forehead بقولهم جبهة ولا يقولون «جبين» وهو التعبير الأدبي ولا يقول جبهة إلا الجزار .

وقد كلفت تلاميذي مرّة بترجمة عبارة **للشاعر الهندي طاغور** الذي يجيد الكتابة بالإنجليزية يقول فيها :

The day comes to us, every morning,
naked white, fresh as a flower.

فترجمها بعضهم ترجمة غير أدبية فقالوا :

يظهر النهار كل صباح عرياناً (!) أبيضاً (!) طازجاً كالزهور . وواضح أن الترجمة الأدبية لهذه العبارة لا بد أن تتمثل الصورة التي يريد أن يعبر عنها الشاعر ، فالعريان هنا ترجمة نابية سقيمة ، والطازج يطلق على الخضروات أو السمك أو اللحم ولا يطلق على الزهور ولا مناص للمترجم الأدبي من أن يستحضر محفوظاته من روائع النثر والشعر ، وكان الأولى به في هذا المقام أن يقول :

يطلع علينا النهار كل صباح سافراً مشرقاً في نضرة الزهر . وسافراً هنا هو التعبير السليم ذلك أن الليل كان يغشى النهار ثم ولى الليل فأسفر النهار ، وقد جاء في الآية الكريمة **﴿ والصبح إذا أسفر ﴾** .

تعدد الترجمات

ولا بأس في الأثر الأدبي أن تكون له ترجمات متعددة ، ففي تعدد الترجمات في اللغة الواحدة إثراء لهذه اللغة وتفتيح لمغلقات المعاني وخفيّاتها وإجلاء لمواطن الجمال والذوق ، ذلك أننا إذا كنا لا نستطيع أن نقرأ الأثر في لغته الأجنبية فأولى بنا أن نقرأه في ترجمات متعددة تعيننا على أن نفهمه فهماً أدق ، ونستوعبه استيعاباً أفضل ، وهذا حادث في العربية كما هو حادث في اللغات الأجنبية ، فما أكثر ما نجد ترجمات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية لآثار **هوميروس وأرسطو وفرجيل ويوروبيرس** ؛ ولا يجد الفرنسي مثلاً بأساً من أن يرى في لغته ترجمات **لشكسبير وتوماس هاردي وكارليل** ، ولا يجد الإنجليزي أيضاً بأساً من أن يجد في المكتبة الإنجليزية ترجمات **فيكتور هيجو وموليير وراسين ولامارتين وجوته** ومن إليهم ، وكذلك الحال بالنسبة للألماني والروسي .

الأصول الفنية للترجمة وأدواتها

ونحن نجد في العربية ترجمات مختلفة لشكسبير ولامارتين وهوميروس ورباعيات الخيام والكوميديا الإلهية وما إلى ذلك ، فالمترجم إذا كان مجيداً يستطيع أن ينقل شعور الكاتب الأصلي وحبه وعواطفه وميوله وخياله وموسيقاه حتى لتبلغ ترجمته مبلغ الروائع في اللغة المنقول إليها كما أسلفنا وحسبنا أن نذكر أن الشاعر الألماني العظيم جوته لا يرضى عن ترجمة لكتابه المشهور **«فاوست»** قدر رضاه عن ترجمة الشاعر الفرنسي **«جيرار دي نرفال»** له بالفرنسية .

وترجمة الشعر أمر عسير يرى البعض استحالتها ، ويرى البعض الآخر أن المترجم يجب أن يكون شاعراً ، ويذهب آخرون إلى أنه من الممكن أن يترجم الشعر على شريطة أن يكون المترجم موهوباً يحس بإحساس الشاعر وينقل الشعر بأسلوب أقرب إلى الشعر المنثور . على أننا نجد في العربية أن آثار شكسبير قد ترجمت بالنثر البليغ حتى في المترجمات التي نهض بها شعراء مثل **خليل مطران** ، وقد حاول **فريد أبو حديد** التصدي لترجمة مسرحية شكسبير «مكبث» فترجمها بالشعر المرسل فوفق في ذلك توفيقاً كبيراً .

★ إسماعيل مظهر ★



★ شكسبير ★

ترجمة الكتب الدينية

أما ترجمة الكتب الدينية وخاصة الكتب المقدسة فيجب ألا تكون حرفية ، وإنما يجب أن يعتمد فيها على التفاسير ، لأن ترجمة روح هذه الكتب أمر عسير غاية العسر . وقد ترجم الكتاب المقدس إلى الإنجليزية ورأى الإنجليز أن ترجمته كانت ملهمة ، وكذلك ترجم **القرآن الكريم** إلى اللغات الحية ترجمات كثيرة وقامت معارضة شديدة في وجه ترجمته ، لأن إعجازه يجعل ترجمته أمراً مستحيلاً في رأي البعض وعسيراً في رأي البعض الآخر ومع ذلك فقد سمح أخيراً بترجمة لمعانيه بالإنجليزية ، واعتمد **الأزهر** ترجمة **بكتول Pickthall** وفي رأيي أن ترجمة **القاضي يوسف علي** تضارعها إن لم تبرزها .

ثم إن من يتصدى لترجمة الكتب الدينية لا بد أن يكون متمكناً من اللغة العربية تمكناً وإلا وقع في المحظور ، مثال ذلك أن صديقاً لنا ترجم جملة من الأحاديث النبوية الشريفة ، فلما عرض لترجمة الحديث : «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» ترجم «المسلم» بعبارة A Muslim وغاب عنه أن أداة التعريف هنا هي ال الاستغراقية وكان ينبغي أن يترجم العبارة A True Muslim .

وأما الرأي في الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية فقد سبق أن أبنته في بحثي السالف وخلاصته أن المترجم يجب أن يكون من أبناء اللغة المنقول إليها وقد أقرت هذا هيئة اليونسكو .

أدوات الترجمة

يشترط في المترجم الجيد أن يكون واسع الثقافة ملمّاً بفروع المعرفة المختلفة فضلاً عن تمكنه من اللغة الأجنبية التي ينقل منها وتمكنه أكثر وأكثر من

اللغة العربية ، وقد اتضح لي بحكم خبرتي الطويلة في هذا الميدان أن معظم المترجمين قد يجيدون اللغة الأجنبية ولا يجيدون للأسف الشديد اللغة العربية إجادتهم للغة الأجنبية .

والترجمة كما أسلفت فن عسير يقتضي الموهبة تتعهد بالصقل والتدريب بل هو تذوق للغة المنقول منها واللغة المنقول إليها ، ثم إن الترجمة تعلم المترجم الصبر وسعة الحيلة ودقة التعبير وإحكامه وتخير الألفاظ المناسبة ، وهو أمر بالغ الصعوبة ، بل تعلمه أحياناً كيف ينحت في كثير من الفهم والذوق ألفاظاً لم يهتد إليها العرب ، وكيف يعرب مثلاً أو قولا مأثوراً لا يجد له مرادفاً بالعربية فيضطر إلى تعريبه على مألوف اللغة العربية الفصيحة .

وقد كان المترجمون المستعربة في **العصر العباسي** الأول يعرفون اللغة العربية كما يعرفون بالإضافة إلى ذلك اللغات التي يترجمون منها ، وكانوا يعتمدون على الحفظ والحافظة في استعمال الذخيرة اللفظية من اللغة الأجنبية التي ينقلون عنها ، فلم يكن متيسراً لديهم معجم يوناني عربي ، أو معجم فارسي عربي ، أو معجم سرياني عربي . . وكان المترجم منهم يتصرف في اختيار اللفظ المترجم وفقاً لفهمه وذوقه وقدرته على إدراك المعنى المراد ، ومقدرته في اللغة العربية ذاتها ، وخاصة في اشتقاقها وتصريفاتها .

ثم نشطت حركة الترجمة في أوائل القرن الماضي نشاطاً كبيراً ، وبدأ أعضاء البعثات العلمية الذين أوفدتهم الحكومة إلى الخارج وخاصة فرنسا يعودون إلى مصر ويتولون المناصب العلمية والثقافية في الدولة ويكلفون بترجمة كتب العلوم التي تخصصوا فيها . وللشيخ **رفاعة الطهطاوي** وتلاميذه ضلع كبير في هذا النشاط فترجم في العلوم الطبية **إبراهيم النبراوي ومحمد علي البقلي ومحمد الدري** ، وترجم في الرياضيات والهندسة **محمد بيومي ومحمود الفلكي** ، وترجم في العلوم العسكرية والفنون الحربية السيد **صالح مجدي وأحمد عبيد ومحمد لاز .**

وكانت مهمة هؤلاء أيسر ممن سبقهم من المستعربة في العصر العباسي ، ذلك أنهم كانوا عرباً كما كان بين أيديهم بعض المعاجم يستأنسون بها في



★ العقّاد ★



★ فيكتور هوجو ★

اختيار اللفظ الملائم وإن كانت هذه المعاجم لا تخلو من سقطات وأخطاء .

دور المعاجم

والمعاجم العربية هي سلاح المترجم هي والمعاجم الفرنجية العربية وعكسها ، وكانت هذه المعاجم ضرورة دعت إليها حركة الترجمة . وقد بدأ المستشرقون بعد ظهور المطبعة بزمن غير بعيد يضعون المعاجم الأجنبية العربية . ففي سنة ١٦٣٢ م ، طبع في مدينة ميلانو الإيطالية **معجم جيجاوس العربي اللاتيني** في أربعة مجلدات ، ثم ظهر بعده بعشرين عاماً **معجم يوليوس الهولندي** (١٥٩٦ ـ ١٦٦٧ م) ، وكان هذا المستشرق تلميذاً **لأريانيوس منشئ مطبعة ليدن العربية بهولنده** ، وكانت العلاقة الفكرية بين العربية واللاتينية حافزاً لظهور جملة من المعاجم اللاتينية ، **فظهر معجم مانيفسكي البولندي** في خمس لغات : العربية والفارسية والتركية والألمانية واللاتينية ، كما ظهر **معجم فريتاغ الألماني** ما بين سنتي ١٧٨٨ م ، و ١٨٦١ م ، وهو قاموس عربي لاتيني .

واستعان المترجمون العرب من اللغة الفرنسية إلى العربية في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر **بمعجم « هربان »** (١٧٨٣ ـ ١٨٠٦ م) الفرنسي العربي وبالعكس ، كما استعانوا **بمعجم كازميريسكي العربي الفرنسي** الذي طبع في

★ موليير ★

★ يعقوب صروف ★





باريس سنة ١٨٦٠ م ، **وبمعجم شريونو العربي الفرنسي .**

وكانت الترجمة في تلك الأيام تنصرف إلى النقل من الفرنسية إلى العربية ، ذلك أن البعثات كانت توفد وقتذاك إلى فرنسا ، فلما أنشئت الكلية الأميركية في **بيروت** بعد ذلك أخذت الإنجليزية تزاحم الفرنسية وبدأ الاهتمام باللغة الإنجليزية فكان أساتذتها من الأميركان والإنجليز الطلائع الأولى في نقل العلوم من الإنجليزية إلى العربية ، وشاركهم في ذلك الجهد من بعد تلاميذهم أمثال **الدكتور يعقوب صروف** وكلنا يعلم فضل صروف في نقل العلوم من الإنجليزية إلى العربية .

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تقاسمت اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية حركة الترجمة ، وكان من الطبيعي أن يتوالى ظهور المعاجم الإنجليزية العربية ، وبدأ المستشرقون هذا النشاط **فأصدر بادجر قاموسه الإنجليزي العربي سنة ١٨٨١ م .** وفي سنة ١٨٨٤ م ، **صدر معجم شتاينجاس الألماني الأصل والإنجليزي الموطن والوفاة ، وهو معجم إنجليزي عربي** ، ثم ظهر **قاموس سقراط سبيرو الإنجليزي العربي** الذي طبع في مطبعة المقطم سنة ١٨٩٧ م ، ثم **قاموس حنا أبكاريوس الأرمني** الأصل سنة ١٨٧٧ م ، ثم **قاموس هارفي پورتر** الذي طبع أيضاً في مطبعة المقطم سنة ١٨٩٥ م ، ثم **قاموس ورتبات** ، ثم **قاموس إبراهيم صادر الإنجليزي العربي** سنة ١٩٠٥ م ، ثم جاء **إلياس أنطون الياس فأصدر معجماً إنجليزياً عربياً سنة ١٩١٣ م** ، وأخذ يزيد في طبعاته المختلفة وأعقبه بمعجم عربي إنجليزي ، وكانت آخر طبعات هذا المعجم سنة ١٩٦٣ م .

ثم جاء **إسماعيل مظهر** فأصدر معجماً قيماً إنجليزياً عربياً ، ولم يكن إسماعيل مظهر مترجماً فحسب بل كان أيضاً عالماً وضع مصطلحات جديدة لمسميات لم يكن للعرب عهد بها ، ولعل هذا المعجم هو أقربها إلى الفصحى ، ولا أقول ذلك لأنني شاركت في مراجعته بل أقول ما أقول إحقاقاً للحق . ومن الجهود التي بذلت في هذا السبيل **معجم « المورد » الإنجليزي العربي لمنير بعلبكي .**

ولا ننسى في هذا الميدان **قاموس خليل**

سعادة الإنجليزي العربي وهو لبناني تمصر.

وقد عرضنا فيما سلف لجملة صالحة من المعاجم الفرنسية العربية وعكسها.

أما المعاجم الإيطالية العربية فقد ظهر منها **قاموس للراهب روفائيل زخّور** وهو حلبي الأصل من مواليد مصر، ثم **قاموس رياض جيد** الذي سماه **«القاموس الإيطالي العربي»**.

وأما المعاجم الألمانية العربية فقد ظهر منها **معجم أدولف وهرمند العربي الألماني**، وظهر أخيراً أي في سنة ١٩٦٠م، **المعجم الفني الألماني العربي للمهندس المصري وديع فانوس**.

ولا شك أن هذه المعاجم عدّة للمترجم لا يستطيع الاستغناء عنها، كما أنه لا يستغني أيضاً في ميدان العلوم خاصة عن معاجم أصدرها علماء مصريون وغير مصريين وبذلوا فيها جهداً عظيماً يذكر فيشكر، مثل **قاموس الدكتور أحمد بك عيسى في النبات والزراعة واسمه «معجم أسماء النبات»** وهو معجم قيم تناول مؤلفه فيه أسماء النباتات العلمية وذكر ما يقابلها باللغة العربية ثم ذكر تحت الاسم العلمي الإفرنجي الفصيلة التي ينتمي إليها هذا النبات واسمه بالفرنسية والإنجليزية وقد طبع هذا المعجم سنة ١٩٣٠م.

ثم نذكر **«معجم الألفاظ الزراعية»** بالفرنسية والعربية للباحث المشهور **الأمير مصطفى الشهابي**، وكذلك **معجم بديفيان في النبات** وقد وضعه المؤلف بلغات مختلفة.

وجدير بالتنويه المعاجم التي وضعت في الطب مثل **«القاموس الطبي» الإنجليزي العربي للدكتور إبراهيم منصور** وقد طبع في مصر سنة ١٨٩١م، و**«القاموس الطبي» الفرنسي العربي للدكتور محمود رشدي البقلي** وهو من أعضاء البعثة التعليمية إلى باريس وقد طبع في باريس سنة ١٨٧٠م، ومثل **«القاموس الطبي العلمي» بالعربية والفرنسية لنعمة إسكندر** مترجم مجلس الصحة العمومية وقد طبع بالإسكندرية سنة ١٨٩٣م، وخير هذه المعاجم هو **«القاموس الإنجليزي العربي في العلوم الطبية» للدكتور محمد شرف** وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٢٧م، وكان موضع ثناء عاطر، ولا ننسى

الأصول الفنية للترجمة وأدواتها

أيضاً **«معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات» للدكتور كليرفيل** وقد نقله إلى العربية **مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي** من رجال كلية الطب في الجامعة السورية، ونشر في دمشق سنة ١٩٥٦م.

وهناك معجم قيم في الحيوان للفريق **أمين المعلوف** وهو معجم بالعربية والفرنسية والإنكليزية ويضاف إليها الاسم العربي للحيوان.. وللفريق أمين المعلوف أيضاً معجم صغير قيم في الفلك بالإنجليزية والعربية.

وهناك معاجم في المصطلحات العلمية جديرة بالذكر مثل المعجم الذي أصدرته الجامعة الأمريكية وأشرفت عليه لجنة من العلماء المتخصصين برئاسة **الدكتور أحمد رياض تركي**.

ولا ننسى أيضاً المعجم الذي أصدره الجيش في مصطلحات الفنون العسكرية، **ومعجم الفن السينمائي للأستاذ أحمد كامل مرسي والدكتور مجدي وهبه**.

وكذلك يجدر بالمترجم أن يرجع إلى **معجم ألفاظ الحضارة الإنجليزي العربي الذي وضعه الدكتور مجدي وهبه** سنة ١٩٦٦م، **ومعجم المصطلحات الأدبية الإنجليزي الفرنسي العربي الذي وضعه الدكتور مجدي وهبه** أيضاً سنة ١٩٧٣م.



★ هوميروس ★



★ منير بعلبكي ★

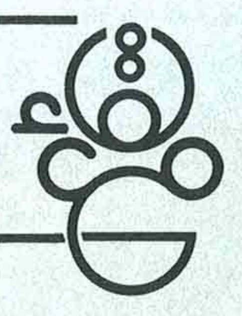
ويمكن للمترجم من الإنجليزية أن يرجع إلى معاجم المفردات مثل **قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية الذي أصدره إسماعيل مظهر** سنة ١٩٥٠م، كما أن هناك معاجم لا تحصى باللغات الأجنبية في العلوم والآداب والفنون وفي اللغة وفي تداعي المعاني وخير ما يرجع إليه في الإنجليزية **معجم أوكسفورد ومعجم ويستر، وفي الفرنسية معاجم لاروس المختلفة**، هذا إلى جانب **دائرة المعارف الإنجليزية والموسوعة الفرنسية الكبرى ودائرة المعارف الأمريكية**، وإذا كان يترجم في الإسلاميات فلا مناص له من الرجوع إلى **دائرة المعارف الإسلامية** وما إليها.

ويمكن للمترجم أيضاً أن يفيد فائدة كبيرة من الحواشي والتعليقات الواردة في أواخر كتب العلوم والمترجمة إلى العربية والاجتهادات التي اهتدى إليها المترجمون ومعظمهم من أهل العلم، كما ينبغي له أيضاً أن يفيد من الاصطلاحات التي وضعها المجمع اللغوي في العلوم والفنون والآداب المختلفة.

ولا بد للمترجم أيضاً وخاصة في ميدان الترجمة الأدبية أن يدمن القراءة في كتب الأدب العربية المشهودة ككتب **الجاحظ وأبي الفرج الأصفهاني وأبي حيان التوحيدي** من القدماء **والمازني وأحمد حسن الزيات والمنفلوطي وطه حسين والعقاد** من المحدثين، ويقتضيه الأمر فوق ذلك كله أن يكون دائباً على قراءة القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر.

هذا إلى الاستعانة في المفردات بكتاب **فقه اللغة للثعالبي والألفاظ الكتابية** للهمذاني، وفي اللغة **بلسان العرب وتاج العروس وأقرب الموارد والمخصص لابن سيده والمعرّب للجواليقي وشفاء الغليل في المعرب والدخيل للخفاجي وفي المصطلحات ككشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريفات للجرجاني، والمفردات لابن البيطار**.

وكل ما ذكرت هو مطلب المترجم به يستعين وإليه يرجع حتى يتوفر له الأسلوب المحكم في العلم، ورهافة الذوق، ورحابة الخيال، وبديع الأسلوب، والتوفيق في اختيار اللفظ المناسب، والعبارة الطلية في الأدب.



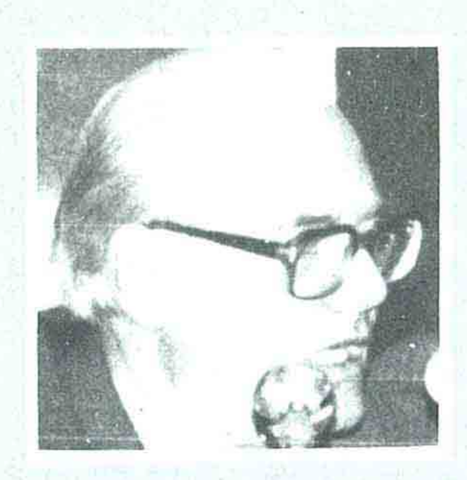

المستشرق الألماني

و. فيشر

أجراه :
علي لغزيوي





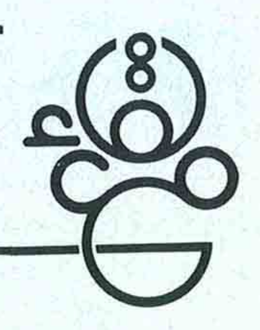
للاستشراق تاريخ طويل حافل، تعددت خلاله اتجاهاته وتنوعت إسهاماته في دراسة تراث الإسلام وحضارته، وبتعدد اتجاهاته وأجياله، تعددت وظائفه وأهدافه، مما يعكس بدون شك غنى عطائه في مختلف المجالات التي خاض فيها، كما يعكس في الوقت نفسه اختلاف مناهجه وتباين مواقفه، ولا شك أن الدراسات التي تنصب اليوم على الاستشراق تركز بالدرجة الأولى على المجالات المذكورة، وإن كانت كثير لغات الحضارة المدروسة، وفي مقدمتها اللغة العربية.

إن الاقتراب من دراسات المستشرقين يتيح فتح أبواب واسعة على عالم متميز، ويسمح بمعرفة صورة الشرق عند غير الشرقيين، وهي معرفة ضرورية في وقت أصبح فيه العالم يسعى إلى تحقيق كل سبل التواصل.

ولأن الاستشراق يتمحور، بالدرجة الأولى، حول الشرق الإسلامي بصفة عامة، ومن ذلك اشتقت تسميته: «الاستشراق»، والعالم العربي بصفة خاصة، ومنه اشتقت التسمية الفرعية: «الاستعراب»، فإن المتتبع لتاريخ الاستشراق مدفوع إلى معرفة العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب معرفة تتجاوز المظاهر إلى الجذور.

ومن المعلوم أن الاستشراق درجات من حيث الموضوعية، لا سيما من الفكر الإسلامي وحضارته. وإذا كان التعصب وما يرفده من روافد متنوعة، قد جعل عدداً من المستشرقين يتجاوزن حدود الموضوعية، ليكتبوا عن الإسلام ورجاله ولغته وحضارته وفكره وكل ما يتعلق به، من وجهة نظر خاصة، فإنه من باب الموضوعية أن نعترف أن عدداً منهم كان أقرب إلى الحقيقة، وإلى الموضوعية العلمية والاعتدال في دراسة الإسلام والسيرة النبوية، ولكن ذلك لا يروق المستشرقين والغربيين على السواء بالرغم من كونه لا يتجاوز حدود الاعتدال. ونمثل لهذا الاتجاه **بالمستشرق الهولندي هادريان ريلاند (Hadrian Reland) (١٦٧٦ ـ ١٧١٨ م) في كتابه (في الديانة المحمدية)**، الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٧٠٥ م، غير أن اعتداله أثار ردود فعل عنيفة في الغرب المسيحي. وهذا الكتاب «عبارة عن تعريف بالعقائد الإسلامية باللغتين العربية واللاتينية، حاول فيه المؤلف أن يصحح بعض الآراء الشائعة عن الإسلام، التي هي في





مجملها آراء مغلوطة، وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة، واتهم المؤلف بأنه قصد من وراء كتابه الدعاية للإسلام. وغني عن القول إن هذا الاتهام غير صحيح، ولكن التعصب الديني عند رجال الكنيسة جعلهم يضعون الكتاب في قائمة الكتب المحرمة»[1].

ومما جاء في هذا الكتاب قول المستشرق الهولندي ريلاند:

«هل يعقل أن يعتنق الملايين من البشر الديانة الإسلامية لو كانت منافية للعقل وسخيفة كما يدعي المؤلفون المسيحيون؟!»[2].

ولأن الاستشراق على درجة كبيرة من الأهمية، باعتباره جسراً للتواصل وأداة لنقل صورة عن الشرق الإسلامي وحضارته وفكره إلى مجتمعات أخرى، فإن القارئ المسلم يهمه أن يعرف حقيقة صورته لدى الآخرين. ومن هنا تأتي أهمية الحوار مع المستشرقين حواراً مباشراً، ويكتسب الحوار نكهة خاصة حين يكون مع مستشرق معروف بإسهامه البارز في دراسة اللغات الشرقية وحضارتها، ورحلته الطويلة مع التراث العربي بصفة خاصة، نحواً وأدباً، **وينتمي إلى المدرسة الألمانية** المعروفة بتعدد اهتماماتها واتجاهاتها ونزعاتها. ذلكم هو **المستشرق الألماني الأستاذ و. فيشر.**

والدكتور ولفراح فيشر W. Fischer، ولد يوم **٢٥** مارس (آذار) **١٩٢٨م**، بنورمبورغ Nuremberg بألمانيا، وتابع دراسته بإيرلانجن Erlangen وميونيخ Munich، واتجه إلى دراسة العلوم الإسلامية واللغات السامية.

دافع عن أطروحته في اللغات السامية سنة ١٩٦٣م، بميونْستر Muenster.. وفي سنة ١٩٦٤م، **عيِّن أستاذاً رسمياً بجامعة نورمبورغ إيرلانجن.**

وهو تلميذ **للمستعرب الألماني المشهور الدكتور هانس وير** Hans Wehr الذي يعمل بجامعة ميونستر، ومؤلف المعجم الشهير «**المعجم العربي للغة الأدبية المعاصرة**».

وللأستاذ و. فيشر نشاط كبير في البحث والتأليف إلى جانب التدريس.

ومن مؤلفاته نذكر على سبيل المثال:

★★ **أسماء الإشارة في العربية ولهجاتها**، صدر سنة ١٩٥٩م.

★★ **كلمات الألوان والأشكال في الشعر العربي القديم**، صدر سنة ١٩٦٤م.

★★ **نَحْوُ العربية الفصحى**، صدر سنة ١٩٧٣م.

★★ **أساس اللهجات العربية العصرية**، صدر سنة ١٩٨٠م.

★★ **العربية المستخدمة في جُزيْرة لغوية في أوزبكستان**[3]، صدر سنة ١٩٦١م.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات، له بحوث ومقالات عديدة منها مقالة عن: «**الأسلوب الأدبي في كتاب وقعة صفين**» لأبي مخنف[4]، وله دراسة للجانب الأدبي من شعر **الحلاج**، إلى غير ذلك من البحوث والدراسات التي تتصل بالأدب العربي الفصيح، إلى جانب اهتمامه باللهجات واللغات السامية والدراسات الإسلامية.

ويشغل الأستاذ فيشر منصب مدير قسم اللغات الشرقية بكلية إيرلانجن منذ سنة ١٩٦٤م. كما أنه هو الذي وضع الطريقة الحديثة لتدريس اللغة العربية لغير العرب في ألمانيا.

البداية

●● كيف كانت بدايتكم مع الاستشراق.. وما الدوافع التي دفعتكم إلى الاهتمام بالشرق؟

● بدأت دراسة اللغات الشرقية وأنا ابن خمس عشرة سنة، وكان العالم في ذلك الوقت يعيش أحداث الحرب العالمية الثانية، وكانت ألمانيا مقطوعة الصلة بالبلاد الأخرى، فطلبت فهم الناس الآخرين عن طريق لغاتهم، ولذلك بدأت أدرس لغات أجنبية غير أوروبية لفهم أفكار الناس الساكنين خارج بلادي، وبعد ذلك بدأت دراسة اللغات الشرقية في الجامعة. أما **اللغة التي أحببتها أكثر محبة فهي اللغة العربية**، وبعد ذلك ظللت أدرس اللغة العربية بالدرجة الأولى.

درست اللغة العربية من بين اللغات الشرقية، وندرس في ألمانيا اللغة الإنجليزية والفرنسية كلغتين أجنبيتين، **ودرست الفارسية والتركية، وجزءً من الروسية، واللغات السامية الأثرية.**

التوجه باللغة

●● معظم مؤلفاتكم وأبحاثكم باللغة الألمانية، وهي ظاهرة نجدها أيضاً عند عدد كبير من المستشرقين، فهل يعني ذلك أن الكتابة موجهة في الغالب للقارئ الألماني، والقارئ الغربي بصفة عامة؟ وما سبب غياب الترجمة؟ وعلى من تقع مسؤولية عدم توصيل بحوث



الاستشراق إلى القارئ العربي / الشرقي باعتباره معنياً بالأمر بالدرجة الأولى ؟

● لم تكن هناك صلة بين العالم العربي وألمانيا ـ أقصد صلة وثيقة ـ قبل **الحرب العالمية الثانية**، إلا أن المستشرقين كانوا يدرسون الأدب العربي واللغات الشرقية من وجهة النظر العلمي، ولذلك يقدم الطالب والمستشرق الألماني أطروحته ومقالاته إلى زملائه الألمان، ولا أحد كان يُفكِّر في أن العلماء العرب يهتمون بمقالاتنا. وتغير الوضع بعد الحرب العالمية الثانية، فأصبح العالم وحدة إنسانية. والآن بدأ العرب يترجمون بعض الكتب والمقالات من الألمانية إلى العربية، ومعظم المترجمين هم من علماء العرب الذين درسوا في ألمانيا، ولكن عمل الترجمة صعب، ولذلك لم تترجم كتب كثيرة حتى الآن.

تدريس العربية

●● لقد وضعتم طريقة حديثة لتعليم العربية ونحوها لغير العرب، فما أبرز أسسها ومقوماتها.. وما حظ هذه الطريقة من النجاح في ألمانيا ؟

● أهم الاختلافات بالنسبة لتعلم اللغة العربية بين أبناء العربية والأجانب ـ أعني الناطقين بغير اللغة العربية ـ أن الطفل العربي (أو البنت العربية) ينطق إحدى درجات العربية، بينما الأجنبي لا يعرف أية كلمة، ولا يعرف شيئاً من العربية، لذلك يتطرق إلى تعلم العربية كلغة جديدة، ويجب عليه أن يبدأ بجمل بسيطة، وكلمات قليلة، لأنه من الصعوبات الهامة تعلم تراكيب الجمل وشكل الكلمات والغريب والكلمات الجديدة في الوقت نفسه، لذلك نبدأ في تدريس اللغة العربية بكلمات قليلة، ونركز التدريس على تراكيب الجمل.. وهكذا.

والجيل الذي أنتمي إليه، تعلم اللغة العربية كلغة أدبية بالدرجة الأولى، أعني بذلك أن العالم العربي كان بعيداً عنا، ولم نهتم بالأدب المعاصر وبأفكار المؤلفين العرب المعاصرين، بل بالأدب الكلاسي، بالشعر القديم، والنصوص الكلاسية، وهكذا، أما الجيل الحديث، فيسافر إلى البلاد العربية، وهناك اتصالات كثيرة بين العرب والألمان، ولذلك يدرس الطالب الألماني الآن اللغة المعاصرة بالدرجة الأولى، ويهتم بالأدب الحديث، وبعد ذلك يجب عليه أن يتعرف على الأدب الكلاسي أيضاً.

حركات الاستشراق

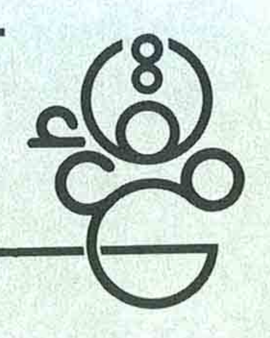
●● الاستشراق واجهة من واجهات ربط الشرق بالغرب، ووسيط في ربط العلاقة بينهما، لكن يبدو أن تصور المستشرقين للشرق قد جاء منطلقاً من معطيات خاصة، فهل تتفقون مع هذا الرأي القائل إن الاستشراق قد قدم تصوراً للشرق من منظوره الخاص.. وإلى أي حد يمكن اعتبار هذا التصور موضوعياً في نظركم ؟

● أعرف أن الاستشراق موضوع جدير بالمناقشة، خاصة لدى المواطنين العرب، وأظن أن المستشرقين ليسوا حركة واحدة بين الأدباء والعلماء الأوروبيين، **فهناك فرق كبير بين المستشرقين الألمان، والمستشرقين في الاتحاد السوفياتي، والمستشرقين الفرنسيين وغيرهم**، لأن انطلاق الاستشراق في هذه البلاد مختلف.

بدأ الألمان في **القرن التاسع عشر الميلادي**، بنشر المخطوطات الموجودة في المكتبات الألمانية، واتبعوا في ذلك نفس الأسلوب الذي استخدموه في نشر الكتب اللاتينية واليونانية، أعني بذلك أن المستشرقين الألمان كانوا تلامذة العلماء الذين اشتغلوا باللغات الكلاسية: اللاتينية واليونانية.

أما المستشرقون في فرنسا مثلاً فانطلقت دراسة علم اللغات عندهم بعد الحرب ضد الجزائر، **وكان السبب في اهتمام الفرنسيين باللغات الشرقية غير سبب الاهتمام باللغات الشرقية في ألمانيا. وفي روسيا كان العلماء يهتمون باللغة الفارسية بالدرجة الأولى، لأن روسيا كانت على اتصال بالدولة الفارسية.**

وفي **إنجلترا** يتغير الوضع ويختلف عن البلاد الأوروبية الأخرى؛ هناك بعض المستشرقين يهتمون بالنشاطات الاستعمارية الإنجليزية، والبعض الآخر من العلماء فقط، لم يهتموا بأهداف استعمارية على الإطلاق.



لذلك أظن أن (الحركة) الاستشراقية ليست حركة واحدة، بل هناك فروق كثيرة تميز كل واحدة منها عن الأخرى.

كتاب الاستشراق

●● يعتبر كتاب (الاستشراق) لإدوار سعيد الذي صدر بالإنجليزية من أهم وآخر ما عرفه القارئ عن الاستشراق، وقد تُرجم إلى الفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والتركية والفارسية والماليزية واليابانية والعربية، وربما إلى لغات أخرى، فما رأيكم في هذا الكتاب؟

● لم أقرأ هذا الكتاب قراءة كاملة، قرأت جزءً منه، ووجدت فيه كثيراً من الأغلاط، ولا أظن أنه يقدم للقارئ صورة موضوعية صحيحة لنشاط المستشرقين الأوروبيين، فهو يقدم وجهاً أو اتجاهاً واحداً فقط، ولكن عليَّ أن أقرأ هذا الكتاب كله، وبعد ذلك يمكنني أن أبدي رأيي فيه.

●● إن هذا الكتاب عن الاستشراق من وجهة نظر عربية، وقد لا يرضى عنه كل المستشرقين، كما أن بعض مواقف الاستشراق قد لا يرضى عنها كل العرب، فما رأيكم؟

● أظن أن الكثير من العرب يقدرون حركة الاستشراق تقديراً غير مستحق. إن المستشرقين في أوروبا ليسوا في وسط المجتمع، هم في الجامعات، في طرف اهتمام المجتمع الأوروبي. لذلك فإن تأثيرهم في الفكر الأدبي والسياسي، وفي المجتمعات الأوروبية قليل.

وظيفة الاستشراق

●● لقد نشأ الاستشراق وازدهر استجابة لشروط تاريخية وظروف معينة كانت من عوامل تطوره، فهل ترون أن أسباب وظروف ازدهار حركة الاستشراق لا تزال قائمة بطريقة أو بأخرى؟

● كما قلت، ليست هناك حركة استشراق كوحدة علمية أو أدبية أو سياسية أو اجتماعية. المستشرقون في أوروبا كانوا جزءً من العلم الذي ازدهر خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي، وتحوُّل الدراسات وخاصة المناهج العلمية في هذا القرن، ومن البديهي أن المناهج لفهم الحضارة الإسلامية والحضارات الشرقية تتحول بدورها إلى مناهج علمية أيضاً.

●● أريد أن أعود إلى هذا الموضوع لتوضيح أمر هام فيه يتعلق بوظيفة الاستشراق بين القديم والحديث باعتباره حقلاً معرفياً، فما لا شك فيه أن الاستشراق أدى وظيفة أو وظائف، فهل ترون أن وظيفة الاستشراق اليوم لا تزال قائمة، وبنفس الأهمية، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة إذا ركزنا على الاتجاه الذي انطلق من منطلقات معينة، موازية للحركات الاستعمارية على سبيل المثال؟

● ليس من الممكن أن نقول إن حركة الاستشراق تستهدف اتجاهاً واحداً، وكان علم الاستشراق في الماضي يثير اهتمام الأوروبيين، لم يسألوا عما يفكر العربي، ولا عما يفكر الفارسي، وهكذا.

أما العالم في أيامنا هذه، فيسأل فيه كل منا عما يفكر الآخر، ولذلك على جميع العلماء أن يتحدثوا ويتبادلوا أفكارهم، وأظن أنه على المستشرقين وظيفة مهمة، وهي التبادل الفكري والأدبي بين الشرق والغرب.

●● ما إحساس المستشرق في وطنه، وهل يعيش بعيداً عن اهتمام المجتمع الأوروبي، في عزلة، أم يندمج مع أبناء وطنه؟

● كل إنسان ينتمي إلى شعب، ويشعر بحياة شعبه، ولذلك يشعر المستشرق ويحس بشعور شعبه أيضاً، ولكنه إلى جانب ذلك يجب الحضارة التي يدرسها، ولا أعرف مستشرقاً



لا يحب الشرق، ولا يحب الناس الساكنين في الشرق، لذلك أظن أن **المستشرق من الناس الذين يبنون قنطرة للتواصل بين الشرق والغرب.**

أثر الاستشراق في الغرب

●● وماذا عن تأثير المستشرق في المجتمع الأوروبي اليوم؟

● تأثير المستشرق في المجتمع الأوروبي كما قلت سابقاً ليس كبيراً، ولكن بعض السياسيين يسمع ما يقوله المستشرق، وبعض المستشرقين كتبوا كتباً شائعة متداولة، **ولسوء الحظ فإن الكتب الشائعة ليست هي الكتب الجيدة دائماً.**

وأظن أننا نحاول أن نؤثر في المجتمع الأوروبي للاتجاه إلى الشعور الودي نحو شعوب الشرق، ونأمل أن ننجح في ذلك إن شاء الله.

مستقبل الاستشراق

●● يرى عدد من المتتبعين لتاريخ الاستشراق أن زمن الاستشراق قد ولّى، ويظهر ذلك في المؤتمر (الأخير) للمستشرقين الذي عقد بباريس صيف ١٩٧٩م، ويرون أن هذا المؤتمر قد دفن (حركة) الاستشراق إلى الأبد، واستعاض عن مؤتمرات الاستشراق المعروفة بمؤتمرات أسماها باسم (المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا). فهل حضرتم هذا المؤتمر.. وما رأيكم في هذا الحكم.. وما تفسيركم لهذا المصير في حالة اتفاقكم مع هذا الرأي(٥)؟

● لم أحضر هذا المؤتمر، ولكن كما قلت، لا أعتقد أن هناك حركة استشراق، ولذلك ليس من الممكن أن ندفنها، **تغير الاسم، ولكن الهدف لا يتغير، أعني الهدف العلمي لتفهم الحضارة الأجنبية، الحضارة الغريبة (!)**، وكان اهتمام المستشرق الصادق هو نفس اهتمام العالم دارس اللغات والحضارات الإنسانية الشرقية في آسيا وفي إفريقيا، لقد تغير الاسم فقط.

الهوامش

(١) المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي والإسلامي، الدكتور نبيه عاقل، مجلة: دراسات تاريخية (سورية) ـ العدد التاسع والعاشر (مزدوج) محرم ١٤٠٣هـ ـ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢م، ص ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) درس فيه اللهجة العربية المستعملة في وسط لغوي صغير، تحيط به لغات أخرى في منطقة أوزبكستان.

(٤) هو أبو مخنف الأزدي، جمع بين التاريخ وعلم الحديث، من أقدم المؤرخين العرب ومحدثيهم، له عدد من الرسائل عن أحداث القرن الأول الهجري، احتفظ الطبري بعدد منها في تاريخه. توفي سنة ٧٧٤م.

(٥) انظر مقالة: (المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي والإسلامي)، للدكتور نبيه عاقل الذي حضر المؤتمر المذكور، مجلة دراسات تاريخية، العدد المشار إليه في الهامش رقم (١)، ص ١٩٦.

نشيد الوحدة العربية



شعر:
علي عمر عسيري

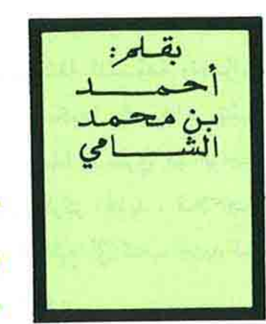
ألقيت في أمسية الشعر السعودي بمهرجان «جرش» بالمملكة الأردنية الهاشمية لعام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

قد سَقتْني الحُبَّ من بَحرٍ مَديدِ   كُلَّما قَالتْ أيكفي . . ؟ قلتُ زيدي !
مَن سواكِ اختطَّ في قلبي مُقاماً   يسمعُ النَّجْوى ويستجلي بعيدي
مَن سواكِ اختالَ يجري في عُروقي   حُبُّه وامتدَّ يَسري في وريدي
أنتِ عُنوانٌ حَوى سِفرَ المعالي   وانبلاجٌ عمَّ سهلي ونُجودي
أنتِ طيفٌ حَنَّ في أوتاره   رَائعُ الشِّعر المُغنَّى والقَصِيْدِ
أنتِ سِرٌّ لَمْ أزل في سِرِّه   بَوحَ سِرٍّ في قيامي وقُعُودي
يا نُهى حُبِّي أرى في كلِّ حرفٍ   منكِ ذاتي ودمائي من شُهودي
اقْبلي ودِّي فإنّي منكِ جُزءٌ   أنتِ أمٌ وأنا بَرٌّ الوليدِ
(أنا في الأردن أحبابي وأهلي)   ليس فرقاً أردني وسعودي
أنا في «الأردنّ» مزهوٌّ بكفِّي   هُنْدوانُ «الشَّام» في نَحْسي وعيدي
أنا في «لبنانَ» مَذبوحٌ أغنّي   أُغنياتِ الثَّأر والنّصر الأكيدِ
و «فلسطين» اشتعالاتٌ . . جراحٌ   تَنزفُ اليأسَ المسجّى في الكبُودِ
وضِفاف «النيل» موالٌ عنيفٌ   سوفَ يمشي نَحونا رغمَ القيُودِ
ومن «النَّهرين» تَجْتاحُ المنايا   كُلَّ عِلجٍ همَّ بالبَيْتِ الرّشيدي
و «الخليجيّون» في صفٍّ طويل   شبَكوا بين الأماني والزُّنُودِ
نَحنُ شعبٌ عربيّ ثائرٌ   لَمْ نطعْ نَذلا على مرِّ العهودِ
سوفَ يأتي ذلك اليومُ المكنّى   بأبي الأحرار والزَّحفِ العَنيدِ
لن نُداري أحْمَقاً أو مُستريباً   قبضةٌ فيهم وأُخرى في اليهودِ
وحدة روحيّة نَمشي إليها   أيُّها الدُّنيا بعزْم من حَديدِ
خَيلُنا محمُومة في كُلِّ أرضٍ   عَطَّلتْها «مَرْكَزيّاتُ الحدُودِ»
مَرحباً ما امتدَّ في الدُّنيا ضِياءٌ   أو هَوى طَلٍّ على مُخضَرِّ عُودِ
مرحباً والحبُ يسمُو في لقاءٍ   عاطر النَّشْوى كأنْفَاس الوُرودِ
مرحباً يا أمتي . . . في وحدةٍ   لن ترى أسمَى وأسمَى من شهيدِ



كتب التراث الثقافي في اليمن

.. مهددة بالنشر المشوه!



كنت في شوق شائق، وتوقٍ شديد أتطلّع بلهفة إلى قراءة ديوان الشاعر الصنعاني المشهور أحمد بن حسين الرَّقيحي عندما بلغني أن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء قد عُني بطبعه ونشره، وظللت في ذلك الشوق ولا سيما بعد أن قرأت في إحدى الصحف اليمنية لعلّها «١٣ يوليو» لكاتب كبير أظنه الدكتور المقالح مقالةً عن الديوان، ولم أتيقّن الآن اسم الجريدة ولا اسم الكاتب لأني قد نسيت؛ إذ قد كان ذلك منذ أكثر من عام وكل ما أذكره أن ذلك المقال قد زادني شوقاً وتطلُّعاً وتوقاً.. حتى تشرفت بلقاء الأخ الأديب عبد الوهاب بن أحمد السوسوه عندما وصل إلى لندن للعلاج في شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨٢م ـ ذو القعدة ١٤٠٢هـ، وعرَف بأريحيّته ذلك الشوق، فتكرّم وأهداني نسخته مشكوراً.

ولقد سعدت برؤية حُلّة الديوان القشيبة في مظهرها وأناقتها ولكن شواغل أدبية ودنيوية صرفتْني عن قراءة الديوان حتى رجعت إليه ـ وما أحلى الرجوع ـ وما إن تصفّحته، وشرعت في قراءته حتى غمرتني الحسرة، وصرخت في أعماقي: حرامٌ.. حرامٌ.. حرام أن يُعْبَث بشعر مثل شعر الرّقيحي هذا العبث، وأن يخرج للناس هذا الإخراج وهو الشعر الذي ما قرأه أبناء اليمن منذ وفاة صاحبه سنة ١١٦٢هـ ـ ١٧٤٩م، ومن بينهم النقاد الفحول أمثال معاصره **يوسف بن يحيى المؤيّد** صاحب «نسمة السحر»، **وإسحق ابن يوسف المتوكل** مؤلف «الثغر الباسم»، **والشوكاني** صاحب «البدر الطالع»، **والحيمي** مؤلف «نفحات العنبر».. إلى **محمد زباره** الذي ترجمه ترجمة مستفيضة في نشر العرف، ومَن عرفناهم من أدباء ونبغاء... إلا وميّزوا مكانته بين الطبقة المرموقة من شعراء «**الحكمي**» و«**الحُميني**» في اليمن.

وأنا لا أعاتب من قدّم للديوان وحقّقه وعلّق عليه، أكثر مما أعاتب مركز الدراسات والبحوث اليمني الذي تولّى نشر الديوان وأنفق على ذلك، واحتفظ بحقوق طبعه من جديد! ولا سيما وعلى رأسه ـ حين طبع الديوان ـ الأديب الشاعر البحاثة **الدكتور عبد العزيز المقالح** مدير جامعة صنعاء حالياً.

ولن أقف عند المقدمة، فقد حاول صاحبها الأديب الفاضل أن يقوم بواجبه جهده فشوّهَتِ التطبيعات ـ الأخطاء المطبعية ـ عمله وجَعَلَتْ «عُنِيَتْ» «عيّنت»، و«يطويها» «يطويانها»، و«مقاطيعه» «مقعاطيعه»، و«الوفْقِهْ» «الفقه»، وصيّرت اسم الشاعر الظريف «شعبان سليم» «سليم شعبان»، ص ١١، وحُرِّف اسم «محمد محمد زباره» إلى «محور محمد زبادد»، ص ٧، وذلك ما لا يهتدي إلى معرفة صوابه غير العارفين من أبناء اليمن إلى غير ذلك.

ولو أن المحقق وهو من أحفاد صاحب الديوان ومن البيت المشهور في صنعاء بالعلم والفضل والورع، قد كلّف أحد الأدباء بوضع مقدّمة لهذا الديوان النفيس لوجد مجال المبادرة ذا سعة.! وما أظن أن الدكتور المقالح أو **الدكتور غانم** أو العلامة الحُلاحل **عبد الله الشماحي** أو الشاعر الكبير **إبراهيم الحضراني** أو أضرابهم من أدباء اليمن كانوا سيبخلون على شاعر مثل «الرقيحي» بدراسة مستوفاة.. بل لو كنت من المحقق الكريم لنقلت ترجمة المؤرخ محمد زباره كاملةً في صدر «المقدمة» واستغنيت بها عن ما عداها.

كتب التراث الثقافي في اليمن



★ د. محمد عبده غانم ★

عيوب في الديوان

ويمكن إرجاع العيوب التي كنّا نتمنى أن يخلو منها ديوان «الرقيحي» إلى ما يلي :

● أولا : **التطبيعات** ـ أي الأخطاء المطبعية ـ والمحقّق الكريم غير مسؤول عنها ؛ إلا إذا كان قد أشرف بنفسه على تصحيح النصوص أولا ، وثانياً ، وثالثاً ، قبل الطبع كما هي العادة ، والمسؤولية الكبرى تلقى على مركز الدراسات الذي عني بنشر الديوان ، وأنفق على طبعه ، واحتفظ لنفسه بحقوق إعادة نشره ، وكان على المحقق أن يشترط على المركز أن يعرضوا عليه ملازم الديوان المعدّة للطبع قبل نشرها .

والواقع أن جل ما قام « المركز » بنشره من كتب التراث أو من دواوين شعر ، أو كتب تاريخ ، قد صدرت عن دار العودة بطريقة تشوّه باسم الدار ، واسم التراث اليمني ـ أو على الأقل ـ ذلك ما لاحظته فيما وصل إلى يدي من تلك الكتب ، ولقد أرسلت عدة صرخات ، ونشرت عدّة مقالات ألفت النظر إلى ما يفعلون بتراثنا المنكوب ، وكتبت إلى مدير المركز ، وإلى بعض الأدباء فذهَبَتْ صرخاتي أدراج الرياح . ! وحسب القارئ أن ينظر إلى ما فعلوا بتاريخ **الخيول العربية ، ونُزهَة النظر** ، وغيرهما فسيجد ما يدمي الفؤاد حسرة وأسى . . بل انظر إلى ذلك الكتاب النفيس **«مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن» للعلامة الأستاذ عبد الله الحبشي** ، وهو الكتاب الذي كان في الإمكان أن يصبح أفضل مرجع لعشاق التاريخ الثقافي والعلمي والأدبي من طلاب وباحثين وأساتذة يهتمون بآداب اليمن وآثارها الفكرية . . على مدى العصور . . لقد صدرَ ـ وبتقديم من مركز الدراسات اليمنية وفي سفر ضخم عدد صفحاته ستمائة وإحدى وثمانين ـ ولكنّه مملوء بالأخطاء المطبعية ، وليس ذلك فحسب ، بل لقد أخطأتِ المطبعة خطأ فاحشاً فأبقت أرقام الفهرست على ما كانت عليه في نسخة المؤلّف الخطية وليس كما آلت إليه بعد الطّبع ، فأصبحت غير ذات جدوى بل مَتْيَهَةً للمطالع وطالب العلم ، وليس فيها أيّ رقم صحيح ، ولأهمية الأمر سأضرب مثلاً : فلو أراد الباحث أن يعرف شيئاً عن **العلاّمة الأديب المؤرخ القاضي أحمد بن عبد الله الجنداري** لوجد أمام اسمه في الفهرس المطبوع ، ص ٦٤٣ ، أحمد عبد الله الجنداري ص (٦٦ ، ١٣٠ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ ، ٤٢٥) ، وسيحار عند رجوعه إلى تلك الصفحات فيجد أسماء أناس آخرين ، ولقد كلّفت نفسي عنتاً ـ وهي رياضة ألفتُها ـ فوجدت الصواب ما يلي :

أحمد عبد الله الجنداري ، ص : ٧٨ ، ١٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٠٦ ، ٤٦٢ .

وكذلك الحال بالنسبة إلى **العلاّمة الأصولي أحمد بن سعد الدين المسوري** جعلوا أرقامه في الفهرس المذكور : ٧٢ ، ٤٥١ إلخ ، والصواب : ٥٦ ، ٨٦ ، ٣٣٤ ، ولم أهتد إلى ذلك إلا بعد جُهد جاهد ، وأرقام الفهرست جميعاً كما ذكرت وإنما ضربت بهذين الاسمين مثلاً وعلى المركز تدارك ذلك .

ولذلك فأنا أقترح على « المركز » وإدارته الجديدة ، وبإشراف ومشاركة مدير الجامعة ، حصر كل الكتب التي قام بنشرها والإنفاق على طبعها ، وإفراز ما كان جيّد الإخراج والطبع نوعاً ما مثل كتاب الدكتور غانم « **شعر الغناء الصنعاني** » الذي أشرف على تصحيحه الدكتور نفسه ، أو كتاب « **شعر العامية في اليمن** » للدكتور المقالح ونحوهما ، ثم تشكّل لجنة مكوّنة من مدير المركز ، ومدير الجامعة ـ جامعة صنعاء ـ والأدباء « **غانم** » و« **الشامحي** » و« **الحضراني** » و« **عبد الرحمن قاضي** » و« **علي عفيف** » ومن يريدون ، « فتجْرد » الكتب المطبوعة طبعاً مشوّهاً ، وتصحّحها وتهذبها ، وتفهرس لها ثم تطْبع من جديد . . بل وتأمر بإبادة وإتلاف النسخ السقيمة السابقة المشوّهة وتعوّض ـ مجاناً ـ من قد امتلكوها واقتنوها ، وتنبّه المكتبات إلى ذلك ، وهذا في نظري هو الواجب الأوّل المحتم على مدير المركز الجديد ، فلا يجوز أن يفكّر مسؤولوه في طبع أيّ كتاب جديد قبل تصحيح ما سبق نشره .

إن أموالا جَمّة قد صُرفت لنشر الكتب اليمنية ؛ ولكن أحداً لم ولن ينتفع بها . وهذه صرخة خالصة لوجه العلم أرجو أن لا تذهب في واد ، وأن يصغي إليها الجميع ، ليبارك الله في أعمالهم ، وقد جاء في الأثر : رحم الله امرءً عمل عملاً فأتقنه .

● ثانياً : **الأمر الثاني** أرجعه إلى رغبة المحقق الفاضل في أن يفيد القرّاء بأن يفسّر لهم ما يظنّه عصيّ الفهم لغوياً على البعض ؛ وقد اعتمد في تفسيراته اللغوية كما قال في مقدمته ، على « مختار الصحاح » الذي نسبه للثعالبي ، وفي حدود معرفتي أنه للرازي ـ وفوق كل ذي علم عليم ـ وكتاب « **المنجد** » **لليسوعي** ، و« **المعتمد** » **لجرجي شاهين** ؛ مقدمة ص ٦ ، وقال إنه قد تعمَّد الإيجاز وأن لا « يثقل على القارئ بالشرح المطوّل ويكتفي بالإشارة إلى ما سبق بقوله : تقدّم » .



★ د. عبد العزيز المقالح ★

وليسمح لي المحقق الكريم ـ وهو من بيت علم وأدب، وممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، ويردّون الخطأ ويدفعونه بالتي هي أحسن ـ أن ألفت النظر إلى أن فن شرح المفردات اللغوية واختيار التفسير المرادف للفظة المبهمة أعني تَصْنيف «المعاجم» اللغوية و«قَوْمَسَة» الكلمات، لا يجيده كل العلماء الضليعين لغوياً مهما كان تبحّرهم.. ولا يتقنه إلا المتخصصون في هذا الفن، تماماً مثل فن تأليف الكتب؛ قد تجد العالم النحرير العارف، ولكنه لا يستطيع التأليف ولا يملك قدرةً عليه؛ وتجد من هو دُونَه معرفةً وعلماً يأتي في فن التأليف بالعجب العجاب، ولذلك فلا غضاضة إذا قلت إن طريقته التي اتبعها في تفسير مفردات الديوان لم تكن هي المثلى ـ في نظري ـ وكان في الإمكان أحسن مما كان، وليس في قولي هذا أيّ تطاول أو تقليل.

شرح المفردات

والطريقة المثلى لِمَن يريد شرح أو تفسير معاني المفردات عندما يحقّقون ديوان شعر، أو يدرسون نصًا أدبياً؛ أن يقفوا عند الألفاظ الغريبة التي لا يكثر ترددها فيما يتداوله الناس أو يقرؤونه من كتب وصحف ومجلات ودواوين شعر، والمحقق البارع... كالأستاذ الحصيف لا يلاحظ بتحقيقه أو تفسيره القارئ أو التلميذ البليد، أو القارئ أو التلميذ الألمعيّ الذكي ذكاءً خارقاً؛ بل القارئ أو التلميذ المعتدل الذكاء لأن البليد لن يفهم، بل لن يقرأ، والألمعي لا يفتقر إلى تبيين البيّن، ولا إلى الشرح الطويل؛ ومن يريد أن يفسّر كلمةً غريبة بأخرى من نظائرها ترادفُها، أو بجملة تفسّر معناها، فإنه إن لم يكن ضليعاً سيرجع إلى قاموس معتمد؛ بل لا بد من الاستئناس بالقاموس المعتمد لكل من يريد ذلك ـ كما فعل المحقق الكريم ـ ثم يجتهد في انتقاء الكلمة المناسبة؛ وربما وجد للَّفْظةِ الواحدة عدّة معاني قد تتناقض مدلولاتها حَسَب تصريفات فِعل الكلمة؛ أو الظلال التي توحي بها. وهذا ما فات المحقق الكريم في بعض تفسيراته؛ ولأبرّر دَعوايَ، فلا بد من أن أذكر الشواهدَ والأمثال، وأنا أستطيع إبراز الكثير، ولكني أخشى التطويل وملل القارئ؛ ولا سيما وما أقوله ليس ببدْع من القول.. ولكن لا بد مما ليس منه بد، فلنأخذ أوّل صفحة من الديوان وهي رقم (١٧):

لقد فسر المحقق في هامشها تِسْع كلمات، وردت في القصيدة الأولى، وهي: «الصبّ»، «هيفاء»، «الحِمام»، «يَخْتالُ»، «الدّلال»؛ «الدُّجى»، «الخَال»، «النّحيل»، «الخرَّد»، وفيما عدا «الخرّد» لا أعدُّها من الألفاظ الغريبة التي تفتقر إلى التفسير، ولا يستطيع فهمها من له إلمام يسيرٌ بالعربية، وقرأ اليسير من أشعارها.. ومع ذلك فقد وردت تفسيراته كما يلي: ١ ـ العاشق وذو الولَع الشديد، ٢ ـ «الهَيَفُ»: ضمر البطن ورقة الخصر، ٣ ـ «الحِمام»: الموت.

٤ ـ: المشي بتبختر، ٥ ـ «الدلال»: التدلّل والتغنّج، والوقار والتلوّي، ٦ ـ «الدجى» الظلمة، ٧ ـ: نبتة سوداء تكون على الخد ٨ ـ: هزيل؛ ٩ ـ البكر لم تمس قط. وأشار إلى المصدر الذي اعتمد عليه وهو المنجد وذكر أرقام الصفحات فيه.

ولا أزعم؛ أنّه قد جانب الصواب في أيّ منها؛ غير أن الطريقة لم تكن طريقة «مُعْجَمِيّة» ولا بأسلوب «قاموسي» فني، وبغضّ النظر أن مثل هذه الألفاظ لا تفتقر إلى الشرح فلو كنتُ منه لجعلت التفسير كما يلي:

ـ ١ ـ الصبّ: العاشق، ـ ٢ ـ الهيفاء: ضامرة البطن دقيقة الخصر وأهل صنعاء ينطقونها مقصورة (وبهذا أكون قد بيّنت لهجةً صنعانية وهي قصر الممدود) ولن أفسّر الكلمة الثالثة «الحِمام» فهي معروفة، ورقم ـ ٤ ـ سأقول: يَخْتالُ: يتبختر ويتكبّر.. وقد خلط المحقّق الكريم وهو يفسر الكلمة، رقم ـ ٥ ـ «الدلال» بين معنيين متباينين وذلك لأنه لم يُفَرّقْ بين مدلول كلمة «الدلال» إذا جاءت من دلّ يدُلّ بضم الدال بمعنى أرشد، ومن مشتقاته «الدلال» بمعنى الوقار، و«الدلّ»: بمعنى السكينة، ولا بين مدلولها حين ترد من «دلّ يدِلّ دلا» ـ بكسر دال مضارعه ـ بمعنى: تغنّج وتلوّى. فجمع بين المدلولين وقال: الدلال: التغنّج والوقار والتلوي؛ أي أنه جمع بين المتناقضين والشاعر حين قال: أقبَلَتْ تختالُ في بردِ الدّلال، إنما أراد التغنّج..! واللفظة رقم ـ ٦ ـ وهي «الدّجى» لا تحتاج إلى تفسير؛ وأما تفسيره للكلمة السابعة ـ من كلمات هذه الصفحة ـ وهي «الخال» بأنه: نبتةٌ سوداء إلخ، فلم يكن «قاموسياً»، ورغم وضوح الأصل والقصد وأنه لم يخطئْ؛ إلا أن التفسير القاموسي هو: الخال (وهو من فِعْل خال يخال خيلًا لا من خال يخول خولا): شامة سوداء في البدن، ويغلب على شامة الخدّ، ورقم ـ ٨ ـ لفظة «نحيل» لا أعتقد أنها تحتاج إلى تفسير حتى لطلبة الابتدائي، وهي كما قال، وأما تفسيره لكلمة «الخرَّد» وهي جمعٌ؛ بقوله: البِكْر؛ لم تمس

قط؛ وبالرغم من أنه لم يخطئ، إلا أن فن «القَوْمَسة» ـ إن صحّ التعبير ـ يحتّم عليه أن يقول: «الخُرَّد: جمع خريدة، وهي المرأة البكر؛ ومنه سمّيت اللؤلؤة التي لم تُثقبْ خريدة». وفي هذه الصفحة كلمة كانت أجدر الكلمات بالتفسير وهي لفظة قرآنية، ولا أظن أن الكثير يعرفون معناها وأقصد لفظة «العِرْجُون» الواردة في البيت التاسع، وكان على المحقق أن يتكرم بنقل ما ورد في المنجد وهو: «العِرْجون جمع عراجين: أصل العِرْقِ الذي يعوَجّ ويبقى على النّخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشّماريخ»، ويكون بذلك قد أفاد طلّاب المعرفة.

والمحقق قد فسّر بطريقته حوالي مائة وسبعين كلمة لا شك أن بعضها في حاجة إلى تفسير، ولكن الكثيرَ منها واضحٌ، ومن الألفاظ المتداولة مثل: رشف، العقار، الرُّبع، الوجد، المحْل، الجفاء، الهيام، البَيْن، الغزال، البلّور، الراح، الصارم، الغرام، الريم، المستهام، الواشي، الشجي، الشرود، الزمام، الرجاء، المرْج، المدام، البهاء، المحيا، الكثيب، الكمد، السهد، العاذل، الشجو، السلاف، السبع المثاني، قاسي، وشهر شوال! ونحو ذلك؛ ومما يؤسف له أن معظم هذه الألفاظ قد اعتورتها «التطبيعات» والأخطاء، والتصحيف فحوّلت الجيمات إلى حاءات والباءات إلى ياءات وهكذا؛ ولو أنّه قد اعتنى بتصحيح رسمها لكان أفضل من الاهتمام بتفسيرها تلك التفسيرات المفعمة أيضاً بالأخطاء المطبعية، والأكثر غرابةً أن أي كلمة كرّرها الشاعر من هذه الألفاظ المائة والسبعين، كان المحقق يضع لها أرقاماً ويقول في الهامش: «تقدّم» أو «تقدّم معناها»، وقد كرّر ذلك مائتين وخمسة وثمانين مرّة؛ لأن الألفاظ، ولا سيما تلك التي أشرت إلى بعضها، كثيرة الدوران في قصائد الشعراء وجاءت الهوامش المشيرة إلى تفسيراته اللغوية أكثر من تلك التفسيرات، وذلك لا ينسجم مع قوله في المقدمة: «ولم أثقل على القارئ بالشرح المطول»!.. وأيّ تثقيل أشد من هذه الأرقام التي تنحدر بطرف القارئ ليقرأها ظناً منه أنه سيجد شيئاً مفيداً، وإذا به لا يجد إلا «تقدّم»!! أو «تقدّم معناها»، وقد كان منسجماً مع ما يقرأه من معاني «الغرام» و«الهيام» وسائر الألفاظ الشائع ترددها في الشعر بكل اللغات وفي كل مكان وزمان.!

ومما زاد الطين بلّة ـ كما يقولون ـ أنه يذكر أرقام صفحات «القواميس» التي اعتمدها وهي **«مختار الصحاح»** و**«المنجد»** و**«المعتمد»**، وكان عليه أن يلاحظ أن القواميس اللغوية لا تفتقر إلى تحديد أرقام صفحاتها لأن الرجوع إليها يكون حسب المادة وترتيبها الأبجدي المعروف سواء على الطريقة الأصيلة التي تجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والحرف الأول منها فصلاً؛ كما هو في **صحاح الجوهري، والقاموس المحيط، وتاج العروس، ولسان العرب**، أو في القواميس الحديثة التي قلّدوا بها الترتيبات الأبجدية الأجنبية، **كالمنجد** ونحوه؛ هذا إلى أن القواميس تتعدّد طبعاتها كغيرها من الكتب، وقد حاولت أن أجد الأرقام التي ذكرها المحقق مشيراً بها إلى المنجد ـ ونسختي هي الطبعة التاسعة عشرة ـ فلم أجدْ رقماً واحداً مطابقاً.

والمحقق الكريم بل وكل مَن قرأ الديوان لن ينتظر مني القيام بإحصاء كل الأخطاء المطبعية، والتحريفات والتصحيفات التي مُنيت بها ألفاظه لكثرتها، ولأني قد قلت سلفاً إنه لا بد من إعادة طبع الديوان إذا كنّا نريد الاستفادة منه والانتفاع به، وسوف لن أبخل بتزويد المحقق، أو المركز بنسختي التي قمت بتصحيحها وقراءتها مع ترجمةٍ للشاعر كنت قد وضعتها في السفر الأول من كتابي «معجم شعراء اليمن» إن أرادوا أن يضيفوها إلى الديوان شريطة تعويضي بنسخة أخرى من طبعة الديوان الجديدة إن شاء الله! ومع ذلك فلعل من واجبي قبل أن أختتم المقال الإشارة إلى أن هناك كلمات وألفاظاً بعضها «معجمية» معروفة، وبعضها مما أهمله أصحاب القواميس المشهورة وهي من الألفاظ اليمنية الخاصّة كان المحقق قد قام بتفسيرها تفسيرات لا أراها صواباً، أو قال إنه لم يهتد إلى معرفة معانيها ومنها:

(١) ما ورد في ص ـ ٢٧ ـ في قول الشاعر:

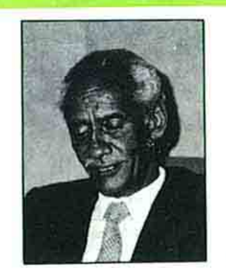
وأنا كنتُ لمْ أحِطْ علماً أنّ جملة صعيب

فقد قال «المحقق» في الهامش إن صعيب «تصغير «صعْب» أي ثقيل» إذ لو صحّ ذلك لأثْقل البيت بعيب «السِّناد»؛ فتصغير صَعْب «صُعَيْبُ» على وزن «زبَيْر» كما هو معروف، والقافية في البيت السابق هي: «واللّظى واللّهيبْ» وبعدها «العجيبْ، والحبيبْ» إلخ والذي أعرفه أن أهل «صنعا»، بل وغيرها من المدن اليمنية يقولون: هذا أمرٌ صَعِيب وزان عَجيب، وهم يعنون أنه صعبٌ ليس سهلاً.

(٢) في ص ٣٠، سطر ١٢، ورد البيت هكذا:

في مقام يحفّنا ونسعد ونشهد

والصواب: «في مَقَامٍ وَحْدَنَا ونَسْعَدْ ونَشْهدْ»



★ إبراهيم الحضراني ★

(على اللهجة الدارجة).

(٣) ص ٣٤، س ١٢، ورد البيت هكذا: «فمتى باللقاء يعود يا زين»؟.
والصواب: «فمتى باللقا يَجُودْ يا زَيْن»؟ (باللهجة الحُمينية).

(٤) ص ٤١، س ١٢، ورد شطر البيت هكذا: «خالك المسكُ والعنبرُ عرفكْ»، والوزن غير مستقيم حُمَيْنِياً؛ والصواب: «خالك المسكْ عَنْبَرْ عَرْفَكْ».!

(٥) ص ٨٢، كتب البيت رقم ٨ هكذا: «لا تكافوا...قلبي المستهام». وقال في الهامش: «هذه الكلمة (بعد لا تكافوا) لم أستطع التعرف عليها وقد رسمت هكذا «سمه»؛ والظاهر لمن يتأمّل البيت السابق والذي يليه وهما:

أين شروط المحبةْ؟ أين حفظ الذمام؟
إنّما الحبّ رغبةْ عند أهل الغرام

أن الأصل كما يلي:

لا تكافوهْ بسبّةْ قلبيَ المستهام

(٦) القصيدة رقم ٥٢، ص ٩٢، رصفت رصفاً أفقدها الوزن وبعض أبياتها مدوّرة، ومطلعها يجب أن يُرصف هكذا:

نسيم الروض أهدى،
إلينا عرف عاطرْ
من الظبي الغرير الـ
ـمفدى ريم حاجرْ

وكذلك القصيدة رقم ٦٣، ص ١٠٥، وقصائد أخرى.

(٧) ص ١٠٧، علق المحقق على البيت:

زهرٌ حكى زهر نجوم السّما
وكالمجرَّة؛ نهر سابح

فقال: «المجرة في عرف أهل اليمن السيل العظيم» ولا أناقش العرف، فمن المعلوم لغوياً وكما في «المنجد» أن «المجرّ» مجرى الماء.. لكني أرجّح أن الشاعر إنما أراد أن يشبه النهر الذي يجري في روضة الزهر التي يصفها بمجرّة الفلك. راجع «المنجد».

(٨) ص ١٢٤، أورد البيت رقم ٩ هكذا:

إذا أقام صَلّ اليراع أقعدْ
في الطرس أو قام منشداً وخَطَبْ

وهو مشوش، وقال في الهامش: «صل قال الأزهري عن الليث: **تعال صل اللجام**، إذا توهمت في صوته حكاية صوت» (هكذا) ولا شك أن كلام المحقق قد حُرِّف «تطبيعياً» ولذلك لم أفهمه؟؟؟ أما البيت فصوابه في نظري هكذا:

إذا أقامَ صِلّ اليراع أقْعَدْ
بالطرس مَنْ قام مُنشداً وخَاطِبْ

والصِلّ: الداهية، ونوع من الحيّات.

(٩) القصيدة رقم ٩٤، ورد البيت رقم ٨ فيها كما يلي:
(ص ١٤٣):

لو ترى ما ينال في الإعتاق
لأبحتَ العتاق

وقال في الهامش: «ورد في الأصل: «لا تحث» بالثاء ولعل الصواب ما أثبتُ»؛ وأرجّح أن الأصل «لا.. تحث» هو الصوابُ، فإن الشاعر يقصد: لو علمتَ بما ينالُه المحسن من أجر في الإعتاق لأقبلتَ مسرعاً تحث الخيل العِتاق لتنقذني مما أقاسيه من رق الهوى والعذاب بالاعتاق وتخليصي مما أعاني..

والمحقق الكريم يعرف أن اليمنيين في المحادثة وفي **الشعر الحميني** يحوّلون «لام» جواب «لو» إلى «لا».. أو على الأصحّ يشبعون الفتحة حتى تُنْطق «لا» فيقولون: «لو تعرف ما أعاني لا ترحمني» أي لرحمتني؛ فمعنى البيت «لا تحث العتاق» أي لحثثْتها مسرعاً ولو كان ينظم بالطريقة «الحكمية» الفصحى لقال:

لو ترى ما يُنالُ في الإعتاق
لَحَثَثْتَ العِتاق!

والعِتاق جمع عتيق وهو الفرس الرائع كما في المنجد.

(١٠) البيت الأول في ص ١٥٧، ورد هكذا:

جاوز الحدّ اضطباري
عنكمُ والبال في السلوان مُرْتَجْ

ورغم الخطأ المطبعي في تشديد تاء «مرتج» فقد قال المحقق في الهامش ما يلي: «في الأصل «البان» ولعل الصواب ما أثبت»، وليس الأمر كذلك وإذا كان الناسخ قد صحّف اللفظة في الأصل فإن السياق يدل على أنّها «الباب»، و«المرتَجْ»؛ معناه المغلق من رتَج يرتُج الباب أي أغلقه؛ فتح الله علينا أبواب فضله ورحمته «!».

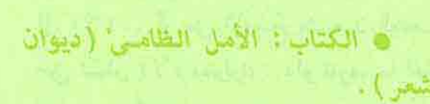
ملاحظتان:

● **الأولى**: غفلتُ أن أنبّه إلى أن المحقق لم ينشر من ديوان الرقيْحي إلا قسمه الثاني وهو «الحميني» وترك قسمه الأول الذي هو الفصيح والمعرب، وعلى الأوزان الخليلية، ولن ينتفع بالحُميني «الملحون» إلا اليمنيون، وبعض الباحثين. أما شعره الحكمي المعْرَب فسينتفع به كل من ينطق العربية من المحيط إلى الخليج.

● **الثانية**: أن الديوان قد صدر «أبتر»؛ دون «فهرس»، وذلك لا يجوز.





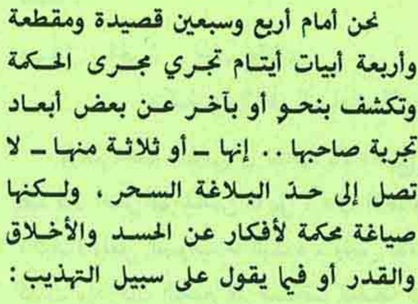


● الكتاب : الأمل الظامئ (ديوان شعر).

● المؤلف : عمران محمد العمران.

● الناشر : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

نحن أمام أربع وسبعين قصيدة ومقطعة وأربعة أبيات أيتام تجري مجرى الحكمة وتكشف بنحو أو بآخر عن بعض أبعاد تجربة صاحبها.. إنها ـ أو ثلاثة منها ـ لا تصل إلى حد البلاغة السحر، ولكنها صياغة محكمة لأفكار عن الحسد والأخلاق والقدر أو فيما يقول على سبيل التهذيب :



لو أدرك الغافل سرَّ القدَرْ
لما تمادى في صنوف الحذَر

ومثل هذه الصياغة التي لا تكون ـ عند العرب ـ إلا من العيون كقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا تردّ إلى قليل تقنع

وارد في معظم صفحات الديوان «الأمل الظامئ» بحيث أننا نحار لم خصها بالافراد، بل لعل ثمة ما هو أحكم وأكثر دلالة على الواقع الإنساني، منه قوله عمران العمران (ص ٧٢) :

لا يلدغ المرء إلا وهو ذو خطر
ولا يُضام بزور غير ذي سبب

وقوله (ص ١٢٩) :

هيهات أن يرعى الحقيقةَ فاهمٌ
ويشدّ من أزر الفضيلة ألمعي

وقوله (ص ١٦٢) :

وما المجد إلا عزمة يعربية
تعيد لنا من أمسنا عيشنا الرغدا

وكذلك قوله (ص ٢١٩) :

وربَّ صديق في ثياب مخاتل
يغرّك منه في الدنا بعض أقوال

وأخيراً قوله (ص ٢٧٧) وإن كنا ندعو إلى قراءة قصيدته «على مشارف الخمسين» مرات :

رأيت الحرُّ أثمن ما لديه
مجانبة التزلُّف والنكور

ويمكن اعتبار هذا النوع من الأداء الشعري علامة على لغة الشاعر الجزلة من ناحية، ودليلاً على تفكيره أو موقفه الفلسفي من الحياة من ناحية أخرى.. إلا أنه قد يوحي ـ أيضاً ـ بأننا أمام شاعر يقول الخطب التهذيبية، ويكتب بنثرية تشبه «نظم» العلماء البارد غالباً.

والحقيقة أن للشاعر عمران وجهاً آخر سمحاً مشرقاً وظريفاً، وربما لو قرأنا له في «حراج ابن قاسم» مفارقته الزاعقة نضع أيدينا على بعض ملامح ذلك الوجه :

وجئت بلا قصد حراج ابن قاسم
فأدركت ما لم يَخْطُرَنَّ ببالي
يباع به «العقدُ الفريدُ» بأزيُل
وأقدم منفاخ بألف ريال

ويخاطب أبانا آدماً بأربعة أبيات آخرها (ص ٢٧٣) :

لو عدت يوماً يا أبانا خلسة
فلسوف تأكلك السُلالة والضَّنَى

وإذا تظرف في «قتول بمرح» قال ببساطة بالغة :

ويمرح قتّالٌ خلياً فؤاده
كأن لم يكن ذنبٌ عليه ولا غُرْمُ
فليت القِصَاصَ اليومَ وهو شريعة
ليؤخذ لي منه وينقشع الظلمُ

ولا مانع لديه على الإطلاق أن يعترف ـ ولا شك ـ أنه وقد قارب الخمسين أو جاوزها لا يزال يعترف بأن أسباب القريض شوارد :

والشعر عاطفة وضربة خافق
يوحي بها حورٌ وصدرٌ ناهد

ودعونا من ذلك الوشاح القاتم الذي يقنع به تلك الروح المنطلقة فيقول وقد أقام الدنيا برعود الغضب





★ عمران محمد العمران ★

ـ وهو بالمناسبة لا يهاب الكرب ولا يخاف العطب ـ في قصيدته «طود» التي أهداها إلى الشابي رشفة من نبعه النمير :

قد خبزت الشجون
ومضغت الوصابْ
وألفت اللهيب
والليالي الغضابْ
وعشقت النجيب
في مجالي السرابْ
ووأدت القطوب
في رياض الشباب
وسناء الوجود

والدليل على سلامة تلك الدعوة وصحتها ، سوء النظم وكاريكاتورية التصوير .. فقد خبز الشجون ، فكان عليه أن يعقب «وأكلت اللهيب» ـ كأنه روبوت يأتي بالخوارق ـ وإن كنت لم أفهم بعد كيف يتحول فجأة إلى وائد قطوب في غيابة الرياض والسناء ، ربما لأنه سعيد منشرح الصدر .. ومع ذلك نُحس رشْح التقليد والتكلُّف بقصيدته «أفراح .. لا أتراح» !

فإذا تركنا هذا الذي لا ينال من أدائه الرصين إلى موضوعاته التي عالجها ، لا نجد مندوحة عن الاعتراف بأنه شعَّر (بتضعيف العين) كل أسباب الحياة ، أو فلنقل جعل كل ظواهر الكون وكل مشاعر الطبيعة موضوعات لقريضه .. وهذا يتفق تماماً ورأيه في

الشعر ، إذ هو عنده ـ طالما كان غُرَّ القوافي ـ رسالة ضمير وأنشودة حاد وعنوان رفعة وذروة فن ولسان مجد وفيض طبع أو نبع إلهام (ص ٢٩٠) :

الشعر نبع من الإلهام مصطفق
وخاطر من رحيق الروح واللهبِ
والشعر رجع صدى الأفكار مزهرة
وذروة الفنّ عند المبدع الذربِ
....

حسبي من الشعر ما أرضى الضمير وما
أرضى الأذاويق في لفظٍ وفي أرَبِ
حسبي من الشعر ما يشدو الرواة به
وما يردده الحادون في طرَبِ
حسبي من الشعر أسماه وأصدقه
ينساب منسكباً في إثْر منسكبِ

وإنّ أية محاولة لتقسيم تلك الموضوعات لا تغني الديوان شيئاً ، إلا إذا قلنا مثلاً : «لعل عمران محمد العمران أحد البارزين في القوميات» لأن هناك مجموعة طيبة وكبيرة من القصائد التي جعلها حرباً على الاستعمار والصهيونية ـ فتى المغرب العربي ٦٧ ، انسحاب الغزاة ١٤٩ ، أيار ١٦٥ ، محنة الدهر ١٩٧ ، لن يموت العزم ٢٤٧ ، إلى فتح ٢٥٣ ـ وإذا كان لم ينشد سواها فحسبه ، لأنها تقدم لنا شاعراً لا نريد أن يكف عن الغناء .

✱✱

● الكتاب : الشاعر المسن .

● المؤلف : إبراهيم أمين فودة .

● الناشر : نادي مكة الثقافي الأدبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

هذا الكتاب ثمرة فكر تقليدي وقع في شطط النزعة التجريبية في الدراسات الأدبية ، ومحمد نزوع طه حسين ـ وتلامذته ـ إلى ربط الأثر الأدبي بصاحبه وبما حولهما من معالم البيئة .. فكدنا نعتقد أن الأدب نفسه ضاع في متاهات العلمية الزائفة والإحساس العارم بمنطق عدّه مؤلفه ـ خطأ ـ مظهراً من مظاهر صحة الأدب ، مع أننا بقدر ضئيل من التأمل نراه مرضاً فيه أو مما يفسد جوهر الفن بوجه عام .

ويقول مؤلف الكتاب إبراهيم أمين فودة منذ نحو نصف قرن ببيانه المشرق الرفيع إن جران العود






★ إبراهيم أمين فودة ★

ـ ومعناه عنق البعير المسن ـ في إطار بيئته مادياً ومعنوياً يدفعنا بشعره إلى «أحلام نفس شاخصة في ذهنك وأسرار قلب متكشفة بين يديك... كل أولئك في خيال رائع وتصوير بارع ولسان عربي مبين» ص ١٥ .

وعندما أراد أن يبرهن على ذلك خرج من الشاعر إلى جغرافيته وطبيعته بتعارضات في غاية الغرابة ، ولا تصلح لأن تكون حاسمة في تشكيل جران العواد شاعراً فذاً ذا عبقرية (ص ١٣) حتى إنّ الإقليم الذي درج فيه جبلي وعر المسالك ولكنه ساذج بسيط ويعوق استمرار التجوال ولا يبعث على القلق ، ولكنه ـ أيضاً ـ يولّد حبّ الاستطلاع ويدفع إلى الترحال حتى إن طبيعة العربيّ استطلاعية تحب التجوال ، ولكنه ـ للمرة الثالثة ـ وبالرغم من بساطته يجعل العربيّ ثابتاً شجاعاً ذكياً وإن يكن محدود الحيلة ، وكان حبه للاستطلاع سبب حبه للتقليد ، فقلّد حضارات الفرس واليونان (ص ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

ولأن جران العود فذ ، فقد كان عليه أن يطرحه على مبادئ سانت بيف ، وبعد أن قرّر ـ خطأ ـ أن البيئة الاجتماعية في العصر الجاهلي كانت سيئة لانتشار الخرافات الباعثة على التشاؤم (كذا في ص ٣١) طهّر لغة جران العود من العجمة مع أنه استرفد نتفاً من علوم الفرس والرومان والحبشة (ص ٣٣) وبدا برغم ضيق الأفق وضيق الخيال وضيق التفكير خفيف الروح رائع الأسلوب صحيح النطق (كذا !!) لطيف الدعابة سليم الطبع ، ونفسه تتجلّى في عواطفه وملامح وجهه (كذا أيضاً !) ص ص ٣٤ ، ٣٥ .

ومثل هذا تحصيل حاصل ويصح أن يوزن به شعر امرئ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم ، وإن يكن من العمومية بحيث يسهل شجبه بعدم صدقه ، وذلك على أساس أن عامل الشخصية أو العاطفة الشخصية تلغي ما قرره هو من مبادئ أهمها التقليد ، وما سمح به الأقدمون من تقدير الأسلوب الجميل أو الاستعارة المقبولة ـ مثلاً ـ على غير قاعدة التعبير الشخصي الذي وصفه أحد الباحثين المحدثين بأنه كان عندهم «كالمروق من سلطان النظام» يقصد التقليد !

إذ إنّ النظرة الحديثة لا تنكر إطلاقاً أن يكون في جران العود دم هو له ، ولكنها تعترف بأنّ هذا الدم سيط بدماء الشعراء الجاهليين الذين سبقوه والذين تعاصروا معه .. وقد تمثلت هذه الدماء ثقافة شعرية أهمها تلك الخرافات التي استهجنها المؤلف ، مع أنها كانت طابع عصر شعري وثنيّ ، ونماذج لغوية وأنماطاً بيانية وصف الشعر الجاهلي من كثرة دورانها فيه بالضحالة والتكرارية .

ونحن على أية حال لا نشجب محاولة إبراهيم فودة المبكرة ـ وهي نتاج التقليد والاجتهاد ـ ولكننا نحذر من السّرف في إقحام ما حول الأدب على الأدب نفسه .

ولكن ليس يعني هذا اعتماد النظر الجماليّ وحده في دراساتنا الأدبية ، وإنما يعني أن نظل مؤمنين بتأثيرها المطلق . وينبغي ألا ننسى قط أن كثيراً من الشعراء ـ وقد عاشوا في مجتمع واحد وإقليم جغرافي واحد ـ تناقضوا مستوى فنياً وفكراً وعواطف وأداء .

فإذا أعرضنا عما عقده المؤلف عن البيئة ، وكذلك عن حماسته البالغة في التنويه بعبقرية جران العود ـ ولم يكن عبقرياً بدليل عزوف غالبية النقاد عن ذكره ـ نواجه بتحليلات متعجلة لشعر متوسط القيمة حتى وإن عدّه به أبو العلاء محسناً !

فجران العواد ـ من شعره ـ زير نساء وتياه ، وبالرغم من استخفافه بنفسه من النساء يبدو عفيفاً ، وقد امتدت عفته إلى تجنب المهاترة بالهجاء ـ وهذا حكم مبرراته سلبية ـ غير أنه للعجب الشديد وفيما بيّنه المؤلف يبدي ضعفاً عظيماً في إرادته أمام النساء وإن لم يتدنّ (ص ص ٣٩ ، ٤٠) ، وقد هجا (ص ٤٠) وقال الحكمة على نحو محدود (ص ٤٦) .

أما خياله ـ والشعر ألفاظ لا يلقيها الشاعر جزافاً ـ فقد نجح في أن يجعل له تصويراً بديعاً وتنميقاً رائعاً «وله قصص فكهي عذب مضحك ، وله اعتزاز مما يفخر به الشعراء





★ محمد علوان ★

لطيف، وغزل رقيق وديع» ص ٤٨.

وجاء تنظير المؤلف للخيال غير منطقي، وقد خلص منه إلى القول إن خيال جران العود «رائع جميل ولكنه غير بعيد المدى» ص ٥٢، فلما وصل إلى الصورة الشعرية عنده، نبَّه إلى أن الحديث عنها ليس حديثاً عن الخيال أو عن البديع من استعارة وتمثيل وكناية «فتلك هي المعاني الجزئية» ص ص ٥٣، ٥٤ وكفى الله المؤمنين القتال!

ثم وقف ملولا عند بديع الشاعر – وهو كما نرى بالمعنى الذي قصده ابن المعتز وابن منقذ – فلم يغن شيئاً. وكان يمكن أن يتوقف هنا، إلا أنه عاد إلى الدراسة الموضوعية بحديث خاطف عن هجاء الشاعر، وحديث مسهب عن «القصص في الشعر العربي»، ص ٦٩، لينتهي إلى «قصص جران العود وتحليل نموذج منه» ص ٧١.. وهذا النموذج قسمه إلى مقدمة للرواية، ثم تمهيد للرواية، فثلاثة فصول غير متكافئة، وخاتمة للرواية. وتلك قراءة جيدة وفهم جيد لبنية القصيدة النموذج، غير أنه أفسد كل شيء بتخليه عن التحليل الذي كان حرياً أن يجعلنا نحكم على قيمة القصة الشعرية عند جران العود.

ولقد أحس المؤلف بعد هذا الجهد أنه لم يقل الكلمة الأخيرة في الشاعر، فطلب من القارئ الكريم أن يقولها (ص ٧٩) لأنه كما يقول يكتفي بالحكم!!

**

● الحكاية تبدأ هكذا (مجموعة قصصية).

● المؤلف: محمد علوان.

● الناشر: دار العلوم بالرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

تُعَدُّ هذه المجموعة من القصص القصيرة التي كتبها محمد علوان علامة من علامات القصة – من حيث هي جنس أدبي – التي يكتبها أدباء العرب. ولقد سبقتها مجموعة «الخبز والصمت» فأثارت له وحولها كثيراً من الجدل، ولا سيما أن يحيى حقي قدم لها على أساس أنها محسوبة على القصة الجديدة – أي التي لم يكتبها الروّاد كطاهر لاشين وتيمور – طالما اعتُرف بالنقيض الفنّي. لم يتحدث يحيى حقي عن ذلك النقيض إلا من حيث إثبات ملامح الجدّة شكلاً وموضوعاً، فثمة الحجم الصغير، والسرد المركّز، والنظرة إلى الداخل، والأسلوب الشاعري الذي يعتمد الرمز.. مع الانفلات من حركة الزمن المرتبطة بالمنطق الظاهري.

وتلك بعض ملامح القصة النقيض Anti-Story كما طلع بها علينا الوجوديون، وكما حاول شباب العصر في الستينات معالجتها، وكما ظهرت في بعض أعمال وجدت صداها العميق في نفوسنا.

وفي تصوّرنا أن محمد علوان ركب الموجة من جرّاء إحساسه بضرورة التغيّر. غير أنه كان في الستينات حَدَثاً لا يُعْرَفُ عنه شيء تقريباً، ولم يكن قد مرّ على وجود القصة القصيرة – في المملكة – إلا نحو ثلاثة عقود ملأى بالمحاولات المتعثرة غالباً. وعلى أواخر السبعينات صدرت له مجموعة «الخبز والصمت» أعقبتها في الثمانينات (١٩٨٣م) مجموعته الناضجة «الحكاية.. تبدأ هكذا»، وبين المجموعتين مرورٌ من التقليد بوعي الفنان الذكي وموهبته إلى الإبداع الذي لم يحتج فيه إلى سَلْخ الآخرين أو مسخ أعمالهم أو تبنّي قضاياهم التي علقوها بكثير من المطلقات والرموز المكثفة المتداخلة.

في «الحكاية.. تبدأ هكذا» قاص ماهر يتحرك بين النفس والشيء تحرُّكَ الشاعر عندما يستولي على الإيحاء أو يستولي عليه الإيحاء، فيندمج كل شيء في الموقف الأزمة. نلمس ذلك في القصة التي سمَّى بها مجموعته أي «الحكاية..

تبدأ هكذا » في ثنائية أو في جدلية الموت والحياة . يظهر الطفل ـ وقد قُضِيَت في الصحراء أمه ـ وفي الجانب الآخر تبدأ الحكاية موضوعياً من زوج تدعوه زوجته وهي تغمز « دعنا من ذلك كله .. أطفئ النور ولنبدأ حكايتنا نحن » .

هل كان لا بد أن تقول المرأة « ولنبدأ ... »؟ لا نظن ، بل بددت عبارتها الأخيرة ثرثرة لا يحتملها فن علوان المكثف .. المثقل بالرموز .. المشتت بالرؤى القافزة .

وفي « عين الذئب » رجل أعور مثلما كان في « الحكاية .. تبدأ هكذا » ويُعَدُ غائر في عُقَد الشخص الذي ينوء به الحرمان ، ثمة لحظات خصب . ولكنه يضع الرمل مقابلاً لها ، أو وجهاً آخر للحياة ـ وقد وجد الرمل في القصتين ـ أي وجه الجدب الذي يحتاج إلى أن يرتوي حتى من ماء القمر .

وذكر الرمل ـ عنده ـ يعني الأرض الصحراء ، أو الأرض العطشى والمرأة التي تطلب الريّ .. نراه بعد أن رأيناه في تينك القصتين في مرموزته « حدثنا رجب عن زهية » وفي هذه أيضاً طفل يروي أرضاً أنهكتها الشمس ، كذلك في « مرثية فرس اعتذرت عن السباق » مع إشارة مجازية إلى الطفل الذي ضل الثدي ، وإلى عبارة دالّة « قيل الرمل يشكل أي شيء وبنفس القدرة يمحو الشكل » ، ص ٩٢ .

على هذا النحو يحقق علوان تلك الجدلية بأسلوب يضرب في رومانسية تتعمق نفسه ، وقد تحوّلت هذه الرمزية إلى سيريالية شديدة الغموض بحيث لا ندري في بعض الأحيان ماذا يريد أن يقول ، ولا كيف يقع الحدث الذي يكون خاطفاً دائماً ، وقد لا يكون إلا مجرد انفعال ، وقد لا نفهم القصة إلا حدساً ومن سياق العمل كله . وتصبح المواقف من ثم ـ إذا وُجدت ـ مجموعة صور متزاحمة في اللاشيء . ومن بعيد أو من أساس ظني نضع أيدينا على بعض الإحساس المضيَّع في متاهات ذاته !

هكذا يدمر علوان قواعد القصة التقليدية التي بشر بها لاشين وعبيد ، ويستعيض عنها بالقصة الجديدة أو القصة النقيض ؛ وفيها تقوم لغته بدور المنشط ، أو تبدو في الحقيقة حافزاً يغري بقراءته . صحيح هي مكثفة ولاقطة أو مكتنزة ، إلا أنها تحمل سمات الشعر ، إذا استبعدنا الشعارات التي تشكلها مفردات مستهلكة .. الحتمية ، الثأر ، العدالة ، الحرية ونحوها مما يوقعه في النثرية المباشرة التي سئمناها .

وشاعرية الأسلوب مشروطة ـ عند علوان ـ بتوتر نفسي جامح ، أو فلنقل هي تعبير عن احتدام انفعال وعنف مشهد ، وقد تتخذ الشكل العروضي تماماً مثلما تتخذه القصيدة ، لنقرأ له (ص ٨٩) :

لا جدوى
تسقط فوق الأرض
تصرخ في رعب : امسك ظهري
إني أتبرأ في (هذه) اللحظة من قلبي
أتبرأ من كل أماني الناس
أتبرأ من شوق الأرض العطشى للماء
....
كُفّي أيتها الأمطار
كُفّي أيتها الأنهار
كُفّي (يا) مياه الأزمنة العطشى ...
للحبِّ الصادق
إني أتطهر في (هذه) الصحراء
من كل ذنوب السابق واللاحق
إني أشرب من عطشي !

بهذه اللغة أدان علوان مجتمعه ، غير أن هذه الإدانة لم تصل إلى حد اللعنة . كانت احتجاجاً ـ والكاتب الواعي دائم الاحتجاج ـ مرتبطاً بفهم واقعه على نحو خاص ، والنحو الخاص هذا تبرزه قصته الرائعة « هو وابنته والكلب » وقصته الأخرى التي توشك أن تكون محاكمة كمحاكمة كافكا « تسقط الأوراق في الربيع » ثم « اللعبة » و « البقعة الشمسية » التي تناقش قضية الحرية بواقعية مُشعرَة « وصل إلى ركنه حيث اعتاد كل عشية أن يمضغ كلاماً عن ذكريات يراها ، حين يقعد وصاحبه خلف تجاعيد تروي الحكايات عن الزمن القديم ، زمن الصدق والمحبة » ، ص ٢٢ .

وأخيراً هل يمكن أن نعتبر تلك المجموعة أثراً أو صدىً لمعاناة علوان من حيث هو كاتب فنان؟

لسنا ندري !

ولكن إلحاحه على موتيفات الكاتب والكتابة في أغلب قصص المجموعة ـ ص ص ٢٢ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٦ مثلاً ـ يفتح الباب أمامنا للتأمل ، ثم لإعادة قراءة المجموعة كلها إلا « الحب والمطر » فهناك رموز كثيرة يؤخذ بها علوان .



مع الشاعر القديم

بقلم
د. إبراهيم السامرائي

كثر الكلام على الشعر في عصرنا هذا ، فقد ذهب النقّاد ومؤرخو الأدب في كلامهم على « صفة » الشاعر مذاهب صعبة تخلص منها إلى أن ثقافة الشاعر زاد تختلف ألوانه ، فهو أديب ملم بالأدب والآداب قديمها وحديثها ، عارف بكثير من ألوان الثقافة التاريخية وغيرها ، مدرك لتطور الفكر والحضارة . ثم إن له مما وهبه الله قدرة على الإبداع ، وجملة هذا هي « الشاعرية » . فأنت ترى أن أدوات الشاعر وخصائصه تفوق أدوات الأدباء الكتّاب والنقّاد وسائر أهل الفكر من قبَل أن الشاعر جُبل وفي نفسه شيء يمنحه القدرة على التجويد والإبداع . ومن هنا كان « الشعراء » عدة قليلة في كل عصر وفي كل أمة من أمم الأرض ، وهذا يعني أن جمهرة من يضطربون في صوغ الكلم وتنظيمه ، لا يمكن أن يكونوا من هذه الصفوة التي رزقت دون سواها أن تأتي بالفن الأصيل .

وإذا كان هذا شيء يسير موجز مقتضب مما يقال في « الشاعر » الجديد في عصرنا ، فإن ذلك ليدفعنا إلى أن نتبين شيئاً من « صفة » الشاعر القديم . ولا بد أن نقف على **الشاعر الجاهلي** فنجده من صفوة خاصة . وهذه « الصفوة » تحفل بالمشاهير وغير المشاهير ، ولكنهم جميعاً ليسوا كسائر معاصريهم ، يدلنا على ذلك أن القبيلة تحتفل بميلاد شاعرها وظهوره في مناسباتها وما تقتضيه المنافرة والمفاخرة والدفاع عن حقها والإشادة بمجدها ومآثرها .

ومن أجل ذلك كان للشاعر منزلة عظيمة ، وحكاية **بنات « المحلّق »** اللواتي لم يتقدم إلى الزواج منهن أحد حتى إذا أشاد الأعشى بكرمه وفضله ومنزلته يقول فيه :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار باليفاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْن يَصطليانها
وبات على النار الندى والمحلّقُ

لم ينقض العام إلا وكلّهن خَطبن وتزوَّجْن .

ولا يفوتني أن أذكر ما كان أمر **الفرزدق** القائل :

فَهَبْ لي خُنَيْساً واحتسبْ فيه منّة
لَحوْبة أم ما يسوغ شرابُها

قال الشيخ **ابن برّي** : والسبب في قول الفرزدق هذا البيت أن امرأة عاذت بقبر أبيه غالب ، فقال لها : ما الذي دعاك إلى هذا ،

فقالت : إن لي ابناً بالسند في اعتقال **تميم بن زيد القيني** ، وكان عامل **خالد القسري** على السند ، فكتب من ساعته إليه :

كتبتُ وعجّلتُ البرادة إنني
إذا حاجة حاولتُ عَجّتْ ركابُها
ولي ببلاد السند عند أميرها
حوائج جمّات وعندي ثوابُها
أتتني فعاذت ذات شكوى بغالب
وبالحرّة السافي عليها تُرابُها
فقلت لها : إيه اطلبي كل حاجة
لديّ فخفّت حاجة وطلابُها
فقالت بحزن حاجتي أن واحدي
خُنَيساً بأرض السنْد خوًى سحابُها
فهبْ لي خُنَيْساً واحتسبْ فيه مِنّة
لحَوْبة أم ما يَسوغ شرابُها

. . . .

. . . .

فلما ورد الكتاب على تميم ، قال لكاتبه : أتعرف الرجل ، فقال : كيف أعرف من لم يُنسَب إلى أب ولا قبيلة ، ولا تحقّقت اسمه ، أهو خُنَيْس أو حُبَيْش ؟ فقال : أحضِرْ كلَّ من اسمه خُنَيْس أو حُبَيْش ، فأحضرهم فوجد عدّتهم أربعين رجلاً ، فأعطى كل واحد منهم ما يتسَفّر به ، وقال : اقفلوا إلى حضرة أبي فراس[1] .

الشاعر القديم

أقول : إن هذا ، وغيره كثير ، يظهر ما كان للشاعر في المجتمعين الجاهلي والإسلامي من مكانة عالية .

ومن أدوات الشاعر معرفة واسعة بمآثر العرب وأيامها ومنافراتها ومفاخراتها ، بل قل : تمام العلم بالتاريخ القديم ، وبالأدب القديم من مثل وقول مأثور ونحو ذلك . وامتلاك واف للعربية وما لها من غريب وأوابد . وجملة هذا ثقافة علمية وافية تكون معيناً ثرًّا يتزود منه الشاعر موادّه .

وليس عجيباً أن الشاعر كان يفد إلى المحافل والأندية التي هي شيء من « أسواقهم » فينشد وكأنه في إنشاده يشارك في « مباراة » شعرية كما نفعل في عصرنا ، وكما نتخذ في الصحف والمجلات وغيرها أدوات للإعراب عن التبريز في الميدان الأدبي .

وطبيعي أن الشاعر القديم الجاهلي والإسلامي ، كان يقصد في تصديه للمناسبات أن يأتي بأحسن ما حصل له من الشعر الذي جهد في اتقانه وتجويده وإحكام مادته . وليس عجيباً أن دعيت قصائد **زهير بن أبي سُلمَى** بـ « الحوليات » لما كان يفرغ فيها من جهد في البناء والصقل والتجويد فيتم له جملة ذلك في « حول » كامل .

وهذا يعني أن الشعر القديم كما كان وليد اللمحة العابرة والإيحاءة السريعة في مقطعاته الموجزة ، فذاك ليس بمانع أن يكون في جملته وليد الفكر الغاصب والعمل الجاد . والعناية بالشعر وإحكام نسجه ليأتي محكم البناء ، يعني ذلك كله أن يسعى الشاعر فيجنِّب شعره « العيوب » ، وإلى ذلك أشار **ذو الرمة** :

وشعر قد أرقتُ له غريب
أجنّبُه المساند والمحالا

وهذا كالقائل وهو دائب في إحكام « قصيدته » التي « قوَّم ميْلَها وسِنادَها »[2] .

فأنت ترى أن الشاعر ذا الرمة قد « أرق » لشعره مجتهداً أن يجنّبه « المساند » ، و « المحالا » ، وهذا يعني أنه لم يأته شيء منه عفو الخاطر مما تسمح به قريحة مواتية سمحة . على أني لا أنكر أن يأتي شيء قليل من هذا ، غير أن ما أثر من المطولات ، والقصائد لا بد أن يكون فيها قدر من جهد ناصب ، وفكر مبدع وصنعة لا يوصل إليها إلا بالكد والسعي مع طبيعة سمحة مواتية .

ولولا الطبيعة السمحة المواتية ، ما كان للجهد الناصب من أثر كبير في الإبداع ، ولولا ذلك لكان كل أديب شاعراً ، ولم يكن شيء من هذا فيما نعلم من تاريخ الأدب العربي وغيره من آداب الأمم الأخرى .

ونقف هاهنا قليلاً فنقول ونردد قول الراجز القديم :

الشعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ
إذا ارتقَى فيه الذي لا يفهمُهْ
زلّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ

وهذه الوقفة تفرض علينا أن نقف على « **الشاعرية** » أو ما يُدعى في عصرنا بـ « **الموهبة** » فنقول : عبّر الأقدمون عن هذه « الموهبة » في مصطلح أهل العصر في طرائق نخلص منها إلى أن الشاعر قد يؤتى له من « شيطانه » ، وشيطانه هذا من عالم خاص هو عالم الجن . وقد كان لهذا النظر في الجاهلية عقيدة وإيمان . فقد قال **الجاحظ** في الكلام على قول الشاعر :

بنت عمرو وخالُها مسحَل الخيـ
ـر وخالي هُمَيْمٌ صاحب عَمْرو

فإنهم يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر ، فزعم **البهراني** أن هذه **الجنية بنت عمرو صاحب المُخَبَّل** ، وأن خالها **مسحَل شيطان الأعشى** . وذكر أن خاله هُمَيْم ، وهو هَمّام . وهَمّام هو الفرزدق . وكان **غالب بن صعصعة** إذا دعا الفرزدق قال : يا هُمَيْم .

وأما قوله : « صاحب عمرو » فكذلك أيضاً يقال : **إن اسم شيطان الفرزدق عمرو** . وقد ذكر الأعشى مِسْحَلاً حين هجاه جُهُنّام فقال :

دعوت خليلي مسْحَلاً ودَعَوا له
جُهُنّام جَدْعاً للهجين المُذَمَّم

وذكره الأعشى فقال :

حَباني أخي الجنّي نفسي فِداؤه
بأفيَح جَيّاش العشيّات مِرْجَم[3]

وجُهُنّام هو اسم عمرو بن قَطَن من بني سعد بن قيس بن ثعلبة ، أو اسم « تابعته »[4] .

وقال أعشى سليم :

وما كان جنيّ الفرزدق قدوة
وما كان فيهم مثل فَحْل المُخَبَّل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه
ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسْحَل

وقال الفرزدق في مديح **أسد بن عبد الله** :

ليبلُغَنَّ أبا الأشبال مدحتنا
من كان بالغَور أو مَرْوَى خُراسانا
كأنها الذهبُ العقيان حبَّرها
لسان أشعر خلْق الله شيطانا

وشيطان الشاعر أمير الجنّ وإلى هذا يشير الراجز :

إني وإن كنتُ صغير السنِّ
وكان في العين نبوٌّ عنّي
فإن شيطاني أميرُ الجنِّ
يذهبُ بي في الشعر كل فنِّ[5]

وجاء في رسائل المعري : أن **أبا بكر ابن دريد** ذكر لأصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلاً يقول : لِمَ تقول في الخمر شيئاً ، فقال : وهل ترك **أبو نواس** مقالا ، فقال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
أتَتْ بين ثوبي نرجس وشقائقِ
حكَتْ وجنة المعشوق صرفاً فسلَّطوا
عليها مزاجاً فاكتسَتْ لونَ عاشقِ

فقال له أبو بكر : من أنت ؟ فقال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه ، فقال : **أبو زاجية** ، وخبَّره أنه يسكن الموصل[6] .

ولأبي العلاء طرائف في « **رسالة الغفران** » ، مما يتناقلها العرب من عالم الجنّ ، فهو يتحدث على لسان هذا الذي تنقل في رحاب « النعيم » فيقول :

فيركب بعض دوابّ الجنة فيسير فإذا هو بمدائن ليست كالمدائن فيقول : ما اسمُك أيها الشيخ ؟ فيقول : أنا الخيتعور أحد بني الشيصبان ، ولسنا من ولد إبليس ، ولكنّا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم ـ صلى الله عليه ـ فيقول : أخبرني عن أشعار الجن فقد جمع منها المعروف بـ « **المرزباني** »[7] قطعة صالحة[8] .

ويمضي هذا الخيتعور يتحدث عن شعر الجن الذي سبقوا فيه الإنس بقرون ، وكان لهم من بحوره خمسة عشر فيها الرجز والقصيد ، وأنه يكنى « أبا هَدْرش » وأن الجن فيهم المؤمنون أصحاب الجنة ، وفيهم الكفّار أصحاب النار . . . وفي أثناء كلامه عن الجن طرائف كثيرة يختمها بقوله : (وهي قصيدة تنيف على العشرين بيتاً) وفيها :

حَمدتُ من حطِّ أوزاري ومزِّقها
عنّي ، فأصبح ذنبي اليومَ مغفورا
وكنت آلَفُ من أتراب قرطبةٍ
خَوداً ، وبالصين أخرى بنت يغبورا
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

فيقول : للّه درّك يا أبا هَدْرَش[9] ! لقد كنت تمارس أوابد ومنديات[10] ، فكيف ألسنتكم ؟ ، أيكون فيكم عَرَب لا يفهمون عن الروم ، وروم لا يفهمون عن العرب ، كما نجد في أجيال الإنس ؟ فيقول :

هيهات أيها المرحوم ! إنّا أهل ذكاء وفِطَن ، ولا بد لأحدنا أن يكون عارفاً بجميع الألسن الإنسية ، ولنا بعد ذلك لسان لا يعرفه الأنيس ، وأنا الذي أنذرت الجن بالكتاب المنزل[11] .

ثم يمضي « أبو هدرش » يجيب سائله عن أسئلته فيأتي بكلام على شعر المتقدمين من الجاهليين **كأوس بن حجر** وغيره ، ثم يروي قصيدة طويلة في حديث « الرجم » أولها :

مكّة أقوَتْ من بني الدردبيس
فما لجني بها من حَسيسْ

ويمضي في روايتها ، وهي تنيف على الستين بيتاً[12] .

فإذا تبينّا « عالم الجن » في تصور العرب في جاهليتهم ، وما بقي من آثار ذلك في أوهامهم فيما بعد الجاهلية ، أفلا يكون أمر « شيطان الشاعر » شيئاً غير غريب ، وأنه وسيلة لتفسير إبداع الشاعر وإجادته في فنّه مما يطلق عليه في عصرنا بـ « الموهبة الشعرية » ؟

الهوامش

(١) اللسان (حوب) .

(٢) قالوا : السناد من عيوب الشعر وهو اختلاف الأرداف ، كقول عبيد بن الأبرص :

فقد ألج الخباء على جَوار
كأن عيونهن عيونُ عينِ

ثم قال :

فإن يك فاتني أسفاً شبابي
وأضحى الرأس مني كاللجيْنِ

وقد عرض السناد للشعراء الجاهليين كما في قول عمرو بن كلثوم :

شربنا من دماء بني تميم
بأطراف القنا حتى رَوينا

وقوله فيها :

ألم ترَ أن تغلبَ بيت عز
جبال معاقل ما يُرْتَقينا

فكسر ما قبل الياء في «رَوينا» وفتح ما قبلها في «يُرتَقينا» .

(٣) الحيوان ، ٦/٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

(٤) اللسان (جهنم) ، والمؤتلف ، ص ٢٠٣ .

(٥) رسائل أبي العلاء ، وانظر ثمار القلوب للثعالبي ، ص ٥٦ .

(٦) رسائل أبي العلاء .

(٧) المرزباني (صاحب الموشح وغيره) ، محمد بن عمران بن موسى أبو عبد الله ، المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، (انظر الفهرست ص ١٣ ، ط أوروبا) ، وقد أشار أبو العلاء إلى كتابه (في أشعار الجن) .

(٨) رسالة الغفران ، ص ٢٨٩ ، إلى ص ٢٩١ .

(٩) كنية الجني (الشاعر) .

(١٠) كذا في رسالة الغفران ، ولا وجه لها ، أقول : لعلها : متبدّيات .

(١١) رسالة الغفران ، ص ٢٩٦ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، إلى ص ٣٠٤ .

المغتاب

شعر: مقبل العيسى

مهداة لمن قال لي يوماً.. لماذا لا تهجو فلاناً..!!

يأبى ضميري الحر أن أهجو الذي
يغتابني سراً وبين رفاقي!!

فالحرُّ لا يرضى.. وإن ملك الردَّى
أن ينتفي من شيمةٍ وخلاقِ!!

أدري بأن الشعر هجواً للعدى
كالسهم في صدر وفي أعناقِ!!

وبأنَّ أبياتَ الهجاء سماعُها
عند الورى.. شوقٌ من الأشواقِ!!

لكنني صُنْتُ القريض عن الأذى
ونذرتُ حرفي للنُّهى الخلاَّقِ!!

للطِّيب.. للجرح العميق بأمتي
للعشق في الدنيا.. وللعشّاقِ!!

إنْ كان دنيا الكاشحين كئيبة.
دنياي.. لا تخلو من الأشواقِ!!

مَنْ يرمني منهم بسهم حاقدٍ
فالسَّهم.. لا يعلو إلى آفاقي!!

يأبى الضمير الحرُّ أن يبقى العلى
دوناً.. وأنْ يعلو نديم نفاقِ!!

مَنْ كان يستهوي السباب لقوة
فيه.. فهذي قوة الأبواقِ!!

حَسْبي من الأنف الحميِّ خلائقٌ
لم تلتفت يوماً إلى أفَّاقِ!!

إن كان يغريه السَّوادُ.. فإنني
أهوى بياض الثلج في أعماقي!!

أو كان مغتابي يفيض سفاهة
فالحلم عندي سيِّدُ الأخلاقِ!!

ماذا يُضير المرءُ.. في عليائه
أن يقتل المغتاب.. بالإشفاقِ؟؟

وظيفة المجلة الأدبية

بقلم: د. علي شلش

يمكن تعريف المجلة الأدبية بأنها مطبوع دوري، يرتبط بعصره، ويتوجه إلى جمهور خاص، ويكرس كل صفحاته أو معظمها للأدب، ويصدر عن تصور معين للأدب ورعايته وترقيته.

ويتضح من هذا التعريف المجرد أن أهم عناصره وأخطرها هو العنصر الأخير، أي أن تصدر المجلة الأدبية عن تصور معين للأدب ورعايته وترقيته. وهذا العنصر الأخير نفسه يشكل ما يمكن أن نسميه: وظيفة المجلة. فليس من اليسير أن نتصور مجلة أدبية قوية ومؤثرة دون أن تحدد لنفسها - منذ البداية - وظيفة معينة تؤديها في مجالها الذي صدرت لخدمته.

ولكن هذه الوظيفة لها في العادة معنيان: أحدهما خاص والآخر عام. أما المعنى الخاص فهو أن يكون للمجلة برنامج أو خطة تتقدم به أو بها إلى جمهورها، أو بعبارة أخرى أن يكون لها تصور ما لرسالتها التي صدرت من أجلها. وأما المعنى العام لهذه الوظيفة فيحدده - أو يقيسه - مؤرخو الصحافة والأدب. ويتمثل عموماً في العمل على ترقية الأدب. ومن الطبيعي والموضوعي معاً أن يتم تحديد دور المجلة وقياسه بعد توقفها، ولكن هذا لا يمنع من المتابعة والدراسة في كل مرحلة من مراحل حياة المجلة.

ونتناول في هذا المقال وظيفة المجلة الأدبية بمعنييها، كما نتناول العوامل التي تؤثر في أداء الوظيفة مع التطبيق على أربع مجلات أدبية معروفة صدرت في القاهرة في الفترة من ١٩٣٣م، إلى ١٩٥٣م، هي على التوالي: **الرسالة (١٩٣٣ - ١٩٥٣م)، الثقافة (١٩٣٩ - ١٩٥٣م)، الكاتب المصري (١٩٤٥ - ١٩٤٨م)، الكتاب (١٩٤٥ - ١٩٥٣م)**، وهي مجلات أدبية عامة بمعنى أنها لا تتخصص في جنس أدبي معين، فضلاً عن المجلتين الأوليين كانتا أسبوعيتين في حين كانت الأخيرتان شهريتين.

★ أحمد حسن الزيات ★



★ أحمد أمين ★

الوظيفة بالمعنى الخاص

تحرص المجلات الأدبية على استهلال حياتها بافتتاحية ترسم فيها برنامجها أو خطتها. وقد أصبح هذا تقليداً مرعياً يندر افتقاده في المجلات عند ظهورها، لا فرق في ذلك بين مجلة أدبية عامة ومجلة متخصصة في الشعر أو النقد أو القصة أو غير هذا من ألوان التخصص.

وطبيعي أن يختلف برنامج المجلة الأدبية العامة عن برنامج المجلة المتخصصة نظراً لاختلاف الهدف والاهتمام. ولكن مهما اختلفت برامج هذه أو تلك فثمة اتفاق ضمني بينها على خدمة الأدب وترقيته أو تطويره بوجه عام. وتتميز هذه البرامج والخطط - عادة - بالطموح والتفاؤل والوعود والتعلق بالمستقبل. كما تتميز بافتراض نقص ما تسعى المجلة لاستكماله. وتتراوح هذه الخطط بين الطول والقصر، وإن كانت تميل إلى الطول عادة.

وعندما صدرت مجلة « الرسالة » في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣ م ، كانت افتتاحيتها أقصر الافتتاحيات وأكثرها تركيزاً . ولكنها تضمنت الخصائص السابقة . فقد استهل **الزيات** افتتاحيته بعنوان « الرسالة » بالحديث عن المصاعب التي استطاع التغلب عليها حتى صدرت المجلة ، وأشار إلى عجز « الصحافة الأدبية » في مصر عن الوفاء بغاياتها . وعلَّل هذا بقوله : « إن السياسة طغت على الفن الرفيع ، والأزمة مكنت للأدب الرخيص ، والأمة من خداع الباطل في لبْس من الأمر لا تميز ما تأخذ مما تدع » ، ولكنه عدَّ هذه من أسباب إقدامه على إصدار المجلة . فغاية الرسالة ــ كما يقول ــ أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع ، وبهرج الأدب بتثقيف الذوق ، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق . أما مبدأ الرسالة فهو ــ كما يقول أيضاً ــ ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب .

أشار الزيات في افتتاحيته بعد ذلك إلى كتَّاب المجلة ممن « طووا مراحل الشباب على منصة التعليم » ، والبارعين والنابهين في مصر والشرق العربي ، دون أن ينسى الشباب الذين هم « أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح . وما دامت وجهة الرسالة الإحياء والتجديد ، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد ، فلا بد أن يتوافيا على مشرع واحد » . واختتم خطته بقوله : « فإلى أبناء النيل وبردى والرافدين نتقدم بهذه الرسالة راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك في تقوية النهضة الفكرية وتوثيق الروابط الأدبية وتوحيد الثقافة العربية ، وهي على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل ، وقوة الرجاء في الله » .

وإذا كانت افتتاحية « الرسالة » قد جاءت بخطة قصيرة مركزة ، فقد كانت خطة « الثقافة » أطول وأكثر تفصيلاً . **ففي ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٩ م ، صدرت « الثقافة » عن لجنة التأليف والترجمة والنشر** ، وهي ذات اللجنة التي أشار الزيات إلى أعضائها في خطته السابقة كمشاركين في تحرير مجلته مع **طه حسين** . وقد شاركوا بالفعل في تحريرها

وظيفة المجلة الأدبية

منذ العدد الأول ، وعلى رأسهم رئيس اللجنة **أحمد أمين** . ثم نشب خلاف بينهم وبين الزيات كان من أثره أن استقل هو عنهم بمجلته ، ثم استقلوا هم عنه بمجلة « الثقافة » بعد ذلك .

كانت افتتاحيته « الثقافة » بقلم أحمد أمين وعنوان « لماذا نصدر المجلة » وفيها ــ على صفحتين ــ تحدث عما يمتلئ به الشرق والغرب من كنوز المعرفة والعلوم والأدب ، وبين حاجة هذه الكنوز إلى من يجلوها للناس . ثم تحدث عن المدنية الغربية التي « تدفعنا في تيارها دفعاً » على حد تعبيره ، مما يستوجب نقل ما عندها من كنوز . وبيَّن كيف أحست « الثقافة » المقدرة على المشاركة في هذا العمل الجليل ، فنزلت إلى الميدان دون أدنى رغبة في منافسة زميلاتها ، ودون إشعال حرب سوى « حرب الآراء » واختتم افتتاحيته بالحديث عن اللجنة وغنى تخصصات أعضائها وشعورهم بالمسؤولية إزاء إشراك أكبر عدد ممكن في مختلف الأقطار في علمهم وأدبهم . وناشد الأدباء والعلماء بالالتفاف حول المجلة والمساهمة فيها .

ولما صدرت مجلة « الكاتب المصري » في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٥ م ، كتب طه حسين افتتاحية طويلة من أربع صفحات بعنوان « برنامج » ، شرح فيها صلة مصر بأوروبا تاريخياً وحضارياً . ورجا أن تكون المجلة أداة لتحقيق مهمة توسط مصر بين الشرق والغرب التي نهضت بها منذ شاركت في الحضارة الإنسانية ، وأن تكون هذه الصلة « ثقافية بأدق معاني هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا ، وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانياً » عن طريق العناية بقديم الأدب العربي وحديثه ، وكذلك بالآداب الأجنبية تعريفاً ودرساً ونقداً وتحليلاً . أما وسيلتها إلى تحقيق هذا كله فهي الشدة على نفسها وكتَّابها وقرائها ، والحرية الواسعة السمحة ، والعناية بالشباب وإنتاجه ، وفتح « الأبواب على مصاريعها للتيارات الأدبية والثقافية من أي وجه تأتي ، وعن أي شعب تصدر ، وفي أي لغة تكون » .

وكانت افتتاحية **مجلة « الكتاب » التي صدرت في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٥ م** ــ بعد شهر من صدور زميلتها السابقة ــ من أربع صفحات بقلم رئيس تحريرها **عادل الغضبان** . ولكن سبقه الناشر صاحب دار المعارف المصدرة للمجلة بافتتاحية تحدث فيها عن رسالة الفكر السامية ، وجهود الدار في نشره وحمل رسالته ، وحاجة قادة الفكر إلى مجلة ، وهذه هي « الكتاب » . ثم جاءت افتتاحية الغضبان الطويلة التي أفاض فيها في الحديث عن أهمية الكتاب ودوره عبر العصور ، واعتزام المجلة معاونة القارئ في اختيار مطالعاته ، واستهدافها خدمة العرب عن طريق نشر الثقافة من خلال الرأي الحر والقلم النزيه ، بحيث تقدم « أروع ما تفتقت عنه أذهان الشرقيين والغربيين ، ونبضت به قلوبهم ، وابتدعه خيالهم ، وأنتجته عبقريتهم . هذا إلى عناية قصوى بالكتاب العربي » ، ثم تحدث عن اعتزاز المجلة باللغة العربية وزهوها بالعقل العربي دون انتقاص لسواه من العقول ، وبناء أدبنا الحديث على أركان أدبنا القديم . وأخيراً تحدث عن إيمان المجلة بإحياء القديم وبعث نفائسه والركون إليها في بناء جديدنا ، والأخذ عن الغير ما ليس عندنا أخذ الدائن من المدين ، فضلاً عن التأثر بالعصر ومستحدثاته وإفراغ المعاني العصرية في قوالب من بلاغتنا .

ولعلنا نتبين من هذه النماذج الأربعة أنها ــ بغير استثناء ــ تعكس ما سبق أن أشرنا إليه من خصائص عامة لبرامج المجلات وخططها في تحديد المعنى الخاص لوظيفتها . ولكن هذا المعنى نفسه تتصل به بعض المظاهر الأخرى ، وأهمها مظهران ، يتمثل أولهما في ما تلجأ إليه المجلات الأدبية في معظم الأحيان من شعارات تجعلها

على رأس غلافها أو صدره ، وتلخص فيها وظيفتها أو تشير إلى أهم معالمها . وقد حافظت المجلات الأربع السابقة على هذا التقليد . فكان شعار « الرسالة » هو « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » . وكان شعار « الثقافة » هو « مجلة أسبوعية للاجتماع والآداب والعلوم والفنون » ، ثم غيرته بعد فترة قصيرة إلى « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » ، وهو نفسه شعار « الرسالة » . أما « الكاتب المصري » فقد جعلت شعارها « مجلة أدبية شهرية » ، على حين جعلت « الكتاب » شعارها « مجلة شهرية للآداب والعلوم والفنون » .

ولعلنا لاحظنا أن « الكاتب المصري » كانت الوحيدة بين المجلات الأربع التي اقتصرت في شعارها على الأدب ، في حين جعلته الثلاث الأخريات جزءً من اهتماماتها . فكيف نجيز إذن تصنيفها كمجلات أدبية ؟ الحق أن المجلات الأربع كانت تكرس معظم صفحاتها للأدب ، أما اهتمامها بالاجتماع أو العلوم أو الفنون فلم يكن في مجموعه مساوياً لاهتمامها بالأدب ، فضلاً عن أن « الكاتب المصري » نفسها كانت تخوض في العلوم والفنون بذات القدر ، وأن الاهتمام بهذه الفروع من المعرفة ـ مع الاهتمام بالأدب ـ كان وما زال أشبه بتقليد تحافظ عليه معظم المجلات الأدبية العامة في أوروبا وأميريكا . ولكن يبدو أيضاً أن المجلات الثقافية العريقة ، مثل **المقتطف** ، **والهلال** ، قد رسخت هذا التقليد نفسه بالرغم من كونها مجلات غير أدبية ، لا يحتل فيها الأدب كل أو معظم صفحاتها .

المظهر الآخر الذي يتصل بالمعنى الخاص لوظيفة المجلة الأدبية ، يتمثل فيما تلجأ إليه بعض المجلات من افتتاحيات ، سنوية أو في مناسبات معينة ، كالتجديد في الأبواب أو الشكل ، فتعلن التزامها بخطتها أو تطويرها لها أو تتابع ما قطعته من مراحل بالتقييم والوعد بالتحسين . هذا ما فعلته « الرسالة » طوال سنواتها العشرين حين كان محررها يفتتح أعدادها السنوية بافتتاحيات من هذا النوع . وكانت « الثقافة » تشارك في هذا التقليد . بل تفوقت فيه حين أعلنت أكثر من مرة عن تطويرات مقبلة ، حتى قبل توقفها بأشهر قليلة . أما المجلتان الأخريان فكان لهما من ذلك الشيء اليسير . ويبدو أن شعور « الكتاب » بالاستقرار قد قلل من تفكيرها في التغيير في حين أن قصر حياة « الكاتب المصري » لم يمكنها من ذلك .

الوظيفة بمعناها العام

ليس من اليسير ، ولا من المستحسن ، أن تقوم المجلة بتقييم وظيفتها تقييماً موضوعياً . فهذا أمر متروك عادة للباحثين والدارسين . ومع ذلك حاول الزيات بصفة خاصة أن يقدم شيئاً من هذا التقييم على نحو دوري في افتتاحيته للعدد السنوي من « الرسالة » . فهو يقول في افتتاحية السنة السابعة (٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٩ م) : « إن المجلة أصبحت فصلاً من فصول الأدب العربي الحديث ، بل هي ديوان العرب المشترك » . ويقول في افتتاحية العدد الألف (أول سبتمبر (أيلول) ١٩٥٢ م) إن المجلة لو كشفت عن قلبها وتحدثت عن نعمة ربها « لذكرت بلاءها العظيم في إنهاض الأدب ، وتوحيد العرب ، وتخريج طبقة من الأدباء ، وتثقيف أمة من القراء ، بل مجاهدتها السلطان الباغي والثراء الطاغي والفقر المهلك » . وكل هذه أحكام صحيحة في جملتها ، ولكنها قد تقع عند الناس موقعاً آخر لأنها صدرت عن محرر المجلة لا عن باحث خارجي .

ولعل « الرسالة » أكثر المجلات الأدبية في تاريخنا الحديث حظوة بالدراسة والبحث ، على العكس من المجلات الثلاث الأخريات . ولا شك أن هذا راجع في الأساس إلى عوامل كثيرة أهمها مواكبتها للعصر الذي نشأت فيه ،



★ سيد قطب ★



★ عبد العزيز البشري ★

وتفرغ محررها لها وامتلاكه حساً عالياً بنبض عصره وذوقاً رفيعاً ، وتشجيعه للشباب ، ومشاركة عدد كبير من أدباء البلاد العربية في تحريرها ، فضلاً عن طول مدة صدورها . وكل هذه عوامل أساسية في أدائها لوظيفتها بهذا المعنى العام ، أي أدائها لدورها في الأدب الحديث . وفي ذلك يقول **الدكتور شكري عياد** (الرؤيا المقيدة ، ص ١٨٢) إن المجلة استطاعت « خلال عشرين عاماً أن تكون مدرسة للأدب ، تدخل كل مدينة وقرية في أربعة أركان العالم العربي ، ويضعها في يمينه كل شاد يحلم بأن يغدو يوماً ذا شأن في دنيا الكتابة » . ويشير الأستاذ **عباس خضر** إلى عملها في ميدان العروبة (العربي . أبريل (نيسان) ١٩٨١ م ، ص ٥٦) ، فيقول : « إنها كانت جامعة عربية قبل أن تنشأ جامعة الدول العربية » ، وكل هذه أحكام صحيحة أيضاً .

يمكن أن نضيف إلى هذه الأحكام أن « الرسالة » التزمت بخطتها التي أعلنتها عند مولدها ، وأنها نجحت إلى حد كبير في تحقيق ما وعدت به ، فضلاً عن إظهارها لموجات من الأدباء على مستوى الوطن العربي ، وتبنيها قضية التجديد في الشعر بصفة خاصة ، ومحاولتها تحريك الجمود الإبداعي في أواخر الثلاثينات وسنوات الحرب بالمعارك والمناظرات الأدبية ، وعملها على تقريب الأدباء إلى عصرهم بمنجزاته في العلوم والفنون وربطهم ببيئتهم . وعلى صفحاتها اتصلت أجيال الأدباء المختلفة على مستوى الوطن العربي ، وتفاعلت ، وعبرت عن همومها ، ونقلت آثاراً عديدة من آداب الأمم الأخرى ، ووصلت القديم بالجديد . وبهذا كله تعد سجلاً تاريخياً ومرجعاً أساسياً لكتابة تاريخ الأدب في عصرها . وكل هذه ـ في الوقت نفسه ـ عناصر تشكل الوظيفة التي يمكن أن تلعبها المجلة الأدبية في لغتها وأدبها بوجه عام .

وإذا كانت « الرسالة » قد نالت الكثير من التقدير في مجال دراسة وظيفتها بمعناها العام ، فلم تكن هذه حال زميلاتها الثلاث . ولعل من سوء حظ « الثقافة » أن الحرب العالمية الثانية فاجأتها قبل أن تستقر وترسخ مثل زميلتها .

ولولا جهود أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر في سبيل الإبقاء عليها لتوقفت كغيرها من المجلات التي أوقفتها الحرب . فمن الملاحظ أن عدم الاستقرار ووطأة الحرب قد تركا بصماتهما عليها طوال سنواتها الأربع عشرة . فلم تنتظم أبوابها ، وتعرضت للخفة في بعض موادها ، وانزوى الأدب أحياناً كثيرة أمام اهتماماتها الأخرى ، وتنقل كتَّابها بين المجلات الأخرى ، ولا سيما في مرحلة الحرب . ومع ذلك استطاعت خلال حياتها القلقة هذه أن تقدم العديد من ألوان الأدب العالمي بالتعريف والعرض والترجمة ، حتى ليمكن القول إن نصيبها في هذا المجال تفوق على نصيب « الرسالة » ، وكانت اهتماماتها من العمق بحيث اجتذبت الكثيرين من المتخصصين وأساتذة الجامعات العربية ، فضلاً عن دراساتها الرائدة في الفلسفة والتربية والنقد العربي ، وكونها ــ أكثر من الرسالة ــ مهداً لعدد كبير من الكتب التي نشرتها مفرقة ومسلسلة **لأحمد أمين ، وعبد العزيز البشري ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومندور ، وزكي نجيب محمود** . وقد التزمت بخطتها وكانت مكملة لعمل « الرسالة » من جميع النواحي تقريباً باستثناء المعارك الأدبية التي تسببت فيها أحياناً ، ولكنها لم تحتضنها أو تدخل طرفاً فيها . وكان إقبالها على العلوم الإنسانية بصفة خاصة ، وبطريقة منهجية ، مكملاً لإطلال « الرسالة » على هذه العلوم . ويمكن القول إن « الثقافة » كانت أبرز من « الرسالة » (بعد عام ١٩٣٩ م) في التأصيل والتنظير بحكم خبرات كتَّابها وتخصصاتهم الجامعية ، على حين كانت « الرسالة » أبرز في مجال الإبداع الأدبي . ومع ذلك كله فكل منها تكمل الأخرى فيما يتعلق بكونهما بيئتين ومدرستين وسجلين أدبيين .

أما « الكاتب المصري » ، فكانت خطتها وطموحها مناسبين لإمكانات محررها وكتَّابها لولا تفاقم الأحداث وتطورها في **فلسطين** بعد الحرب العالمية الثانية ، مما عجل بتوقفها على إثر تخلي طه حسين عنها واقتناعه بألا يستمر في مشروع يثير الشبهات بأصحابه اليهود . وقد التزمت بخطتها تقريباً فيما عدا انحيازها الواضح

وظيفة المجلة الأدبية

للأدب والفكر الفرنسيين ، وضعف تفاعلها مع العصر وتطوراته السياسية . ولكنها انفردت ــ بطبيعة صدورها شهرية ــ بالتناول العميق لموضوعاتها وحسن اختيارها لمادتها ومحافظتها على أبوابها الشهرية في المتابعة الثقافية ، ووصلها القارئ العربي بما احتجب عنه بسبب الحرب من تطورات الأدب الأوروبي ، والفرنسي بخاصة ، وقد تجمع من مقالاتها عدد من الكتب لطه حسين ، وسلامة موسى ، ولويس عوض ، وغيرهم .

وأما مجلة « الكتاب » فقد مالت منذ صدورها إلى الهدوء والتأني في معالجة موضوعاتها ، واعتمدت في ذلك على لفيف من أعلام الكتَّاب العرب . كما مالت إلى الأشكال التقليدية في الأدب بوجه عام ، وحافظت على بابين من أخصب أبواب المجلات في عصرها هما : نقد الكتب والتعريف بها ، فضلاً عن باب سنوي فريد سمته « اتجاه التأليف » وتابعت فيه كل ما يتعلق بالكتَّاب في العالم العربي وغير العربي . ويمكن القول إن المجلة كانت مكملة لزميلتها الشهرية السابقة التي رافقتها نحو ثلاث سنوات ، ثم أصبحت الوحيدة من نوعها بعد توقف الأخيرة . ومع أنها لم تكتشف كاتباً واحداً جديداً كزميلاتها السابقات ، فقد كانت سجلاً أدبياً مهماً من سجلات العصر ومصادره التاريخية الرئيسية .

ومن الملاحظ بوجه عام أن وظيفة المجلة الأدبية بمعناها العام تميل إلى بطء الأثر إذا قيست بالصحيفة اليومية أو الإذاعة أو التليفزيون ، أي أنها تحدث أثرها ببطء قد يكون شديداً في معظم الأحيان . ويرجع هذا إلى طبيعة جمهورها ، وهو جمهور خاص في النهاية محب للأدب أو ممارس له . ومثل هذا الجمهور الخاص يتغير ويتأثر ببطء . ومن الملاحظ أيضاً أن هذه الوظيفة بمعناها العام هي التي تنشئ ما نسميه : دور المجلة في حركة الأدب وأثرها في نموه . ولا يمكن قياس الدور والأثر إلا بالانطلاق من مفهوم الوظيفة بمعناها الخاص ، أي من برنامج المجلة وخطتها .

العوامل المؤثرة في وظيفة المجلة

غير أن كلتا الوظيفتين ، الخاصة والعامة ، تتأثران عادة ببعض العوامل الأساسية التي يمكن اجمالها في : روح العصر ، نوعية رئيس التحرير ، نوعية الكتَّاب المساهمين ، نوعية القراء ، المدى الزمني ــ أو فترة الصدور ــ للمجلة . ونتحدث عن كل من هذه العوامل بإيجاز فيما يلي :

●● روح العصر : ليس من الممكن أن تنعزل المجلة الأدبية عن روح العصر ونبضه ، وإلا حكمت على نفسها بانصراف جمهورها عنها في أقل تقدير . وإذا كانت في أمريكا ، بصفة خاصة ، مجلات أدبية متخصصة في عصور أدبية قديمة مثل عصر **الملكة فيكتوريا** ، أو عصر **شكسبير** ، فهذه المجلات ترتبط بروح العصر من حيث إنها تلقي أضواء عصرية على العصرين السابقين ، وتنظر إليهما من زوايا عصرية ، وتطبق عليهما مناهج عصرها الحالي أيضاً . وإذا لم تتفاعل المجلة مع متطلبات العصر فمآلها إلى الموت ، وهذا ما حدث مع « الكاتب المصري » على سبيل المثال ، التي بدأت بداية ناجحة ، ولكن حين تفاقمت الأمور ، وأصبح من المحرج ــ على الأقل ــ لأصحابها أن يشجبوا ما حدث في فلسطين على أيدي بني ملَّتهم ، اختار محررها طه حسين أن يتوقف فتوقفت المجلة ، لأنه لم يكن من الميسور أن تستمر .

●● نوعية رئيس التحرير : تعرف المجلة الأدبية بمحررها كما يعرف هو بها . وكلما كان المحرر قديراً ، قوي الحس بعصره ، ملتزماً بخطة قوية ، متفرغاً لأدائها ومتابعتها أمكن للمجلة الاستمرار والنجاح . وقد تجمعت هذه

الخصائص في رجل مثل **أحمد حسن الزيات** في تحريره لمجلته «الرسالة». فحين صدرت المجلة تفرغ لها، ودرج على عقد ندوة أسبوعية عصر يوم صدورها بمقرها. وكان كما ذكر الأستاذ عباس خضر (الثقافة: أبريل (نيسان) ١٩٧٧م، ص ٥٨) حريصاً جداً على اختيار المادة الصالحة للنشر. ولم يعبأ بمن كانوا يهاجمونه في الصحف، لأنه لم ينشر لهم. وكان أيضاً حريصاً جداً على ظهور جميع مواد المجلة خالية من الأخطاء، فكان يصحح وراء المصحح.

وربما كان من أهم جوانب شخصية الزيات كرئيس للتحرير ـ مما تكشف عنه المتابعة المتأنية لمجلته ـ أنه تمتع بتلك الحساسية الخاصة، التي تتوفر في المحرر المتميز، إزاء عصره وأحداثه وأساليبه ورجاله. وهي الحساسية التي مكنته من الحكم الذكي على المادة المقدمة له بغض النظر عن رأيه الشخصي في الموضوع أو الكاتب، وساعدته على الاهتداء إلى المواهب الشابة وتبنيها. ففي أوائل سني المجلة، احتضن بعض الشبان الموهوبين مثل **علي محمود طه، وفخري أبو السعود، وإسماعيل أدهم، وسيد قطب**، وفي أواسط حياتها احتضن **محمود حسن إسماعيل**، وفي أواخر حياتها احتضن **أنور المعداوي**، وهكذا. بل إنها الحساسية التي مكنته من أن يقترح على **توفيق الحكيم** تدوين ذكرياته المنسية عن القضاء والنيابة، فكتب «**يوميات نائب في الأرياف**»، ونشرها الزيات مسلسلة في **مجلته الأخرى «الرواية»**، عند ظهورها عام ١٩٣٧م. وقد اعترف الحكيم له بذلك الفضل (الرسالة: ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٤٢م، ص ٦٤٩) ولم يكن عمل المحرر عند الزيات أن يتلقى مواد المجلة كيفما اتفق ثم يختار منها، ولا قراءة المواد وكتابة الافتتاحية فحسب، وإنما كان يساهم في التحرير بأية وسيلة أخرى إذا لزم الأمر. فكثيراً ما عرض لكتب جديدة وعلق على المقالات التي ينشرها للغير، أو على بريد القراء. وكثيراً ما ترجم القصص لمجلته «الرواية» وألّف لها القصص أيضاً.

ليست المجلة الأدبية إذن «دكاناً» يفتح لتلقي المواد ونشرها، ولا هي «كشكول» يتجمع مما



★ محمد فريد أبو حديد ★ ★ د. محمد مندور ★

يبعث به كتّابها، وإنما هي مصدر معرفة وهداية وتطوير.

●● **نوعية الكتّاب:** لا شك أن المجلة الأدبية في أول عهدها تحتاج لمن يسندها من كبار الكتّاب وأصحاب السلطة الأدبية إذا صح التعبير. ولكن كبار الكتّاب وحدهم لا يكفون، ولا يمكن أن يكتبوا بكثرة. ومن ثمة تنشأ الحاجة إلى إحداث التوازن بالانفتاح على الكتّاب الجدد واكتشاف المواهب واحتضانها. وكاتب مثل **الدكتور محمد مندور** لم يعرف اسمه ولا فضله إلا من خلال مقالاته في «الثقافة»، و«الرسالة» في سني الحرب العالمية الثانية بعد عودته من بعثته في أواخر ١٩٣٩م، بل إن الزيات نفسه لم يكن معروفاً قبل إصداره «الرسالة» وموالاته إياها بافتتاحياته ومساهماته الجريئة في عصرها. وكلما كان كتّاب المجلة متجانسين، ومتوازنين من حيث الشيوخ والشباب، وقادرين على إثارة القضايا الجديدة والحيوية، استطاعت المجلة تحقيق وظيفتها بمعنييها السابقين. **وقد كان من أهم أبواب مجلة «الرسالة» باب «البريد الأدبي» الذي كان أشبه ببرلمان أو بركن الخطباء في حدائق «هايد بارك» الإنجليزية**. فعلى صفحاته تفاعل القراء مع الكتّاب، وأصبح قارئ اليوم هو كاتب الغد، وخرجت منه أسماء احتضنتها صفحات المجلة الرئيسية بعد ذلك. كما كان مصدر معظم المعارك الأدبية التي عرفتها المجلة.

●● **نوعية القراء:** إذا كان جمهور المجلة الأدبية خاصاً بحد ذاته، ففيه أيضاً الخاصة والعامة. والخاصة هنا هم الكتّاب الكبار والمحترفون، والعامة هم محبو الأدب وشداته وناشئوه. وكلما فتحت المجلة صدرها لهذا الجمهور، ولا سيما فئته الأخيرة، تمكنت من اكتشاف المواهب وتحريك الأفكار والآراء. وكلما كان قراء المجلة، خاصتهم وعامتهم، واعين وجادين حدث التفاعل المنشود بين المجلة وبينهم. ومن دراسة مجلة مثل «الرسالة» نستطيع أن نتبين ثلاثة مظاهر لنشاط القراء في عصرها. فهم يكتشفون الأخطاء ويصححون الآراء التي تكون قد وردت بمواد المجلة المنشورة. وهم أيضاً يناقشون الآراء والموضوعات. وهم أخيراً يبدون الملاحظات ويقترحون الأفكار. ومن تفاعل هذه المظاهر الثلاثة يتوفر زاد لا غنى عنه للمجلة، ومصدر تطوير مهم لمضمونها وشكلها. والمجلة التي تخلو من الحوار بينها وبين قارئها، لا يمكن أن تستمر.

●● **المدى الزمني للمجلة:** كلما كانت فترة صدور المجلة طويلة نسبياً أمكن لها أن تحقق وظيفتها الخاصة والعامة. ولا يمكن أن تتساوى في ذلك مجلة مثل «الرسالة» عاشت عشرين سنة، وخمسة أسابيع مع مجلة مثل «الكاتب المصري» عاشت سنتين وسبعة أشهر.

ومع هذا كله نستطيع من دراستنا للمجلات الأربع التي ذكرناها في هذا المقال أن نؤكد أن العوامل الخمسة السابقة، لا تلعب دورها فرادى. فطول عمر المجلة وحده لا يكفي لتحقيق وظيفتها ما لم تسنده العوامل الأخرى، ولا سيما ما يتعلق بالعصر والمحرر. وبالمثل نجد أن توافر هذه العوامل لمجلة ما دون توافر عامل المدى الزمني الطويل لا يؤدي إلى تحقيق وظيفتها بالمعنى العام، وهكذا.

نخلص مما سبق إلى أن وظيفة المجلة الأدبية بمعناها الخاص، أي البرنامج والخطة، يحددها محررها، وأن وظيفتها بمعناها العام، أي الدور والأثر، يحددها الدارسون والمؤرخون، وأن الوظيفتين معاً تشكلهما مجموعة من العوامل، أهمها الخمسة التي أشرنا إليها.

لبيد بن ربيعة "المقترين" شاعر

وهبت ريح شاعريته باكراً ، ولم يكن شاربه بعد قد بزغ واستطال .

فقد وفد ، يوماً ، في بعض قومه على **النعمان بن المنذر اللخمي** ، وكان **الربيع بن زياد العبسي** ينادمه ، فعرض بالعامريين قوم لبيد وذكر له مثالبهم ، فاستقبلهم النعمان بفتور ولم يقض لهم وطراً . فخرجوا غضاباً . . . فعرض عليهم لبيد أن يهجو الربيع أمام النعمان فلم يحفلوا به لنعومة أظفاره . لكنه ما زال بهم حتى أذعنوا له . فلما كان الغد ، دخل **العامريون** على النعمان ، وشاعر **العبسيين** يؤاكله ، فأقبل عليه لبيد وأنشد مرتجزاً :

أكل يوم هامتي مقزعه
يا رب هيجا هي خير من دعه ؟
يا واهب الخير الكثير من سعه
إليك جاوزنا بلاداً مسبعه
نحن بنو أم البنين الأربعه
سيوف حق ، وجفان مترعه
نحن خيار عامر بن صعصعه
الضاربون الهام تحت الخيضعه
والمطعمون الجفنة المدعدعه
مهلاً ! أبيت اللعن ، لا تأكل معه !

فغضب النعمان ، وطرد الربيع بن زياد ، وأجاب بني عامر إلى حاجتهم ، وشب لبيد ، على ما نشأ عليه ، شاعراً ذا « **شيطان** » ينطلق بلسان قومه ، متمدحاً بمناقبهم والمكارم الجاهلية ، كما يقول في معلقته :

إنا إذا التقت المجامع ، لم يزل
منا لزاز عظيمة جشامها ؛
ومقسم يعطي العشيرة حقها ،
ومغذمر لحقوقها هضامها ؛
من معشر سنت لهم آباؤهم ،
ولكل قوم سنّة وإمامها .

لبيد .. في الإسلام

ومعلقة لبيد خير شعره الذي أنشده قبل إسلامه ، وهي في لغتها الحكمة ، وما أودعت من وصف جميل **للديار** الخالية وتشابيه رائعة **للناقة** المسرعة ، جعلت النقاد القدماء يصنفون صاحبها في الطبقة البارزة بين الشعراء .

وعاش لبيد حتى بلغ من العمر عتياً ، **فأدرك الإسلام** ، واتخذ **الكوفة** دار قراره . ومع أنه سئم الحياة لطولها ورتابتها في قوله :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس : كيف لبيد ؟
غلب الرجال ، فكان غير مغلب
دهر جديد دائم معدود
يوم أرى يأتي علي وليلة
وكلاهما بعد المضاء يعود

فإنه شكر ربه ، في الوقت نفسه ، إذ لم يعاجله الأجل حتى أدرك الإسلام واعتنقه ديناً ، فقال :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي
حتى كساني من الإسلام سربالا

وقد انفتح للدين الموحد قلبه ، فنطق بأشعار تشعر بالتقوى والإذعان لإرادة الخالق القدير ، وعاش ناعم البال إلى أن وافاه أجله في حدود السنة الحادية والأربعين للهجرة (٦٦١ ـ ٦٦٢م) تقريباً ، وفي ذلك يقول :

إن تقوى ربنا خير نفل
وبإذن الله ريثي والعجل
أحمد الله ، ولا ند له
بيديه الخير ، ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ، ومن شاء أضل

ومن الأشعار التي أنشدها لبيد في الإسلام رثاؤه لأخيه **أربد** ، وهو أخوه لأمه ، وكان توجه مع قومه العامريين إلى **المدينة** بعد دعوة نبي الإسلام إلى الدين الجديد ، غير أنه عاد غير مسلم ، فأصابته صاعقة في الطريق أردته قتيلاً . وفي رثائه يتجلى لنا لبيد شاعراً حكيماً ، يتأمل الحياة وصروفها والزمان وتقلباته ، فكأنه غير الشخص الذي أنشد معلقته . ومع

الحكمة الوجدانية

بقلم :
د. فيكتور الكك

أن نصيب العاطفة من رثائه نذر يسير ، فإن أفكاره حرية بالتأمل كأفكار زميله **زهير** .

مرثيته العينية

يبدأ لبيد مرثيته متأملاً تقلبات الدهر معزياً نفسه ، مقايساً مصيبته بمصيبة غيره ، إذ إن الناس سواسية أمام الموت وأمام الدهر ، يأخذ كل بنصيبه عاجلاً أو آجلاً . ويستنتج من مطلع قصيدته تقديره لضعف الإنسان الذي تغطيه رمال الصحراء إلى الأبد وتبق بعده مظاهر الطبيعة وأعمال يديه ؟ وحسن تشبيهه ، في ذلك الإنسان بالنجم الذي يسطع آناً في بهاء وإشراق ، ثم يغور ويختفي كأنه لم يكن . ويعزي نفسه كذلك بفقدانه الأهل ، مشبهاً المال والأهلين بالودائع التي لا بد أن ترد حين يأتي الموعد المضروب . وهذا التشبيه جميل كتشبيهاته لسرعة الناقة في المعلقة ، فالوديعة ليست ملكاً لمن تسلم إليه ، وهكذا الحياة ليست ملكاً للذين تعطى إليهم ، وإنما هي وديعة يجب أن يحافظوا عليها حتى يطلبها صاحبها وربها بارىء النسمات . وفي ذلك يقول لبيد :

بلينا ، وما تبلى النجوم الطوالع
وتبق الديار بعدنا والمصانع
وقد كنت في أكناف دار مضنة
ففارقني جار بأمد نافع
فلا جزع أن فرق الدهر بيننا
فكل امرىء ، يوماً ، له الدهر فاجع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد ، يوماً ، أن ترد الودائع

والناس ، في نظر لبيد ، فئتان : فئة قانعة شقية ، تعيش من مخلفات السلف فتهدم ما بنوا ، وفئة مجاهدة سعيدة بجهادها ، تسعى إلى البناء . وهكذا يأخذ الإنسان نصيبه في هذه الحياة من عمل يديه . قال :

وما الناس إلا عاملان ، فعامل
يتبر ما يبنى ، وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه
ومنهم شقي بالمعيشة قانع

ثم يلتفت وسط تلك التأملات إلى نفسه ، فيرى أن منيته آتية ، مهما طال بها الزمن ، ولا يغتر بامهالها له ، وقد أصبح شيخاً اشتعل رأسه شيباً ، يلزم عصاه ويقص أخبار القرون الخالية التي عايشها وما زالت تتوالى . أما هو فقد قوس كرور القرون ظهره ، فأصبح يمشي كأنما هو راكع ، أو أنه أصبح كالسيف الذي طال عهد الحداد به ، فصار جسده كجفنه البالي :

أليس ورائي ، أن تراخت منيتي
لزوم العصى تحني عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت
أدب كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف ، أخلق جفنه
تقادم عهد القين ، والنصل قاطع

ومع أنه عمر حتى سئم الحياة ، فلم ينس أن المنية لا بد أن تأتيه في موعدها ، لأنها سواء طال بها الأمد أو قرب ، ضربة لازب :

فلا تبعدن إن المنية موعد
علينا ، فدان للطلوع وطالع
أعاذل ما يدريك ألا تظنيا
إذا رحل السفار ، من هو راجع

ويعزي نفسه في هذا الموقف ، فيقول :

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى ؟
وأي كريم لم تصبه القوارع ؟

وما أقرب شعور لبيد في هذا المقام ، بعظة دبجتها يراعة البديع الهمذاني في مقامته « **الاهوازية** » ، جاء فيها : « فليكن الموت منكم على ذكر ، لئلا تأتوا بنكر ، فإنكم إذا استشعرتموه لم تجمحوا ، ومتى ذكرتموه لم تمرحوا ، وإن نسيتموه فهو ذاكركم . . » .



شاعر الحكمة الوجدانية

وهكذا يسير الناس إلى مصيرهم المحتوم، مهما تراخت منيتهم، ولا يبقى سوى الله، مكون السماوات والأرض :

ألا كل شيء، ما خلا الله، باطل
وكل نعيم، لا محالة، زائل

وفي هذا القول يتجلى إيمان لبيد المكين بالله واستسلامه لمشيئة ربه كأنه يصرخ : «كل شيء تحت الشمس باطل». ويتجاوز شاعرنا ذلك إلى إنكار ما تواضع عليه الجاهليون من زجر الطير والضرب بالحصى لمعرفة المستقبل، فيبدو مسلماً مؤمناً تشتم من مقالاته عبيراً علوياً يضمخ بالطيب جفاف الصحراء، فيقول :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ثم يتوجه إلى غير المؤمنين، الذين لا يفطنون إلى مصيرهم، كأن الدهر لم يعظهم، فيطلب إليهم أن ينتسبوا لآبائهم فيروا ما حل بهم :

إذا المرء أسرى ليلة، ظن أنه
قضى عملاً، والمرء ما عاش، آمل
حبائله مبثوثة بسبيله
ويفنى، إذا ما أخطأته الحبائل
فقولا له، إن كان يقسم أمره
ألما يعظك الدهر، أمك هابل
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب
لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان والد
ودون معد، فلتزعك العواذل

وما أقرب هذا الاستدلال الحسي الساذج من قول **قس بن ساعدة الإيادي**، معاصر لبيد، حيث أنشد :

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر

وينتهي لبيد من اعتباراته بالدهر وتقلباته إلى مصير كل حي بعد الموت، إذ يحاسب على أعماله، فيجازى خيراً بخير، وشراً بشر، لأن «من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» وفي ذلك يقول :

وكل امرىء يوماً سيعلم سعيه
إذا كشفت، عند الإله، المحاصل

وموجز القول إنك ترى، من قراءتك لتأملات لبيد في الحياة والموت، أن حكمته أكثر وجدانية من حكمة زهير، وأكثر لصوقاً بشخصيته. ثم إنها حكمة إسلامية النفحة، لا تستشعر فيها بروح الجاهلية وحميتها التي تتراءى لك من وراء صفاء آراء زهير. إنها حكمة ترشد الإنسان إلى السلوك في طريق الله، أكثر مما ترشده إلى السلوك في مجتمعه فوق الأرض.





الفيلسوف أوجست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية

بقلم: د. عبد العزيز جادو

قال العلامة الفرنسي فوييه: «إن مذهب سان سيمون الاشتراكي مضافاً إليه مذهب كبانيه بروسكس المادي نتج عنهما مذهب أوجست كونت الوضعي».

لقد أرّخ «كونت» حياته بنفسه، وأدلى بتفاصيل عديدة عن تلك الحياة في مقدمة المجلد السادس من كتابه: «دروس في الفلسفة الوضعية».

سيرة حياة

ولد أوجست كونت في **مدينة «مونبلييه» بفرنسا** في سنة ١٧٩٨م، في أسرة رقيقة الحال. والتحق **بمدرسة الهندسة** في سنة ١٨١٤م، واضطر للخروج منها دون أن يتم دراسته فيها لظروف سياسية. وواصل دراسته بمجهوده الذاتي معتمداً على نفسه.

وكان في الوقت نفسه يرتزق من الدروس الخصوصية التي كانت مصدر رزقه الوحيد.

وفي سنة ١٨١٩م، التقى كونت بالكاتب الفرنسي الشهير «**سان سيمون**»، وهو من روّاد المذهب الاشتراكي في القرن التاسع عشر الميلادي، وتعارفا، وكان كونت سعيداً بهذا التعارف الذي كان سبباً للاتفاق بينهما على الاشتغال معاً بالعلم والسياسة. وأصبح كل منهما محتاجاً إلى الآخر. فقد كان سان سيمون ذا بصيرة نافذة في السياسة، مغواراً في حلبتها، لكنه لا يفهم في العلم إلا النزر اليسير. وكان أوجست كونت بالعكس من ذلك، فقد كان ضليعاً طويل الباع في العلم، ولكنه قليل الدراية في الأمور السياسية. فكمل أحدهما نقص الآخر.

غير أن كونت كان مطبوعاً على حب الاستقلال، فلم يجد بداً من الافتراق عن أستاذه سان سيمون الذي كان يختلف معه في الاتجاه. فانتهزها فرصة، هي أن كونت كتب الجزء الثالث من **كتاب «مبادئ أهل الصناعة»**، واتفق مع سيمون على أن ينشره باسم مؤلفه. فأخذه سيمون ونشره دون أن يذكر اسم المؤلف، فكان ذلك مدعاة إلى انفصال كونت عنه.

وانصرف كونت بعد ذلك إلى **التأليف ومزاولة التدريس في منزله**، وتهافت عليه الناس لسماع محاضراته العلمية. غير أنه أصيب بعد ثلاث محاضرات بآلام في رأسه أوشكت أن تودي به إلى الجنون. فنقل إلى إحدى المصحات حيث أقام فيها سبعة أشهر بلا جدوى. فأعادته زوجته إلى منزله ولبثت تلاطفه وتخفف من آلامه وأوصابه، وتهدئ من اضطرابه حتى تحسنت صحته وعادت إليه قواه الطبيعية.

وبعد شفاء كونت، بدأ في كتابة مؤلفاته العظيمة التي كانت أساساً للمذهب الوضعي وعلم الاجتماع. وحقق شهرة واسعة.. وتولى زعامة **المدرسة الوضعية التي ترفض الميتافيزياء وكل ما لا يتحقق بالاختبار، مهملة كل تفكير تجريدي في الأسباب، رافضة أي بحث في العلل والغايات. وتعتمد ـ على وجه الخصوص ـ على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة**. وتقرر أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر المحسوسة والوقائع اليقينية وما بينها من علاقات أو قوانين.

وفي عام ١٨٤٥م، بدأ كونت يطبق فلسفته على السياسة، فأدخل في حيّز الفعل والتجربة النظريات التي ذكرها في فلسفته، الأمر الذي أدى به إلى ما لم يكن في الحسبان. إذ إنه طرد من وظيفته الرسمية كمعيد وممتحن خارجي في مدرسة الهندسة. وتوالت عليه النكبات، وفقد مورد رزقه وكاد يموت جوعاً لولا أن بعض علماء إنجلترا وأثريائها من المعجبين بعلمه، ومنهم «**ستيورات مل**»، مدوا له يد المساعدة وجمعوا له مالا وفيراً.



الفيلسوف أوجست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية

فطلب كونت أن تكون هذه المساعدة سنوية ، فرفضوا فخاصمهم كونت . فشرع حينئذ تلميذه **« ليتريه »** في فتح باب الاكتتاب ، فجمع مالا طائلاً ليجعل له منه دخلاً سنوياً لضمان حياة كريمة لأستاذه مؤسس الفلسفة الوضعية . واستمر ذلك أربع سنوات ، ولكن كونت رأى أن تلميذه « ليتريه » لم يكن مطيعاً له بالقدر الذي يريده ، فخاصمه أيضاً وتولى هو بنفسه رياسة الاكتتاب .

وكانت وفاة كونت في شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٨٥٧ م ، بعد أن اشتد به المرض بسرطان في معدته .

وقد أوصى أن يكتب على قبره الشعار الذي صدر به رسالته « في السياسة الوضعية » ، وهو : **« الحب مبدؤنا .. والنظام قاعدتنا .. والتقدم غايتنا » .**

طريقته في التأليف

كان لكونت نهجاً فريداً لم يسبقه إليه أحد من المؤلفين . فإنه منذ أن شرع في كتابة مذهبه الفلسفي ، انقطع عن كل درس ، ولم يعد يقرأ كتاباً لأحد من المؤلفين حتى لا يتأثر بأفكار غيره من الكتّاب ، وكيما لا يكون لأحد تأثير على أفكاره . وكان شديد الاعتداد بنفسه ، اعتداداً مبنياً على قاعدة صلبة .

أما طريقته في كتابة مؤلفاته فهي كما يلي : كان يفكر أولا في الموضوع ويستجمع في ذهنه جميع أجزائه وتفاصيله . فإذا ما انتهى من ذلك يقول إن كتابه قد تم . وحينئذ يتناول القلم ويبدأ في الكتابة بسرعة عجيبة . ثم يرسل الأوراق التي يكتبها إلى المطبعة دون مراجعتها . ولا يصحح الأخطاء المطبعية في تجارب الكتاب إلا مرة واحدة . وعند تصحيحها ، لا يغير شيئاً فيما كتب .

مؤلفاته

أما مؤلفاته التي عرض فيها مذهبه فأهمها هي :

(١) **« دروس في الفلسفة الوضعية »** ، وهو ستة أجزاء ، جمع فيها كل فلسفته . طبع الجزء الأول منها في سنة ١٨٣٠ م ، واستمر يخرج الأجزاء الأخرى واحداً بعد الآخر إلى أن اكتملت الأجزاء كلها في سنة ١٨٤٢ م . ويعد هذا المؤلف من أحسن ما وجّه التفكير العلمي في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي ، وحوّل مجرى أفكار البشر في الأرض .

(٢) **« أقوال فلسفية في العلم والعلماء »** ، سنة ١٨٢٥ م .

(٣) **« ملاحظات على السلطة الروحية الجديدة »** ، سنة ١٨٢٦ م .

(٤) **كتاب في مبادئ علم الهندسة ذي الأبعاد الثلاثة .**

(٥) **رسالة فلسفية في علم الفلك الشعبي .**

(٦) **« كلام عن مجمل الفلسفة الوضعية »** ، وهو كتاب اختصر فيه فلسفته .

(٧) **« أقيسة الفلسفة الوضعية السياسية »** ، في أربعة أجزاء ، ويبحث في (ديانة الإنسانية) . وهو بمثابة خطة للبحوث العلمية الضرورية لتنظيم المجتمع .

(٨) **كتاب « التعليم المسيحي في الفلسفة الوضعية » .**

مذهبه الفلسفي

لقد كان مذهب أوجست كونت ، ولا شك ، عظيماً جليلاً لما كان له من أثر كبير على الحركة العلمية والسياسية في أوروبا منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا . فلقد رأى كونت آنذاك أن الفلسفة مبنية على النظريات العقيمة والمناقشات السفسطائية التي لا تجدي . فقام يدعو إلى تأسيس الفلسفة على الأمور المحسوسة . فكشف بذلك عن قانون أساسي كبير يخضع له النمو العام للذكاء الإنساني . **والمبادئ العامة في هذه الفلسفة تنحصر في ثلاث مسائل :**

- **الأولى :** قانون التطور الفكري في غضون ثلاث مراحل .
- **الثانية :** ماهية المعرفة .
- **الثالثة :** ترتيب العلوم المختلفة .

(١) **فقانون المراحل الثلاث هو أهم تلك المسائل في نظر الفلاسفة الوضعيين** ، أو كما يقول ستيورات مل : « إنه السلسلة الفقارية لتلك الفلسفة » . ويتلخص هذا القانون فيما يلي :

كان الناس في بادئ الرأي ينسبون الظواهر التي يشاهدونها إلى قوى غير منظورة يدعونها آلهة ، وهذا هو **العصر اللاهوتي « الثيولوجي »** مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد .

ولكنهم عندما رأوا أن الظواهر إنما تحدث على وتيرة واحدة لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الإرادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود صفات خفية أو خواص أو سوائل جاذبة .. وهذا هو **العصر النظري** .

وأخيراً ، أخذ التأمل يبدد تلك الخطرات الفكرية المضطربة التي لا ترتكز على أساس . وبحث الفكر في أسباب تلك الظواهر التي تسبق أو تلازم حدوثها .. وهذا هو **عصر العلم الوضعي** الذي نعيش فيه الآن .

وهذه المراحل الثلاث ينشأ عنها ــ بحسب

رأي كونت ــ ثلاثة اتجاهات فلسفية أو مذاهب عامة ، ينفي كل اتجاه منها الآخر . والحالة الأولى في تقديره هي نقطة البدء اللازمة للعقل الإنساني . والثالثة هي حالة العقل الثابتة والنهائية . أما الحالة الثانية فليست سوى توفيق وخطوة لا بد منها للانتقال من الأسلوب الديني أو اللاهوتي إلى الأسلوب الوضعي الذي يعتبره أسمى الأساليب كلها في البحث .

(٢) الشيء الواقعي والأساس الجوهري الحقيقي إنما هو موضوع العلم والمعرفة فحسب ، لأنه الأسلوب الوضعي الذي ينبغي أن يقصر بحثه على عالم التجربة والاختبار الواقعي وربط أسبابه بمسبباته ، لصرف النظر عن كل بحث بعيد عن هذا الواقع ، ومن باب أولى عن كل كلام في عالم غير مشهود ، وبوجه عام عن كل كلام في **الفيزياء** . فالأمور التي يمكن ملاحظتها هي الأمور الظاهرة ، أما الأمور الباطنة فلا يمكن معرفتها . والميتافيزياء ــ عند كونت ــ وسط بين اللاهوت والعلم الوضعي ، ترمي إلى استكناه صميم الأشياء وأصلها ومصيرها .

والعلاقات التي يمكننا معرفتها هي التي نستطيع إدراكها بالحواس ، أي علاقات المشابهة بالتوارث .

والعلم الخاص بالإنسان هو علم هذا الوجود . . أما البحث عن « **علة العلل وسبب الأسباب** » فبحث مناف للعلم . وجميع معارفنا نسبية بالإضافة إلى شيء آخر هو أنه لا يوجد شيء مطلق . وليس معنى هذا أن العلم يؤدي إلى القول بالمادية وبالإلحاد ، بل هو ــ بالعكس من ذلك ــ لا ينكر النفس ولا الله .

وإن قيل إن ذلك يضع حداً للعلم ويجعله مقيداً ، فكونت يجيب على ذلك بأن فلسفته لا غرض لها غير (نفع الناس) بترقية الإنسانية . أما معرفة مبدأ العالم ومصيره ، فمن العبث الاشتغال به بقوانا العقلية . فبدلا من أن تضيع الفلسفة وقتها الثمين في البحث في هذه المسائل ، يجب أن يطبق المنهج العلمي عليها على أوسع صورة « حتى يصل إلى تنمية التراث العلمي ، وتنظيم أوضاع حياتنا على قواعد مدروسة » .

ولا ريب أن أوجست كونت على حق تماماً في منهجه الوضعي هذا ، وبالأخص فيما يذهب إليه من أنه إذا أريد أن تبنى العلوم الاجتماعية على أساس متين ، فينبغي تدعيمها بالعلوم الطبيعية ، أي بالعلوم التي تدرس طبيعة الإنسان والعالم المادي الذي يبذل فيه نشاطه . « فكما أن العلوم الطبيعية قد تكونت بفضل الطرق والأساليب القياسية التي تستبعد التصورات الخيالية والأفكار النظرية التي عاش عليها العقل البشري زمناً طويلاً . كذلك لا يمكن تقدير النجاح للعلوم الاجتماعية إلا إذا طبقت في دراستها طرق المشاهدة والاستنتاج العلمي » .

ويقرر كونت أن الإصلاح الاجتماعي هو غاية المذهب الوضعي . فمن الضروري أن نربط الحياة بالفلسفة العلمية حتى يمكن إصلاح المجتمع بطريقة موضوعية .

كما يعتقد أن النصر سيتحقق آخر الأمر للتفكير الوضعي ، ولن يكون ذلك إلا إذا أمكن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الإنسانية .

(٣) يرتب كونت العلوم الأساسية في فلسفته الوضعية كالآتي : الرياضيات ، فالفلك ، فالطبيعة (الفيزياء) ، فالكيمياء ، فعلم الأحياء (البيولوجيا) ، فعلم الاجتماع (السسيولوجيا) .

وهذا الترتيب إنما يتناسب مع تكوين العالم : فالحياة الأدبية قوامها الحياة العضوية ، وهذه قوامها الكيمياء ، وقوام الكيمياء الطبيعة ، وهذه قوامها الفلك ، وقوام هذه علوم الرياضيات .

أما في علم الاجتماع فقد فسّر أولا ما يدعوه بالاعتدال والحركة بنوع من الميل الذي تنجذب به الأجرام بعضها إلى بعض بدون حرية أو اختيار ، بل بناموس آلي تام كما يحدث في الأجرام السماوية . لكنه عاد وأبدل هذه الحركة الآلية بقانون الإيثار الذي بمقتضاه يفضل الإنسان غيره على نفسه . ثم أدّى به القول أخيراً إلى الاعتقاد بدين عام للإنسانية .

وهو يرى أن الإنسانية قد آن لها أن تصل إلى هذا الغرض ، وأن فلسفته هذه دور من أدوارها . وإيضاحاً لذلك يقول إن كل هيئة اجتماعية لها ثلاثة أدوار : الأول دور الطفولية ، وهو الدور الذي تظن فيه نفسها أنها محكومة بقوى غير منظورة كالآلهة والأرواح ؛ والثاني دور الشباب ، وهو الدور الذي تكون فيه منصرفة إلى ما وراء الطبيعة والعقل والحسّ ؛ والثالث الدور الحسّي ، وهو دور الرجولية . بل إن الإنسان ذاته يمرّ في مراحل حياته المختلفة بمثل هذه الأدوار .

وأعظم اكتشافات كونت في هذه الفلسفة إثباته الترتيب والعلاقة بين العلوم الطبيعية . يقول « **روبين** » وهو من تلامذة كونت وأحد الذين اعتمدنا عليهم في تلخيص هذا المذهب : « إن العلوم الرياضية هي أول العلوم الأساسية وأكملها وأكثرها تجريداً ، وقد وضعت أصولها منذ نشأتها في القرون الماضية ، ثم جاء علم الفلك الذي مهّد له كل من **كبلر ، ونيوتن ، وجاليليو** ، ومن ثم خطط **باكون ، وديكارت** طريق الطبيعيات ، **ولافوازيه** طريق الكيمياء ، **وبوفون ، وكوفييه ، ولينيه ، وجفروي سان هيلير** طريق البيولوجيا ، وأما أوجست كونت ، فإنه وضع أساس علم الاجتماع ورفعه إلى أسمى مقام بين العلوم الطبيعية الثابتة . وذلك باكتشافه ما بين العلوم الطبيعية من الترتيب ، أي لزوم بعضها لبعض لأنها تنشأ عنها ، وإثباته أنها كلها تنتهي إلى غرض واحد وهو العناية والاهتمام بعلم الاجتماع لترقية العمران في الأرض وتحسين حال الإنسانية » .

ويقول أوجست كونت إن النظرية الإنسانية في أي موضوع من الموضوعات ، وإن كل فكرة من أفكارنا الرئيسية ، وكل فرع من فروع معرفتنا ، إنما تمرّ تباعاً بثلاث مراحل مختلفة : الحالة الدينية أو اللاهوتية ؛ ثم الحالة الميتافيزيقية ؛ ثم الوضعية أو العلمية . . ففي الحالة الدينية تفسّر الظواهر بأنها تتولد من الأرواح ، أو نتيجة لعوامل خارقة للطبيعة ؛ وفي

الفيلسوف
أوجست كونت
مؤسس الفلسفة الوضعية

الحالة الميتافيزيقية تبدو قسماتها الجوهرية في فكرة مجردة ، وتقف هذه الفكرة المجردة وراء الظواهر التي تقع تحت الملاحظة كما لو كانت تفسيراً لها ؛ وفي الحالة الوضعية توصف الظواهر فحسب من حيث تتابعها وتشابهها المطرد . وبمجرد صياغة « قوانينها » لا يكون ثمة داع للبحث عن تفسير لطبيعتها أو لوجودها ، ولا لمعرفة العلل العميقة للظواهر . وعلى ذلك فيمكن أن نعد « الروح المرشدة » شيئاً دينياً ، و « مبدأ الجذب » موضوعاً ميتافيزيقياً ، بينما « قانون المربعات » نظرية وضعية في حركة الأفلاك .

مذهبه العقائدي

سمّى أوجست كونت الإنسانية (الذات الأعظم) ، وأمعن في إجلالها وتبجيلها بوجوب ترقية شؤونها لا عبادتها . وأطلق على مذهبه الجديد : (ديانة الإنسانية) . . وتأدية الصلاة – عنده – فرض واجب الأداء ، لا لأنها واسطة أو وسيلة لطلب شيء للإنسان ، بل لأنها بمثابة اشتراك وتأمل في مصدر الكمال . ومن قوله : « إنما الصلاة حب وفكر إذا كانت بالروح والفكر فقط . ولكنها إذا كانت بالكلام أيضاً فهي : حب وفكر وفعل . فالصلاة إنما هي نموذج للحياة ، والحياة ينبغي أن تكون صلاة دائمة » .

وتعاليم هذا المذهب الجديد ترجع إلى مبدأ واحد وهو : « أن يحب الإنسان الناس ويعيش من أجلهم » ، لأنه جزء وهم كلٌّ ، وبذلك وضع كونت أصول الآداب والفضائل فوق أصول علم الاجتماع .

ومن مبادئ هذا المذهب احترام النساء ، لأن المرأة في رأي كونت ، هي الرباط الحي الذي يربط الإنسان بالهيئة الاجتماعية سواء كانت زوجة أو أماً أو ابنة . . وقد وضع كونت مذهبه تحت رعاية « القديسة كلوتيلد » . وكلوتيلد هذه اسم امرأة تدعى « مدام كلوتيلد دي ڤو » ، عرفها كونت في سنة ١٨٤٥ م ، وأحبها حباً شديداً ملك عليه لبه ، وكان حين ذاك في السابعة والأربعين من عمره .

ويعتقد أوجست كونت – رغم ولائه التام للمذهب الوضعي – أن **الفلسفة الثيولوجية** هي وحدها التي استطاعت في مبدأ الأمر أن تبعث في ضعف الإنسان الجاهل الإقدام والثقة بالنفس مما أيقظه من غفلته الأولى . كما يعتقد أن تقدم الإنسانية سيسوقها مستقبلاً إلى حال دينية قبل كل شيء آخر ، وخاضعة بالتالي لجوانب الاعتقاد الديني عندما تشيد هذه الجوانب على حقائق وضعية ، لا على نظريات لاهوتية ، أو تصورات ميتافيزيقية .

ولم يكن أوجست كونت بالتالي عدواً للطريقة الثيولوجية بقدر ما كان عدواً للطريقة الميتافيزيقية . فهو يعتقد أن الطريقة الثيولوجية – ومثلها الوضعية – تسمح للعقل بتشييد فلسفة متناسقة منطقية ، حتى وإن كانت الطريقة الثيولوجية خيالية في أسلوبها ، مطلقة في تصوراتها ، تحكمية في تطبيقاتها . أما الطريقة الوضعية فيحل فيها أسلوب **الملاحظة التجريبية** محل التصور ، وتحل الآراء النسبية محل الآراء المطلقة ، وهي لا تزعم أبداً أي سلطان لها – مهما كانت وسائله محدودة – على ظواهر الطبيعة ، بل إن سلطانها مستمد من سلطان ما تصل إليه من معلومات صحيحة .

والحالة اللاهوتية عند كونت هي الحالة الأولى من حالات الفكر الإنساني ، وفيها يبحث العقل عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، محاولا إرجاع كل طائفة من الظواهر إلى مبدأ مشترك . وقد تدرج في ذلك إلى ثلاث درجات :

كانت **الدرجة الأولى « الفيتشية »** ، يضيف فيها إلى الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان .

وكانت **الدرجة الثانية تعدد الآلهة** ، وهي أكثر الدرجات الثلاث تميزاً للحالة اللاهوتية يسلب فيها عن الكائنات الطبيعية ما خلع عليها من حياة ، ويضيف أفعالها إلى موجودات غير منظورة ، تؤلف عالماً علوياً .

وكانت **الدرجة الثالثة التوحيد** ، أي جمع كثرة الآلهة في إله واحد .

وعلى ذلك فيكون أساس فلسفة أوجست كونت هو : علم الاجتماع أي علم إصلاح شأن البشر . **وهو الذي وضع لفظ « السسيولوجيا »** ، وأودع فيه المعنى المصطلح عليه اليوم . ولكي يتوصل إلى هذا الغرض وجّه كل اهتمامه إلى إيجاد « سلطة روحية » جديدة ليدمجها بالسلطة السياسية ويعهد إليها تدبير شؤون البشر . وهو يرى أن الكنيسة المسيحية يحسن بها أن توفق بين السلطة السياسية والسلطة الروحية ويتولى أمرها شخص واحد هو الذي يقوم بإدارة الأمة . وأما وقد فصلت بين العقل وبين الطبيعة في تلك السلطة فقد أدخلت في جوفها جراثيم الضعف والانحلال . وهذا الانحلال والانقسام لم يلبث أن ظهر بقيام المذاهب الفلسفية .

فالمطلوب لتدبير شؤون البشر تدبيراً محكماً ، إقامة سلطة روحية تجمع بين السلطات السياسية والأمور الطبيعية . وليس هناك سلطة روحية قوية غير سلطة العلماء . إذن يجب أن تتألف لجنة من العلماء في كل الأمم ليتولوا حكومة البشر بالروح وبالسياسة . حكومة مبنية على الواجب . ويكون شعارهم هذه الكلمات :

« محبة الناس لأنها واجبة . .

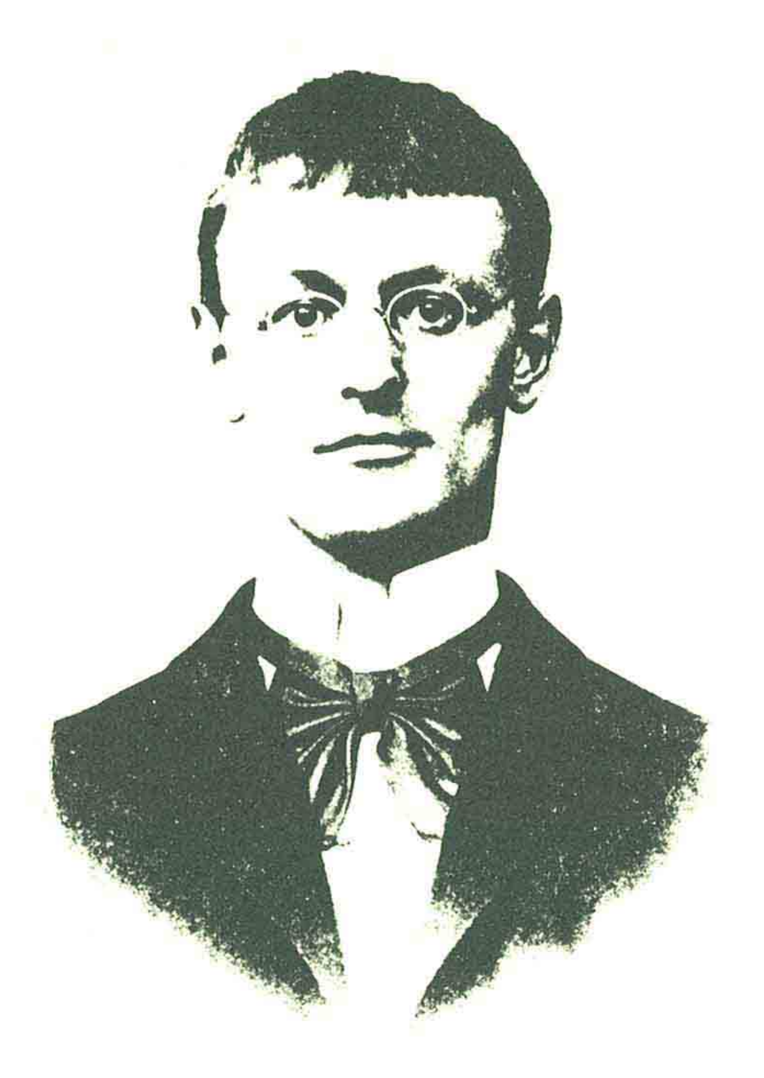
وحفظ النظام والأمن لأنهما أساس المجتمع . .

وتمهيد سبيل المدنية لأنها غرض الإنسانية » .

إعداد : فولكر ميتشلز
ترجمه إلى الإنجليزية :
ثيودور وييتا زيولكوفسكي
عرض وتحليل :
منية سمارة و محمد الظاهر

رحلة في كتاب

(هيرمان هيسه ... سيرة مصورة)


★ هيرمان هيسه في الحادية والعشرين من عمره ★

عن دار نشر (FARRAR, STRAUS AND GIROUX) بنيويورك ، صدر مؤخراً كتاب وثائقي جديد ، بعنوان (هيرمان هيسه .. سيرة مصورة) من إعداد (فولكر ميتشلز) وترجمة (ثيودور وييتا زيولكوفسكي) ، تتصدره سيرة حياة موجزة بقلم (هيسه) قامت بترجمتها (دينيفر ليندلي) .

هذا الكتاب ، الذي تتصدره السيرة الذاتية الموجزة ، التي كتبها هيرمان هيسه ، والتي حاول من خلالها إلقاء بعض الظلال الأخرى على صورة حياته يتضمن مائتين وعشرين وثيقة مصورة ، اكتشفت ضمن مخلفات هيسه الأدبية ، بعد موته ، وهذه الوثائق تشتمل على صور نادرة لهيرمان هيسه ، في مختلف مراحل حياته ، والأمكنة التي زارها أو أقام فيها ، والأشخاص الذين تعرف عليهم ، وأقام علاقات حميمة معهم من كتّاب وفنّانين وشعراء وباحثين ، والصفحات الأولى من أهم أعماله وأشعاره ، والصفحات الأولى أيضاً من مخطوطات كتبه التي كتبها بخط يده ، وبعض «الاسكتشات» الشخصية التي رسمها له كبار الفنانين .

إذن ، أهمية هذا الكتاب ، الذي نستعرضه في هذا المجال ، لا تكمن في الصورة القلمية التي رسمها هيسه لنفسه ، بل في هذه الصور الوثائقية ، التي تضع يد القارئ ، بالصورة ، على مجاهل تضاريس حياة هذا الكاتب الشهير ، ولكن استعراض هذه الصور منفردة ، يفقد القارئ متعة متابعة المواقف المعبرة في حياة هيسه ، لذلك سنركز من خلال هذا الاستعراض على بعض الوثائق المنتقاة ، والتي تمثل جوانب مختلفة من شخصية هيسه ، ونحاول أيضاً أن نتتبع سيرة حياته ، من خلال المعلومات البيليوغرافية الموجزة الواردة في نهاية الكتاب ، وبعض الصفحات القليلة التي تصدرت الكتاب .



هيسه في سطور

★★ ١٨٧٧م: وُلد هيرمان هيسه في الثاني من تموز (يوليو) من هذا العام، في **كالو**، من أب يدعى يوهانز هيسه، كان يعمل مديراً لإحدى دور النشر هناك، وأم تدعى **ماري هيسه**، وهي أرملة **لكارل ايزنبرغ**، وابنة للباحث الشهير (**هيرمان غوندار**).

★★ ١٨٨١ ـ ١٨٨٦م: عاش في **بازل**، حيث كان والده يعمل هناك، وفي عام ١٨٨٣م، حصل والده على الجنسية السويسرية.

★★ ١٨٨٦ ـ ١٨٨٩م: عاد إلى كالو ودخل المدرسة الابتدائية.

★★ ١٨٩٠ ـ ١٨٩١م: دخل المدرسة اللاتينية، وحصل له والده على الجنسية السويسرية.

★★ ١٨٩١ ـ ١٨٩٢م: دخل مدرسة في **ملبورن**، لكنه خرج منها بعد سبعة أشهر.

★★ ١٨٩٢م: بقي في **كريستوف بلمهارت** للعلاج بالرقى والتعاويذ، وحاول الانتحار في حزيران (يونيو) من نفس العام.

★★ ١٨٩٣م: في تموز (يوليو) من هذا العام أنهى الخدمة العسكرية.

★★ ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥م: عمل في مصنع في كالو.

★★ ١٨٩٥ ـ ١٨٩٨م: عمل في مكتبة في توبنغن.

★★ ١٨٩٩م: بدأ بكتابة **روايته (القنفذ)** التي ضاعت مخطوطتها، وبعض أغانيه الرومانسية التي حملت اسم (**ساعة بعد منتصف الليل**).

★★ ١٨٩٩ ـ ١٩٠٣م: عمل ككاتب في محل في بازل، وبدأ بكتابة المقالات والمقابلات لصحيفة (**الغمانية سويزر زايتونغ**) التي ساهمت في إعلان شهرته، وقام بأول رحلة إلى **إيطاليا**، وكتب قصيدة أهداها إلى أمه، ثم قام برحلة ثانية إلى إيطاليا.



★ هيسه في الرابعة من عمره ★

★★ ١٩٠٤م: تزوج من **ماريا بيرنولي**، وكتب في عدد من الصحف.

★★ ١٩٠٥م: وُلد طفله الأول **برونو**.

★★ ١٩٠٦م: نشر كتابه (**تحت العجلات**).

★★ ١٩٠٧م: نشر (**في هذا العالم**).

★★ ١٩٠٨م: نشر (**الجيران**).

★★ ١٩٠٩م: وُلد طفله الثاني **هاينز**.

★★ ١٩١٠م: نشر (**غيرترود**).

★★ ١٩١١م: نشر مجموعة قصائد بعنوان (**في الطريق**) ووُلد طفله الثالث **مارتن**، وقام برحلة إلى **الهند**.

★★ ١٩١٢م: نشر مجموعة قصص بعنوان (**منعطفات**) وترك ألمانيا وعاد مع عائلته إلى بيرن.

★★ ١٩١٣م: نشر (**اسكتشات من رحلة هندية**).

★★ ١٩١٤م: نشر (**روشالد**) وحرر صحيفة للسجناء الألمان، وأسس دار نشر لسجناء الحرب.

★★ ١٩١٤ ـ ١٩١٩م: كتب العديد من المقالات السياسية التي ظهرت في صحف ألمانيا وسويسرا والنمسا، وفي هذه الفترة أعاد نشر (**كنولب**) ونشر مجموعة قصائد بعنوان (**على طول الطريق**) و(**الشباب.. الشباب الرائع**).

★★ ١٩١٩م: نشر كتيبه السياسي (**عودة إلى زاراثوسترا**) وانتقل إلى مونتاغنولا، ونشر (**الحديقة الصغيرة**)، و(**دميان**)، وأسس مجلة شهرية.

★★ ١٩٢٠م: نشر مجموعة قصائد بعنوان (**قصائد الرسام**) ونشر أيضاً (**تجوال**).

★★ ١٩٢١م: نشر (**بصيرة خوز**) و(**قصائد مختارة**)، و(**الألوان المائية الإحدى عشرة لتسينو**).

★★ ١٩٢٢م: نشر (**سيدارشا**).

★★ ١٩٢٣م: نشر (**مذكرات سنكلير**).

★★ ١٩٢٤م: حصل على الجنسية السويسرية مرة ثانية، ونشر (**ضيف في سبا**) ضمن مجموعة أعمال مختارة.

★★ ١٩٢٥م: نشر (**ضيف في سبا**) في كتاب.

★★ ١٩٢٦م: نشر (**كتاب الصور**) وأصبح عضواً في أكاديمية الكتّاب البروسيين، التي استقال منها عام ١٩٣١م.

★★ ١٩٢٧م: نشر (**رحلة إلى نورنبرغ**) ونشرت سيرة حياته التي كتبها هوغو بول بمناسبة عيد ميلاده الخمسين.



★ ماريا هيسه .. أم هيرمان هيسه ★

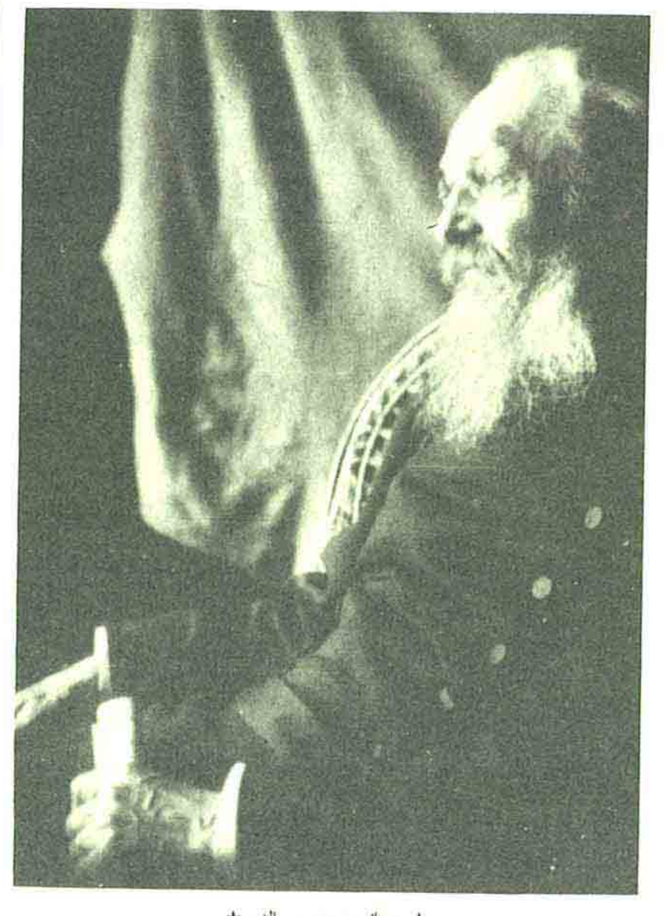
★★ ١٩٢٨م : نشر (**انعكاسات**) و(**أزمات : صفحات من المفكرة**) .

★★ ١٩٢٩م : نشر مجموعة قصائد بعنوان (**تعازي الليل**) ونشر (**مكتبة الأدب العالمي**) .

★★ ١٩٣٠م : نشر (**نارسيسيوس وغولدموند**) .

★★ ١٩٣١م : تزوج من نينون دولبين ، ونشر (**الطريق الداخلي**) و(**روح طفل**) .

★★ ١٩٣٢م : نشر (**رحلة إلى الشرق**) .



★ يوهانز هيسه .. والده ★

★★ ١٩٣٢ ـ ١٩٤٣م : كتب روايته الشهيرة (**لعبة الكريات الزجاجية**) .

★★ ١٩٣٣م : نشر مجموعة قصص بعنوان (**عالم صغير**) .

★★ ١٩٣٤م : نشر مجموعة قصائد بعنوان (**من شجرة الحياة**) .

★★ ١٩٣٥م : نشر (**كتاب القصص**) .

★★ ١٩٣٦م : نشر (**ساعات في الحديقة**) .

★★ ١٩٣٧م : نشر (**في الذاكرة**) و(**قصائد جديدة**) و(**الصبي الأعرج**) .

★★ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م : أعيد طباعة أكثر من عشرين كتاباً من كتبه في ألمانيا .

★★ ١٩٤٢م : نشرت أعماله الشعرية تحت عنوان **قصائد** .

★★ ١٩٤٥م : نشرت له مجموعة قصائد مختارة بعنوان (**الغصن المزهر**) ونشر (**آثار حلم**) .



★★ ١٩٤٦م : نشر (**إذا استمرت الحرب**) ونال **جائزتي (جوته) و(نوبل)**.

★★ ١٩٥١م : نشر (**نثر متأخر**) و(**رسائل**).

★★ ١٩٥٢م : **نشرت أعماله الكاملة في ستة أجزاء**.

★★ ١٩٥٤م : نشر (**تحولات بيكتور**) ونشر (**الرسائل المتبادلة بين هيرمان هيسه ورومان رولان**).

★★ ١٩٥٥م : **حصل على جائزة السلام التي تمنحها مؤسسة بائعي الكتب في ألمانيا**.

★★ ١٩٥٦م : **أعلن عن تأسيس جائزة هيرمان هيسه**.

★★ ١٩٥٧م : ظهرت أعماله الكاملة في سبعة أجزاء.

★★ ١٩٦١م : ظهرت له مجموعة شعرية مختارة بعنوان (**خطوات**).

★★ ١٩٦٢م : **توفي في التاسع من آب (أغسطس)، في موتناغنولا**.

السيرة الذاتية

يقول هيرمان هيسه في السيرة الذاتية التي كتبها بقلمه : إنه وُلد في أواخر الأزمنة الحديثة في فصل الصيف الحار، لذلك أحب البلاد الحارة، وارتحل إلى الجنوب، وكان أبواه يوصيانه كثيراً، لذلك كان يتمرد على تلك الوصايا.

يقول :

«لقد علمنا مدرّسونا موضوعاً مسلياً اسمه تاريخ العالم، وعلّمونا أيضاً، أن الذي يحكم العالم، ويدير دفته، رجال يأتون بقوانينهم الخاصة ويكسرون القوانين التقليدية، وأخبرونا أنه يجب علينا تقديم فروض الاحترام والطاعة لهؤلاء الرجال، ولكننا اكتشفنا زيف ما تعلمناه».

وبالرغم من اكتشافه لزيف ما تعلمه في السنوات الأولى من حياته، إلا أنه يعترف، أن هذه الأشياء لعبت دوراً رائعاً في عالمه الفكري، كما أن ضروب المعرفة المتنوعة أمدّته بالمتعة، خاصة قراءاته باللغة **اللاتينية**، ويقول إنه **كان يكتب قصائده باللغة اللاتينية في فترة مبكرة من حياته**.

التحول الكبير

يقول هيسه :

«حين بلغت العام الثالث عشر من العمر، صممت، إما أن أصبح شاعراً أو لا شيء، وأضيفت إلى هذا التصميم والإصرار بصيرة مؤلمة، حيث يمكن للمرء أن يصبح معلماً، أو وزيراً أو طبيباً أو ميكانيكياً أو تاجراً أو عامل بريد، أو موسيقياً أو رساماً معمارياً، هناك طرق تقود لكل حرفة من هذه الحرف، وهناك دروس لذلك، أما الشاعر، فلا طريق أمامه، وقد اكتشفت مبكراً أنه من المحال أن تكون شاعراً، ومن السخف والخزي أن تصبح شاعراً».

ومع ذلك فقد استطاع هيسه أن يردم هذه الهوة الواسعة بينه وبين الشعر وأن يتحدى كل الظروف المحيطة به، في سبيل أن يصبح شاعراً.

معركته من أجل الشعر

وقد خاض هيسه معركة عنيفة، من أجل أن يصبح شاعراً، فقد نقل من مدرسته إلى مدرسة لاهوتية في مدينة أخرى، **ثم أصبح طالباً في معهد لاهوتي**، وهرب من المدرسة، وعوقب بالسجن في المنزل، وبالطرد من المدرسة، وفي المدرسة الثانوية، كان مصيره الحجز والطرد، وبعد ذلك تدرب عند أحد النجارين، وهرب ثانية، واختفى من وجه والده الذي سبب له الحزن الشديد، ثم عمل لعام ونصف العام مستخدماً في ورشة ميكانيكية، ومضت أربع سنوات وهو يتقلب بين الفشل والخزي والفضيحة والهرب والطرد.

يقول هيسه :

«في السادسة عشرة من العمر، وبعد أن فشلت في دراستي، بدأت بعملية تثقيف ذاتي لنفسي، بوعي وحماس، وكانت ثروتي الجيدة ومتعتي في آن واحد أن في بيت والدي مكتبة كبيرة ورثها عن أبيه، وهي عبارة عن قاعة كبيرة مليئة بالكامل بالكتب القديمة، وتحتوي من بين الأشياء الأخرى، كل الأدب والفلسفة الألمانيين في القرن الثامن عشر، وبين السادسة عشرة والعشرين من العمر، لم أدون محاولاتي في أكداس كبيرة من الورق فحسب، وإنما قرأت نصف الأدب العالمي، وانكببت على تاريخ الفن واللغة والفلسفة انكباباً، يعادل في غزارته أية دراسة جامعية أخرى».

حياة هادئة ورحلات

بعد هذه المغامرة الحياتية باتجاه الشعر، وبعد أن كسب الجولة، وانتصر في معركته الطويلة والعنيدة مع العالم، عاش منذ عام ١٩٠٤م، حياة هادئة، حيث أصبح له زوجة وأطفال ومنزل وحديقة، وأصبح يكتب الروايات، وأصبح شاعراً محبباً، يعيش مع العالم بسلام، ويقوم

بالرحلات إلى سويسرا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والهند ، وأصبح كل شيء يسير بنظام .

صيف ١٩١٤ م

ماذا حدث حين حل صيف عام ١٩١٤ م ؟

يقول هيسه : « ثم حل صيف عام ١٩١٤ م ، وفجأة أصبح كل شيء داخلياً وخارجياً مختلفاً وأصبح واضحاً أن كل رفاهيتنا السابقة ، قد أقيمت على أسس واهية ، فبدأت رحلة البؤس ، وحل ما يسمى بفترة الاختبار ، ولا يمكن القول إن هذه الفترة قد وجدتني أحسن استعداداً وأكثر رفعة من الآخرين ، وما يميزني عن الآخرين أنني كنت أفتقر إلى الحماسة ، ولهذا السبب رجعت إلى نفسي ، ودخلت في صراع مع بيئتي ، وكان علي أن أصل رضاي بنفسي ، وبالعالم ، ومن خلال هذه التجربة خطوت للمرة الأولى فوق عتبة المبادرة متجهاً إلى الحياة » .

وحين قرأ مقالات الكتّاب البارزين ، الذين كانوا يباركون الحرية ، والأساتذة الجامعيين الذين ينفخون في البوق ، والقصائد التي كان يكتبها الشعراء المرموقون للحرب أصبح هيسه أكثر تعاسة ، وفي عام ١٩١٥ م ، كتب مقالته التي يدين فيها الوضع ، وقد نشرت في أكثر من عشرين صحيفة ، ولكنه لم يجد من جميع أصدقائه الصحفيين الذين كان يعرفهم سوى اثنين وجدا الجرأة للدفاع عنه .

يقول هيسه : « هذا التحول الجديد الذي بدأ يعبر عن نفسه في كتاباتي وحياتي ، جعل الكثير من أصدقائي يهزون رؤوسهم ، وتخلى عني الكثير أيضاً ، وأصبح القلق جزءاً رئيسياً من حياتي ، وأصبح فقدان منزلي وعائلتي شيئاً عادياً ، وأصبحت كلمة الوداع من الكلمات المألوفة ، وكنت أصعق يومياً من قدرتي على تحمل كل ذلك لأستمر في العيش ، وأجد شيئاً أحبه في هذه التجربة الغريبة » .

اكتمال التحول

ومع نهاية الحرب تزامن اكتمال تحوله ، مع ذروة معاناته في قضيته ، هذه المعاناة التي لم يكن لها علاقة بالحرب أو بمصير العالم ، أو حتى باندحار ألمانيا الذي تم التنبؤ بحتميته خارج ألمانيا قبل سنين .

يقول : « لقد وجدت أن شهوة العالم للحرب أو القتل منعكسة في نفسي » .

ويضيف : « لم أكن أمتلك من مهمة سوى أن أحمل معي حتى النهاية



★ هيسه قبل الحرب العالمية الأولى ★



★ هيسه عام ١٩٢١ م ★



★ « روث ونيفر » زوجة هيسه ★



★ إحدى مخطوطات قصائده بخط يده ★

تأملي للفوضى ، حيناً بأمل يتألق وآخر بأمل يأفل ، لإعادة اكتشاف الطبيعة والبراءة وراء الفوضى » .

التحول إلى الرسم

بعد هذا التأمل ، وجد أن مهمته وطريقته للخلاص لم تعد في مملكة الشعر أو الفلسفة ، وحين وضعت الحرب أوزارها في ربيع عام ١٩١٩ م ، انسحب إلى ركن قصي في **سويسرا** وانشغل بالحكم الهندية والصينية ، ولهذا السبب ألغى الشعر داخله ، وكفر بقيمة الولادات الأدبية ، ولم تعد الكتابة تمده بالمتعة الحقيقية ، وفجأة في سن الأربعين أراد أن يكون رساماً ، لأن الرسم رائع ، ويجعل الإنسان أكثر صبراً وسعادة .



الأوبرا التي لم تكتمل

لذلك فقد انشغل في السنوات التالية بالرسم والسحر الصيني والموسيق .. فيقول: «كان طموحي في حياتي المتأخرة أن أكتب أوبرا أصور فيها الحياة الإنسانية بكل جديتها وصرامتها».

ويضيف: «لقد أردت في هذه الأوبرا أن أفعل ما لم أستطعه في الشعر، أن أؤسس معنى رفيعاً وممتعاً للحياة الإنسانية».

لكنه لم يفلح في إكمال تلك الأوبرا، لذلك ترك مسودات هذه الأوبرا، وكرس نفسه كلياً للسحر التطبيقي.

حياة ما بعد السبعين

بعد أن جاوز السبعين من العمر، **ومنحته جامعتان الدكتوراه الفخرية**، قدم للمحاكمة بتهمة إغواء فتاة شابة بالسحر، فسجن، ولكنه قدم التماساً في أن يقضي وقته في الرسم، فاستجيب إلى طلبه، وبدأ يرسم منظراً طبيعياً على جدار زنزانته.

يقول: «لم يسبق أن سحرني لعبي مثل هذه المرة، وبعودتي إلى الفن، لم أنس أنني سجين فحسب، بل متهم له بصيص أمل في إنهاء حياته في أي مكان سوى هذا السجن، حتى أنني نسيت تماريني السحرية مع مرور الوقت، وبدوت ساحراً عظيماً حين خلقت فرشاتي الرفيعة شجرة صغيرة، وسحابة لامعة صغيرة».

ورقة من ملف التحقيق

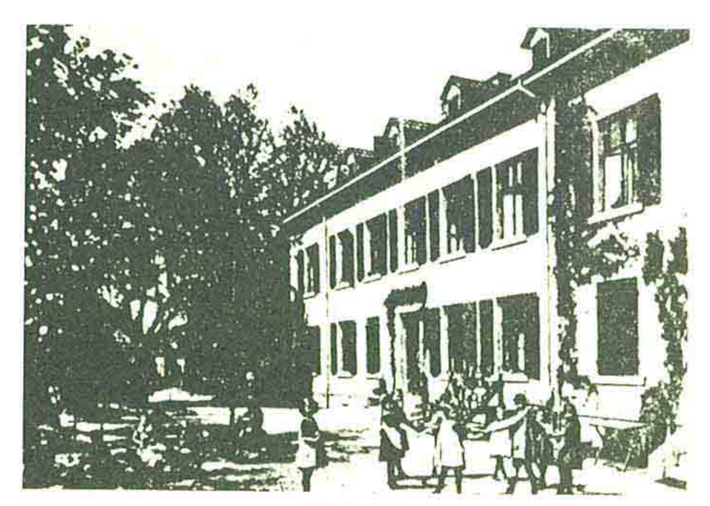
وأجمل ما كتبه هيرمان هيسه، في سيرته الذاتية، السطور القليلة التي أنهى بها تلك السيرة الموجزة، يقول في هذه السطور:

«كنت يومياً أُقتاد تحت الحراسة إلى غرف غير متجانسة، حيث كان يجلس وسط كومة من الأوراق رجال قساة يستجوبونني ويرفضون تصديقي، ينبحون في وجهي، يهددونني مرة كطفل في الثالثة، ومرة كمجرم فظ».

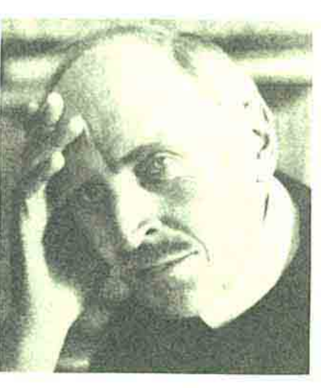
ويضيف: «كان علي منذ زمن طويل أن أختنق وأجف في جحيم هذه الأوراق».

هذه هي بعض ملامح هذا الكتاب الذي يقع في مائتين وثمان وثلاثين صفحة من القطع المتوسط، أما بقية الملامح، فتكشفها الصور الوثائقية نثبت بعضاً منها مع هذا العرض السريع للكتاب.





★ مدرسة هيسه في بازل ★



★ رومان رولان صديقه الحميم ★

★ هيسه بريشة غونتر بومر ★

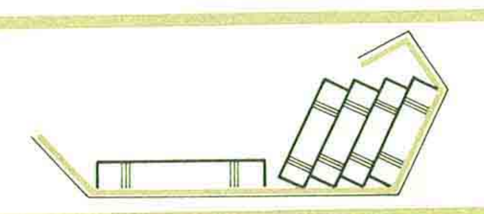




★ غونتر بومر ★

★ إليوت .. أعجب بشعر هيسه ★

يقول هيسه: «سأروي قصة مختصرة عن الكيفية التي أكملت فيها حياتي دورتها، فقد وضعت في السنوات التي سبقت عام ١٩٣٠م، كتباً قليلة، وبعدها أدرت ظهري لهذه المهنة إلى الأبد، وفي أطروحتين كتبهما شابان مجتهدان، لم يجيبا عن تساؤل، عما إذا كنت أعتبر في عداد الشعراء أم لا».



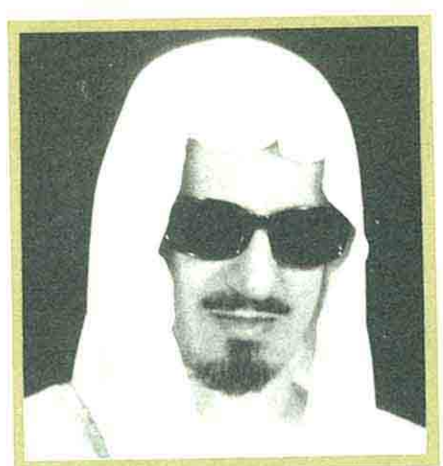
من شعراء الإسلام
.. بين الثقافة والتخصص

بقلم: د. عبد الرزاق عبد الرحيم حسين

صدر حديثاً كتاب «من شعراء الإسلام» للدكتور محمد بن سعد بن حسين، وفيه يصحب سبعة وخمسين شاعراً إسلامياً، بدءً بعبد الله بن رواحة وانتهاءً بوليد الأعظمي. وفيه يسير على نهج واحد، فيترجم للشاعر ثم يثبت له بعض أشعاره الإسلامية.

ولست بصدد العرض للكتاب، وإنما هي كلمة أود أن ألقيها بين يدي القارئ، بعد أن اطلعت على الكتاب، ليقيني بأن دراسة الأدب الإسلامي في حاضرنا المتلفع بغيوم الكآبة واليأس ضرورة دينية، وواجب إسلامي يقع العبء فيه على كاهل أصحاب الكلمة المسؤولة.

وإذا كان الاتجاه الإسلامي يفرض نفسه بقوة على الدراسات الأدبية، فإن من واجب جامعاتنا أن توجّه أبناءها إلى مثل هذه الدراسات الوضّاءة، ولعل كثيراً من جامعاتنا الإسلامية تتعهد ذلك، وأذكر على سبيل المثال **جامعة الأزهر** وبعض الجامعات العربية والإسلامية، وكذلك **الجامعات السعودية**



★ د. محمد بن سعد بن حسين ★

وأخص بالذكر **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**.

ولقد ظهرت دراسات جيدة عن الأدب الإسلامي واتجاهاته، أذكر منها على سبيل



★ د. عبد الله الحامد ★



الفائدة — ونحن بين يدي الثقافة — الكتب التالية:

دراسات في الأدب الإسلامي، د. سامي مكي العاني.

الإسلام والشعر، د. سامي مكي العاني.

الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، د. عبد الله الحامد.

الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، د. محمد عبد المنعم خفاجي.

الإسلام والشعر، د. يحيى الجبوري.

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، د. يحيى الجبوري.

شعر الفتوح الإسلامية، د. النعمان القاضي.

إلى جانب دراسات متعددة عن بعض الاتجاهات والجوانب المتعددة في الأدب الإسلامي، وبخاصة شعر الجهاد الإسلامي في **الأندلس، وصقلية والمغرب العربي**، وكذلك دراسة شعراء الإسلام، ونخص بالذكر شعراء الصدر الأول **كحسان بن ثابت**،

وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك وزيد الخير . . . إلخ .

وأعود إلى كتابنا **«من شعراء الإسلام»** الذي يسير فيه مؤلفه حسب الترتيب الزمني لتاريخ ولادة أو وفاة الشاعر ، أما سبب اختيار هؤلاء الشعراء دون غيرهم ، فلم يصرح الكاتب به ، ولعله رأى في هذه العينة ، خير ما يقدمه لكل مثقف يودّ أن يطلع على الكلمة الطيبة .

والكتاب **وجبة شهية للمطّلع** ، أما المتخصص فأرى أنه يودّ لو اتسع ميدان التحليل ـ ولو أننا لا نعدمه ـ على حساب النماذج والترجمة لشعراء معروفين وأشعارهم أشهر من أن تذكر وتعرّف . ولعلنا واجدون ذلك ، إن شاء الله مستقبلاً ، حيث يَعِدُ المؤلف بدراسة أوفى وأشمل في هذا الميدان . . فيقول : « **ولقد فرغت من هذه الأحاديث العجلى عن جملة من شعراء الإسلام الذين خدموا بفكرهم ، وأنا أقوى عزيمة على مواصلة العمل في سبيل تقديم أحاديث أخرى عن شعراء آخرين أسهموا بفكرهم في خدمة الإسلام** » ، ويقول أيضاً : « **ومما يحسن التنبيه عليه أيضاً أن هذا الكتاب بداية عمل أوسع في هذا الميدان إن شاء الله** » .

ولا يغيب عن البال ، حاجة المتخصص للإفادة من المراجع والمصادر ، إذ لم يتطرق المؤلف إلى استعمال الهوامش على الأقل ، وهي فائدة ملموسة ومحققة إن وجدت ، وكما نعلم ففهارس الكتب تعادل أهميتها أهمية الكتاب المُؤلَّف في عصرنا . . عصر السرعة والتخصص .

ولي ملاحظات هامشية أرجو أن تؤخذ في الحسبان عند طبع الكتاب مرة أخرى :



★ د. خفاجي ★ ★ محمد إقبال ★

★ أولا : بعض الأخطاء المطبعية ، التي أرجو أن يخلو منها الكتاب في حلّته القادمة .

★ ثانياً : فهرس الموضوعات يحتاج إلى إعادة نظر ، فكثير من هذه الموضوعات لا يقع في الصفحة المعلن عنها في الفهرس ، ومثال ذلك : **محمد إقبال** ص ١٧١ في الفهرس ، وفي صلب الكتاب ص ١٧٧ ، **ومعروف الرصافي** ص ١٧٥ في الفهرس ، وفي الكتاب ص ١٨١ ، **وعبد الحميد الخطيب** ص ٢٠٧ في الفهرس ، وفي الكتاب ص ٢١٢ ، وأمثلة ذلك كثيرة .

★ ثالثاً : إيراد قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه ، التي يقول في أولها :

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتعمد

في أثناء حديثه عن **عبد الحميد الخطيب ،** ولعل السبب يرجع إلى أن للخطيب مختارات شعرية ضمّنها قصيدة حسان هذه ، ولكن ذلك لا يدعو إلى إيراد عشرين بيتاً في هذا المقام .

★ رابعاً : قول المؤلف إن قصيدة عبد الحميد الخطيب « نهج البردة » لم تأخذ من قصيدة البوصيري إلا الوزن والقافية ، وهذا القول مردود بعدة أدلة منها :

اسم القصيدة ووزنها وقافيتها ثم مفتتح القصيدة ، فالخطيب يقول في أولها :

أمن تذكر بيت الله والحرم
ووقفة بخشوع عند ملتزم
جرت دموعك فوق الخد منبثة
عمّا بقلبك من خوف ومن ندم

والبوصيري يقول :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

ومنها السير على نهج **البوصيري ،** فالخطيب يتحدث عن حبه واشتياقه ، ثم يقوي أمله بالله بعد أن أحسّ بعظم ذنوبه ، ثم يتحدث عن حبه واشتياقه عن النفس وإبليس والإحساس بالخطيئة ، والشعور بالذنب ، ثم يتحدث عن سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ويختم ذلك بالدعاء للأمة الإسلامية .

وكذلك البوصيري الذي يتشوق إلى تلك الأماكن المقدسة ثم يتحدث عن ذنوبه ، ويتمنى أن يردّ النفس عن هواها ، وبعد ذلك يتحدث عن النصيحة والتوبة والندم ، ثم يتحدث عن **الرسول صلى الله عليه وسلم** ويستشفع به ، وأظن أن لا فارق بين القصيدتين سوى ما يحمد للخطيب من أنه لم يتورط في تلك المبالغة والمغالاة في الاستشفاع والتأملات الصوفية .

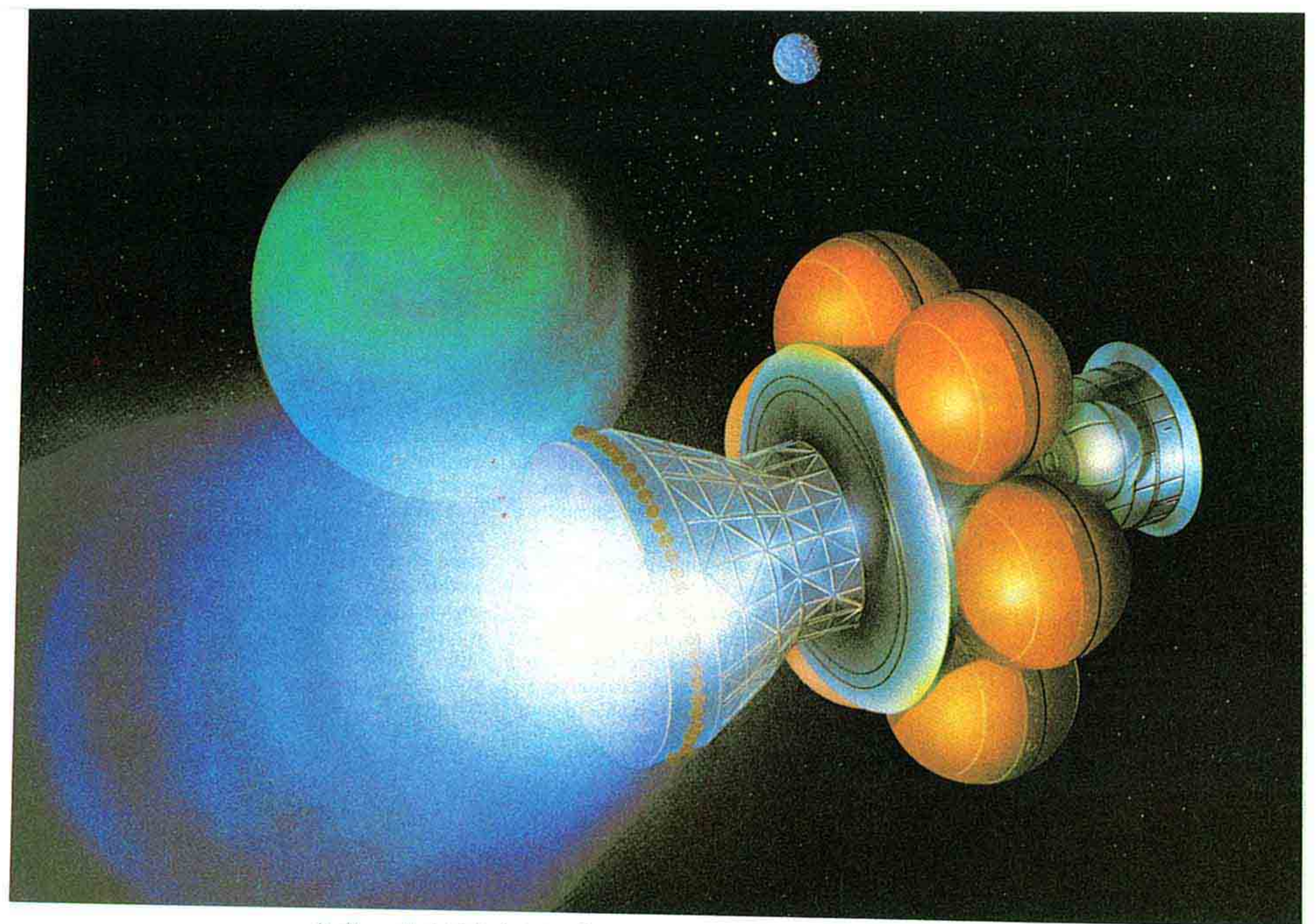
ومع ذلك فالكتاب يبرز الجوانب الخيّرة في شعر هؤلاء الشعراء التي تخدم الأهداف السامية للإسلام ليتأسى بها المخلصون الأوفياء لدينهم وأمتهم .

وإذا كان هذا الكتاب من جملة الكتب التي تمثل النظرة الإسلامية ، وهو جهد محمود بلا شك ، فإن الحاجة إلى هذا النوع من الكتب تبدو ملحّة في هذا الوقت بالذات فربّ كلمة طيّبة تفعل فِعْلَ جيش عرمرم .





★ صورة لشراع الفضاء الذي تدفعه أشعة الليزر ★



★ السفينة «ديدالوس» تخيلها الرسام وقد تعدت كوكب نبتون وقمره ترايتون في طريقها إلى النجم برنارد ★

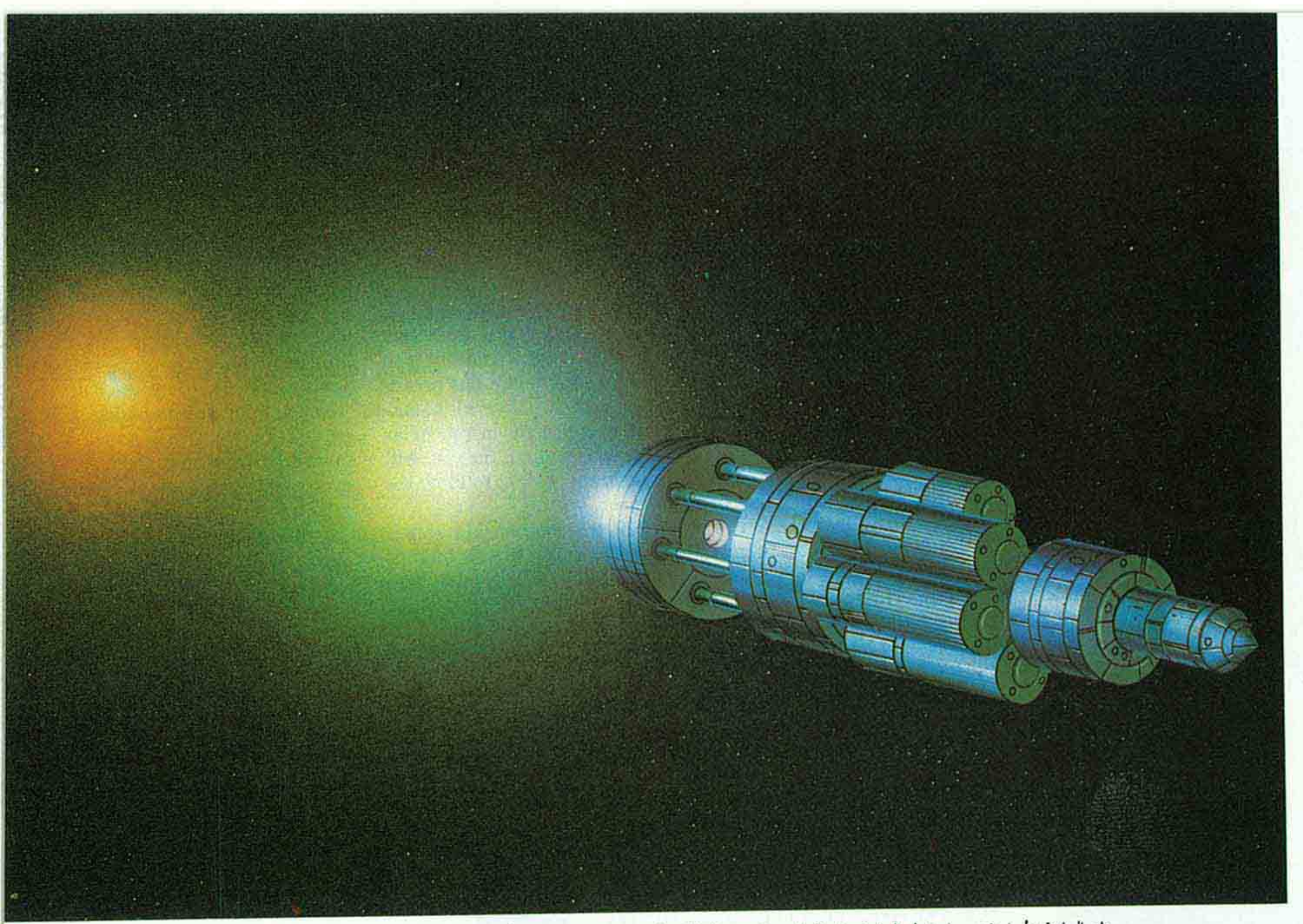
رحلة إلى النجوم

إن أول سفينة فضاء انطلقت في سماء تَخَيُّل الإنسان كانت منذ ألفي عام على الأقل ... فبمجرد أن ارتقى الإنسان إلى المرحلة التي استطاع فيها أن يدفئ جسده العاري ، وأن يُطعم نفسه ، ويجد المأوى والأمان ، بدأ في التفكير في الطيران ولكي تحلق مثل الطيور فإن هذا جميل ؛ ولكن أن تهبط على سطح القمر ، وهذه البقع المضيئة الأخرى في السماء ، فهذا هو الحلم الأجمل .

وربما كان أول من ترجم هذا الحلم إلى أفكار مكتوبة هو شاعر الهجاء الإغريقي «لوسيان» الذي كتب في القرن الثاني قبل الميلاد عن فكرة السفر إلى القمر . ولكن ولمئات من السنين التي تلت ذلك لم يكن أحد يعرف تلك المسافات الشاسعة التي يتطلبها سفر الفضاء ، والتي تفصل بيننا وبين النجوم والمجرات وما تحتويه من كواكب .. حتى أنه لم يكن هناك أحد يعرف أن هذه المساحات اللانهائية التي تفصل بين النجوم ما هي إلا فراغ سحيق لا هواء بها ولا ماء .

وجاء «**كوبرنيكوس**» Copernicus في القرن السادس عشر الميلادي ، فكان أول من رصد حركة الكواكب حول الشمس .. ومن بعده جاء «**غاليليو**» Galileo بحوالي القرن وأشار إلى أهمية المسافات في الفضاء .. ومضى ركب التقدم بمجيء «**يوهان كبلر**» Johannes Kepler الذي قام بحساب **المدارات الإهليجية (البيضاوية)** Elliptical Orbits للكواكب حول الشمس ، وقد قال **كبلر** منذ ما يقرب من أربعمائة عام مضت ناظراً في ضباب المستقبل وقبل اختراع الآلة :

«إنني أترقب الزمن الذي يتم فيه اختراع سفن باستطاعتها الإبحار في الفراغ ما بين النجوم ..» . ثم جاء السير **إسحق نيوتن** Sir Isaac Newton وصاغ قوانين الحركة لهذه الكواكب ، وزودنا بحسابات قيمة عن الأسس والقواعد الضرورية اللازمة لصنع مركبة الفضاء .



★ السفينة «أورايون» يعمل محرك السفينة بواسطة تفجير ذري يعادل ألف طن من مادة ت. ن. ت في كل ثانية مما يدفع الطبق في مؤخرة السفينة ★

ومرت مئات السنين قبل أن يتمكن الإنسان من بناء سفينة فضائية استطعنا بها أن نتخلص من براثن جاذبية الأرض ونحط رحالنا على ظهر القمر أقرب التوابع إلينا.. ولكننا ما زلنا نتطلع إلى الرحلات التي تنطلق بنا إلى خارج نطاق مجموعتنا الشمسية، وقبل ذلك علينا تصميم السفن التي تستطيع تحقيق هذا الحلم وخاصة أننا نتكلم عن مسافات فلكية تبلغ عشرات السنوات الضوئية بيننا وبين أقرب النجوم إلينا.

لن تجد إعلانات مبوبة في الصحف أو على أبواب المكاتب عن مصممي سفن الفضاء، لكن الكثيرين من علماء ومهندسي الفضاء ألقوا بأنفسهم في دوامة البحث والتقصي لابتكار وتطوير سفن من شأنها أن تحملنا إلى مواقع النجوم.

إن رحلة عبر الفراغ إلى أقرب نجم لكوكبنا يبعد عنا مسافة ٢٥ تريليون ميل تقريباً، ويتطلب السفر إلى هذا النجم سفينة ماموثية الحجم، وكمية هائلة من الطاقة، وعدد لا بأس به من السنوات تبلغ عدة عشرات من آلاف السنين. وهكذا فإنه إذا أريد التخطيط لرحلة عبر المجرات، فإن على هؤلاء العلماء ذوي النظرة المستقبلية الثاقبة حلّ آلاف المشاكل والأمور التي يتطلبها ذلك النوع من الرحلات الفضائية. ومن الأسئلة التي تدور في أذهانهم،

أي نوع من نظام الدفع Propulsion عليهم استعماله لدفع السفينة في فراغ الفضاء السحيق؟ وأي المواد سوف يستخدمونها لبناء هيكل السفينة لمقاومة التصادم مع **الغبار الكوني** Cosmic Dust في أثناء انطلاق السفينة بهذه السرعة الهائلة..؟ وما أحسن الطرق لتخزين الوقود الدافع Propellant..؟ وهل تستطيع السفينة أن تفي بمتطلبات الأجيال التي ستتعاقب على قيادتها، أو أن المسافرين عليها سيوضعون في حالة «سبات شتوي» Hiberna-tion كما هو الحال في عالم الحيوان، حيث يتم إيقاظهم قبل وصولهم إلى محطتهم الأخيرة؟ ما هي الآلات التي سيأخذونها معهم لدراسة النظام النجمي الجديد الذي وصلوا إليه؟.

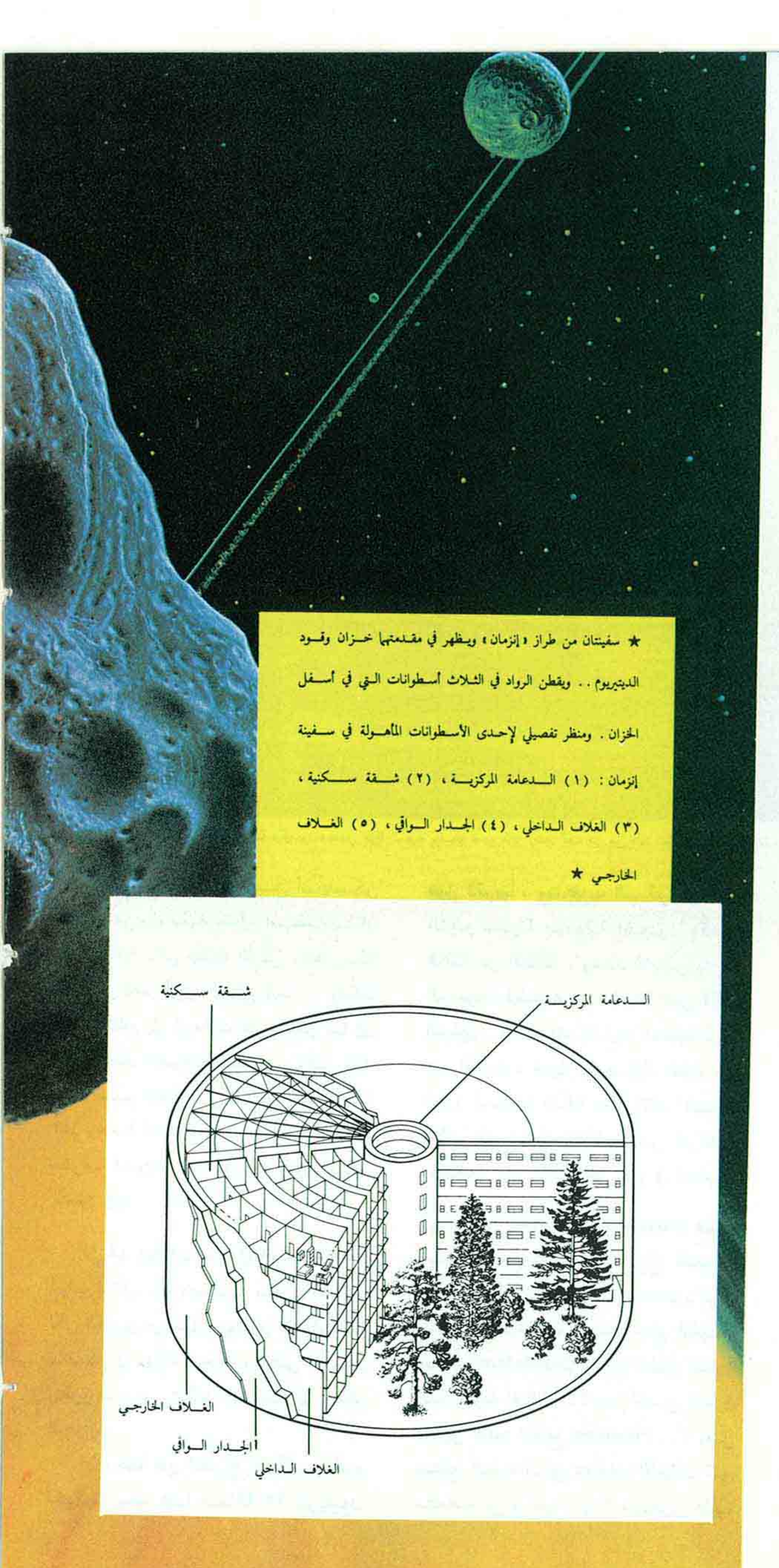
إن الحلول لهذه المشاكل والمشاكل الأخرى العديدة قد تبدو مفرطة في الخيال فيما لو ذكرناها، لكنها كلها مبنية على حقائق علمية واضحة ومقامة على أساس البحوث العلمية التي أُجريت في وقتنا الحاضر. والحلول المطروحة ما هي إلا نتاج فكر وبحث خلال السنوات الماضية لأعداد هائلة من العلماء، وليس للخيال فيها أي نصيب. إنه من السابق لأوانه أن نقترح مشروعاً نستطيع تنفيذه اليوم مباشرة لهذا الغرض، فالمشكلة الرئيسية لمثل هذا المشروع ليست مشكلة التكنولوجيا بقدر ما هي مشكلة التمويل، لكن الحالمين بالسفر إلى النجوم لا يكفون عن الحلم، ولكن لماذا

لا يكفون عن الحلم.. ؟ إذا عادت بنا الذاكرة إلى عام ١٩٣٩م، وقبل أن يشتعل فتيل **الحرب العالمية الثانية مباشرة..** قام أعضاء **«جمعية ما بين الكواكب» البريطانية** Interplanetary Society بإعداد دراسة مفصلة عن سفينة فضاء بإمكانها أن تهبط على سطح القمر.. وبالرغم من أن هذا المشروع ـ الذي كان حلماً في ذلك الوقت ـ لم يصل أبداً إلى القمر، إلا أن الحلم تحقق فيا بعد بوصول **المركبة أبوللو ـ ١١** Apollo - 11 إليه وذلك الحدث ما كانت الإنسانية قادرة على الوصول إليه بدون الجهود الرائدة للعقول التي لم تكف عن الحلم. لماذا إذن نكف عن الحلم.. ؟ أذلك من أجل حفنة من المعارضين لمثل هذه المشاريع.. ؟. ويقول **الدكتور كارل ساغان** Carl Sagan: «حتى لو أن التصاميم الحالية كانت بعيدة عن التصاميم المطلوبة للسفر إلى النجوم، والفرق بينها وبين ما نصبو إليه كالفرق بين طائرة **ليوناردو دافنشي** التي صممها قبل قرون، وبين طائرات اليوم النفاثة؛ إلا أننا سنصل إليها والمسألة مسألة وقت ونقود فقط».

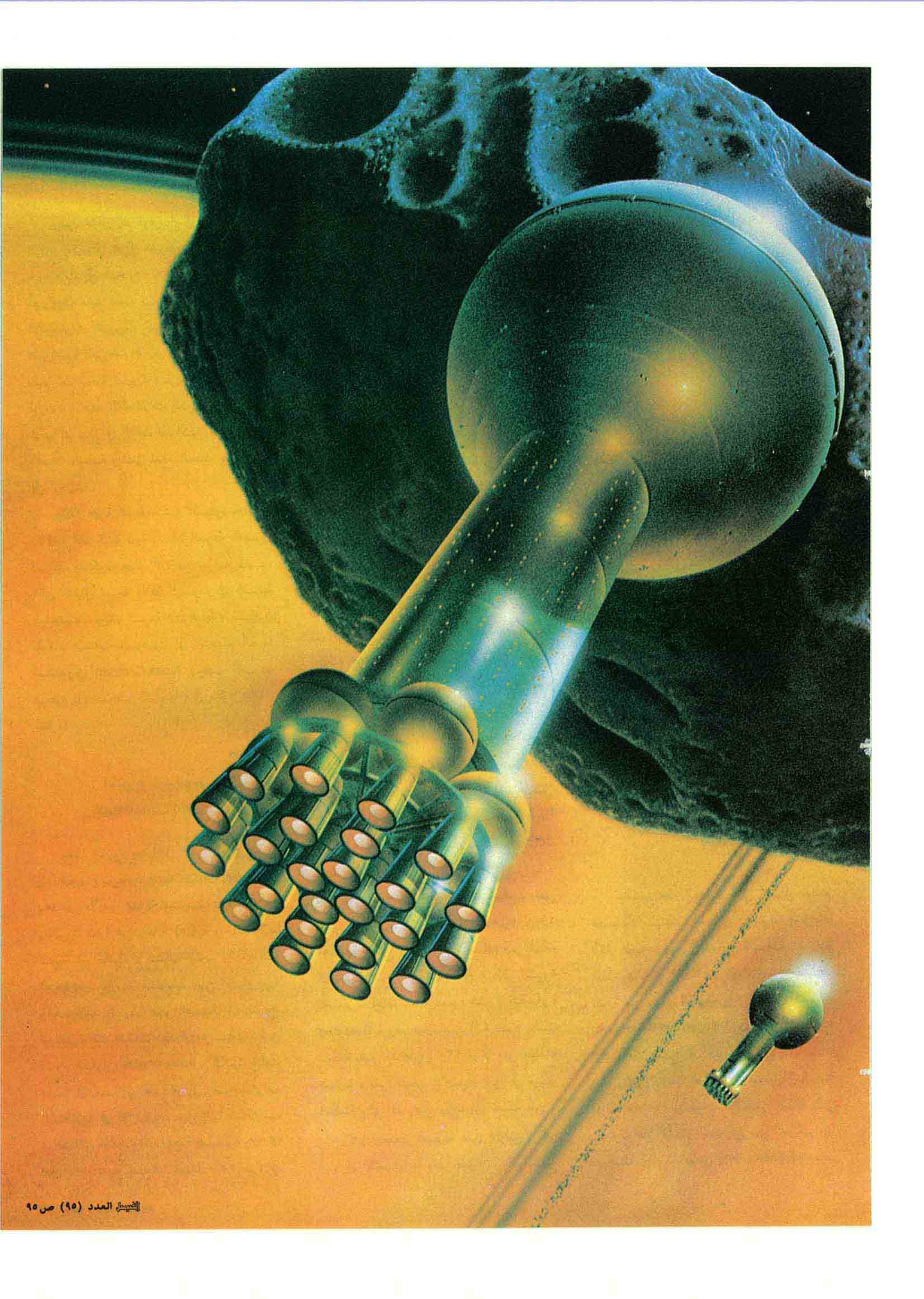
مَنْ هم مصممو السفن هؤلاء؟ وكيف يتخيلون السفر إلى النجوم؟ دعونا نتعرف عليهم وعلى مشاريعهم وتصاميمهم التي قد تأخذنا يوماً إلى هناك.

مشروع أورايون
PROJECT ORION

هذا المشروع من نتاج بنات أفكار الفيزيائيين **ثيودور تايلور** Theodore Taylor **وفريمان دايسون** Freeman Dyson.. وقد تم تطوير هذا المشروع في الخمسينات من هذا القرن لغرض السفر إلى كواكب مجموعتنا الشمسية.. وربما للسفر إلى المجموعات الشمسية الأخرى المجاورة.



★ سفينتان من طراز «إنزمان» ويظهر في مقدمتها خزان وقود الديتيريوم.. ويقطن الرواد في الثلاث أسطوانات التي في أسفل الخزان. ومنظر تفصيلي لإحدى الأسطوانات المأهولة في سفينة إنزمان: (١) الدعامة المركزية، (٢) شقة سكنية، (٣) الغلاف الداخلي، (٤) الجدار الواقي، (٥) الغلاف الخارجي ★



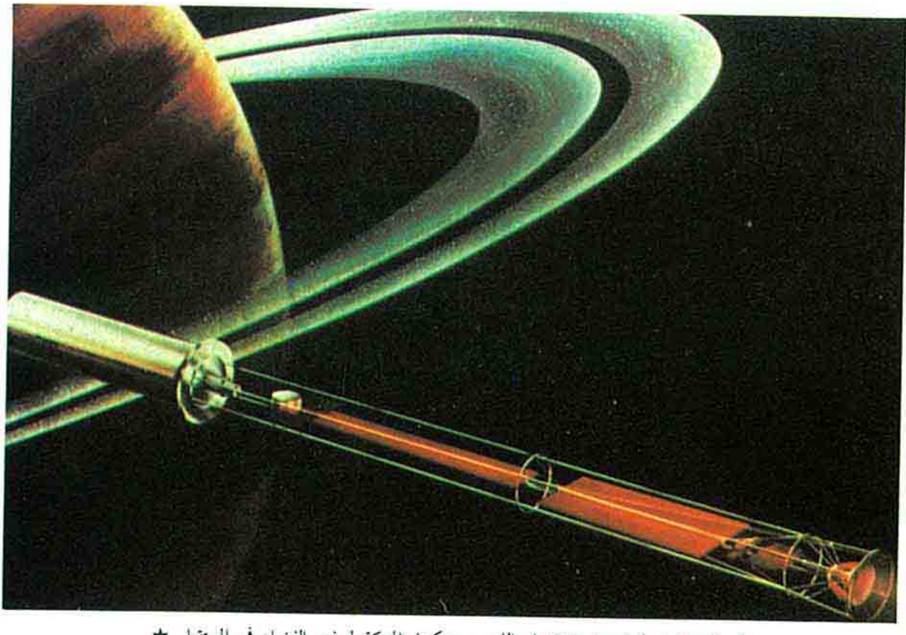
رحلة إلى النجوم

ويقول تايلور إن الوقود النووي أقوى من الوقود الكيميائي بحوالي مليون مرة ، وهو مفتاح الرحلات إلى النجوم . . وهكذا فإن مشروع **أورايون** سيتم دفعه بواسطة سلسلة من الانفجارات النووية ، كل منها بقوة قنبلة **هيروشيما** المعروفة . إذ إنه في كل ثانية تقريباً سيتم نبذ شحنة نووية من مؤخرة سفينة أورايون ، هذه الانفجارات الذرية المتعاقبة من شأنها أن تدفع في الاتجاه المعاكس طبقاً Plate متصلاً بالسفينة وبالتالي تدفع السفينة بقوة هائلة إلى وجهتها .

وتبلغ حمولة السفينة من الوقود حوالي ثلاثمائة ألف قنبلة ذرية . . أما السرعة القصوى للسفينة فستكون حوالي ٣٪ من سرعة الضوء « أي حوالي تسعة آلاف كيلومتر في الثانية الواحدة » ، وبهذه السرعة المتواضعة ، سيكون بإمكان السفينة الوصول إلى النجم **ألفا سنتوري** Alpha Centauri (وهو أقرب النجوم إلى مجموعتنا الشمسية) في مدة (١٣٠) سنة .

مشروع ديدالوس
PROJECT DAEDALUS

وهذا المشروع هو الحل البريطاني للوصول إلى النجم « **برنارد** » Bernard's Star الذي يبعد عن الأرض بمقدار ست سنوات ضوئية . . والمشروع عبارة عن رحلة ذهاب واحدة فقط لسفينة غير مأهولة لاكتشاف النجم والكواكب المحيطة به ، وإرسال معلومات عن الحياة فيها وجغرافيتها . . وكما هو الحال في مشروع أورايون ، فإن محركات **ديدالوس** ستكون من النوع النابض Pulse engine ، لكنها تختلف عنها في أنها لن تحتاج إلى **انفجارات انشطارية** في كل ثانية ، بل إنها ستكتسب سرعتها من **انفجارات نووية صغيرة** Micro explosions يتم إشعالها بمعدل ٢٥٠ مرة في



★ انفجارات ذرية صغيرة تشعل الليزر ، ستكون المحركة لسفن الفضاء في المستقبل ★

الثانية الواحدة بواسطة شعاع من **الليزر** LASER أو بواسطة شعاع من **الإلكترونات** Electron Beam .

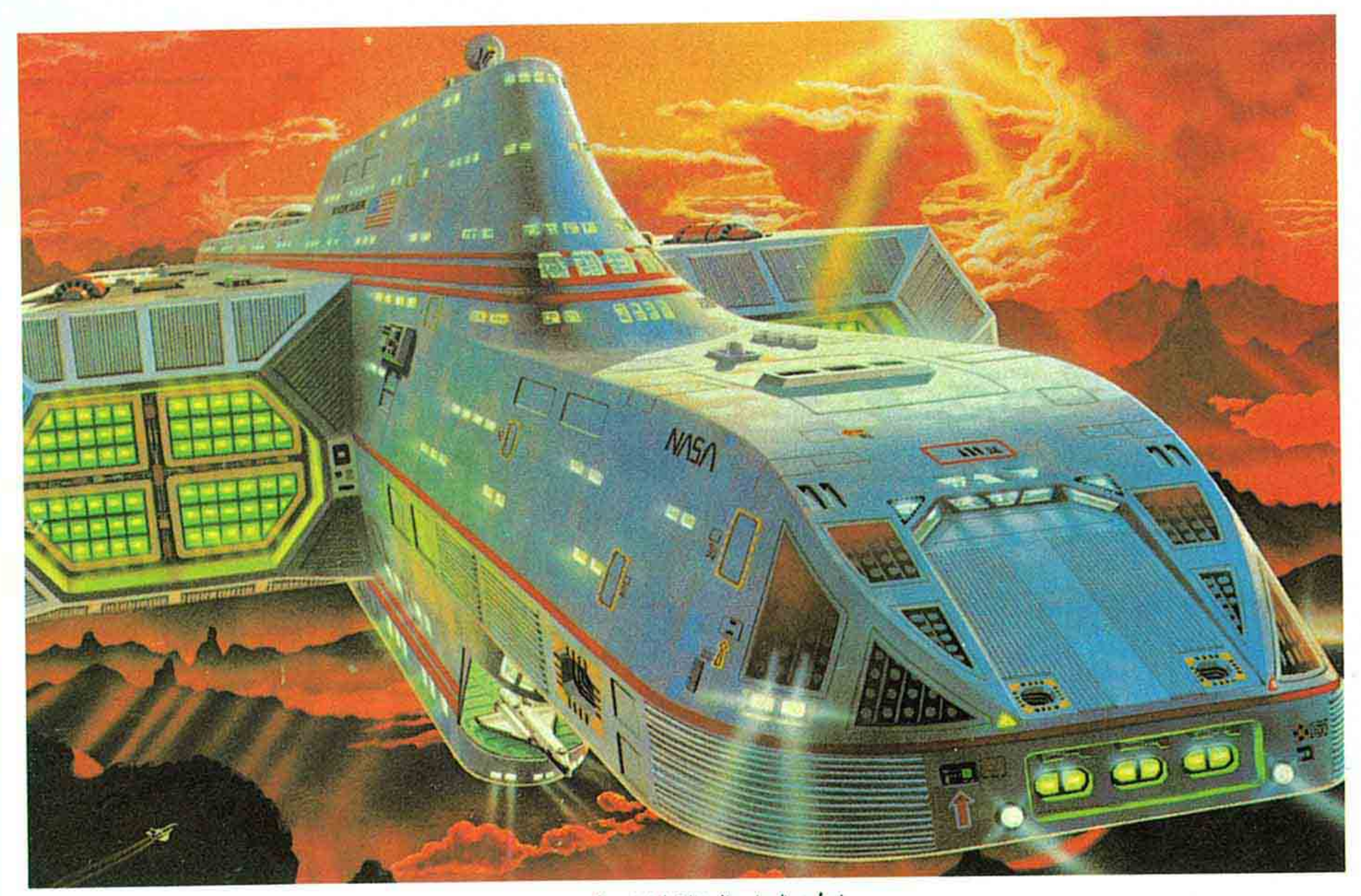
وبما أن ديدالوس لا تحمل طاقماً بشرياً على متنها ، وبما أنها لن تُبطئ مسيرتها عند الوصول إلى نجم برنارد ، فإنها سوف تستهلك وقودها بكامله خلال السنوات القليلة الأولى التي تعقب انطلاقها ، مما يجعلها تنطلق بسرعة تتراوح ما بين عشرة إلى عشرين بالمائة من سرعة الضوء ، بعدها سوف تقوم بنبذ خزانات الوقود النووي الفارغة وتهيم على وجهها بقية مدة رحلتها التي تستغرق حوالي خمسين سنة . وسوف تحمل السفينة طبقاً مسطحاً في مقدمتها بوصفه درعاً لحمايتها من صدمات الغبار الكوني Cosmic Dust في أثناء انطلاقها بهذه السرعة الرهيبة ، لكن هذا الدرع لن يحميها كما هو متوقع ، فعلى سبيل المثال ، لو أن جُسيماً وزنه جرام واحد اصطدم بالدرع ، فإن وقع التصادم من شأنه أن يفتت الدرع . . ولهذا قام مخططو المشروع بتصميم ما أطلقوا عليه اسم « **حشرة الغبار** » Dust Bug ، وهو عبارة عن آلة تقوم بنفث سحابة يصل مداها إلى ١٢٠ ميلاً من مقدمة السفينة ، تقوم بتبخير الأجسام التي في مسار السفينة والتي قد يصل وزنها إلى نصف طن .

وكلما ابتعدت السفينة عن الأرض ، كلما استغرق الاتصال بها وقتاً طويلاً ، قد يبلغ شهوراً أو سنوات ، لذلك سيتولى حاسب آلي Computer — تم برمجته بدقة — قيادتها . .

وقبل عدة سنوات من وصول ديدالوس إلى النجم **برنارد** ، ستتولى السفينة دراسة النظام النجمي المحيط به ، ثم تطلق عشرين مُجسّاً Probe ستطير في مدارات قريبة من الكواكب المحيطة بالنجم لدراستها ، ومن ثم إرسال معلومات عنها إلى السفينة الأم ديدالوس التي ستتولى إرسالها بدورها إلى الأرض ، وبعد أن تنتهي مهمة السفينة ، فإنها ستفقد توازنها وتنجرف في الفراغ السحيق بين المجرات .

سفينة إنزمان
ENZMANN

وتصميم هذه السفينة التي تحمل اسم مصممها المهندس الفضائي **روبرت إنزمان** أكثر طموحاً من التصاميم السابقة . . وتم تصميمها عام ١٩٦٩ م ، بحيث تحمل كميات كبيرة من وقود **الديتيريوم** العالي التبريد Supercold Deuterium (وهو نوع من أنواع الهيدروجين الثقيل) ، كما تحمل على متنها طاقماً بشرياً كبيراً ، مما حداهم إلى تسميتها بالسفينة « المستعمرة » ، والكميات الهائلة من الطاقة التي ستتولد عن انشطار الديتيريوم يتم التحكم بها بواسطة مجال مغناطيسي Magnetic Field سوف



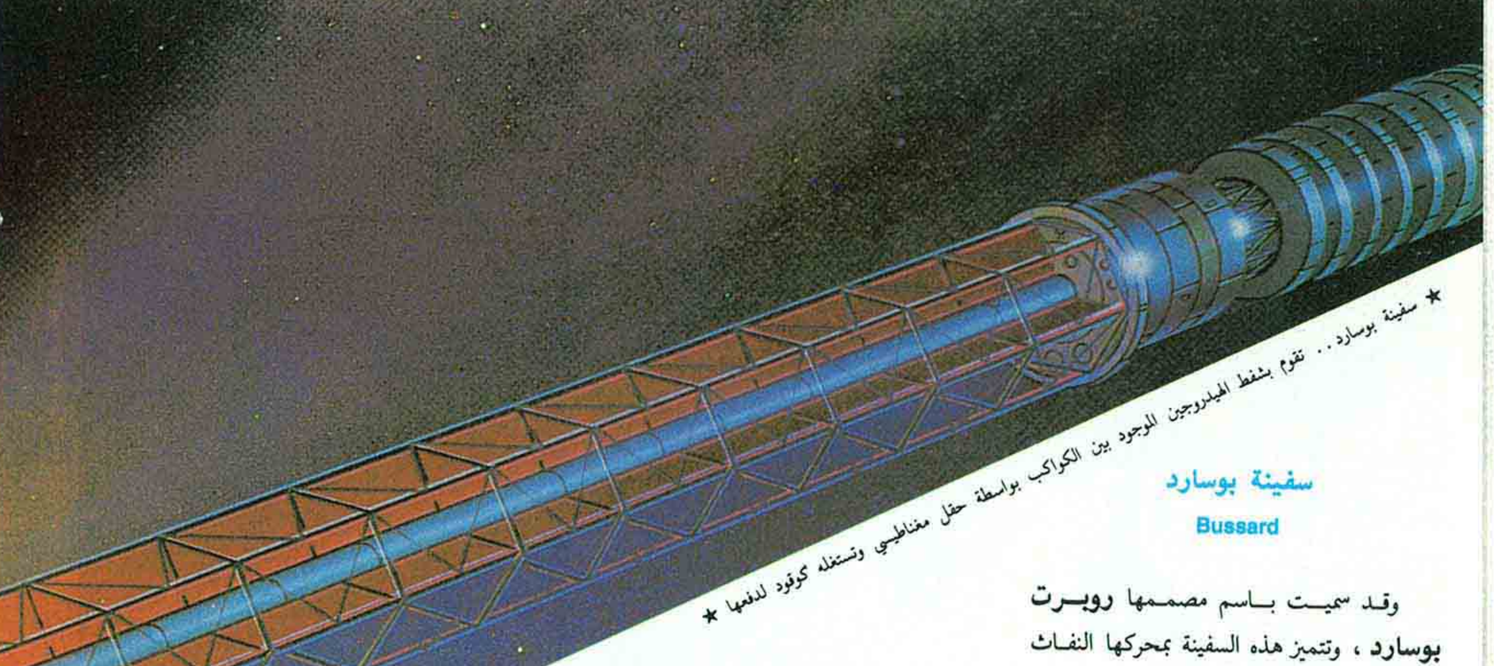
★ أحد التصاميم المستقبلية لعابرات المجرات ★

يُطلق عليه اسم « **الزجاجة المغناطيسية** » ، أما الوقود فسيتم تخزينه في خزان كروي هائل الأبعاد في مقدمة السفينة ، بحيث يقوم بمهمة درع وقاية للسفينة أيضاً (انظر الصورة) . وتتكون بقية السفينة من ثلاثة أجسام أسطوانية الشكل متصلة بالتعاقب في أسفل الخزان ، ويبلغ طول كل منها مائة ياردة ، وقطرها مائة ياردة أيضاً ، وسوف يتم تقسيم كل منها إلى عشرين طابقاً ، يحتوي كل طابق على مائة غرفة ، ولمساعدة طاقم المستعمرة على الحفاظ على توازنهم ، سيتم عمل **جاذبية اصطناعية** فيها . وقد اقترح المصمم أن تقتصر الجاذبية على أسطوانة واحدة فقط تسمى منطقة « الجاذبية » يلجأ إليها السكان بالتعاقب بين فترة وأخرى ليعيشوا فيها حياتهم العادية التي اعتادوها على الأرض .

وسوف تعتمد السفينة على **٢٤** ماكينة ضخمة من شأنها أن تجعل سرعة السفينة تبلغ تسعة بالمائة من سرعة الضوء (أي حوالي ٢٧ ألف كيلومتر في الثانية) ، وهذا يعني أنه سيكون بالإمكان الوصول إلى النجم « ألفا سنتوري » بعد ستين عاماً .

مضاد المادة

وهناك نظام دفع Propulsion System أول من اقترحه عالم الفضاء الألماني **يوجين سانغر** Eugen Sanger عام ١٩٥٣ م ، ويُعرف باسم « **الصاروخ المضاد للمادة** » Antimatter Rocket ، وفي هذا النظام ، سيتم الجمع بين المادة وبين مضادها ، فإذا اختلطا بكاملهما فإنهما يبيدان بعضهما البعض ، ويتحولان مباشرة إلى طاقة .. قد يبدو ذلك سهلاً إلى أن نتبين شيئاً واحداً وهو أنه لا وجود « لمضاد المادة » على الأرض أو في أي مكان آخر في الكون ، وإلا لاختفى العالم منذ مدة طويلة . لذلك فإن الخطوة الأولى في هذا المجال هي عملية تصنيع مضاد المادة . وهي عملية ليست سهلة ، إذ إنها بدورها تستهلك كثيراً من الطاقة ولكنها ليست مستحيلة . والصاروخ المضاد للمادة سوف يستعمل **البروتون** Proton **ومضاد البروتون** Anti Proton ، وهذا الخليط سينتج ملايين من الجزيئات المشحونة بالطاقة يُطلق عليها العلماء اسم « **بيونات** » Pions ، التي سوف يتم توجيهها بواسطة مجال مغناطيسي ضخم في قناة هائلة في مؤخرة السفينة حيث تنطلق بسرعة الضوء دافعة السفينة في الاتجاه المعاكس . والطاقة الناتجة يطلق عليها العلم اسم « **الطاقة الماحقة** » Annihilation Energy ... والأبحاث ما زالت مستمرة منذ عام ١٩٧٥ م ، إلى الآن لإنتاج مضاد المادة في **سيرن CERN بالقرب من جنيف بسويسرا** ، وفي مختبر « **فيرمي** » Fermi Lab بولاية **إللينوي** Illinois الأمريكية .. وتتلخص عملية إنتاج مضاد المادة بتسريع **البروتونات** إلى سرعة قريبة من سرعة الضوء داخل أحد « **مسارعات الجزيئات** » Particle Accelerator ، ثم جعلها ترتطم بهدف معين فتكون النتيجة إنتاج مضاد المادة . ولإنتاج جُسيم واحد من جسيمات مضاد المادة ، فإنه يلزم تحطيم مليون بروتون .



★ سفينة بوسارد .. تقوم بشفط الهيدروجين الموجود بين الكواكب بواسطة حقل مغناطيسي وتستغله كوقود لدفعها ★

سفينة بوسارد
Bussard

وقد سميت باسم مصممها **روبرت بوسارد**، وتتميز هذه السفينة بمحركها النفاث التضاغطي Ramjet .. وتختلف تلك السفينة عن بقية مركبات الفضاء الأخرى بأنها لن تحمل وقوداً من الأرض .. وستقوم برحلاتها بين المجرات ولأي مسافة دون خشية نفاد الوقود، إذ إنها ستتزود بوقودها على طول طريق سفرها وذلك بشفط **الهيدروجين** الموجود بين النجوم والكواكب واستخدامه في **التفاعلات الانشطارية** Fission Reactions لإنتاج الطاقة اللازمة .. وسوف تصل سرعتها إلى جزء كبير من سرعة الضوء (ملحوظة: الوصول إلى سرعة الضوء نفسها مستحيل تماماً نظرياً وعملياً).

ويبلغ طول سفينة بوسارد كيلومترين .. وهي تشبه البرج في تركيبها .. وسوف يتم إطلاق السفينة من محطتها الأرضية بواسطة محرك من طراز محركات السفينة ديدالوس .. وستبلغ سرعتها المبدئية واحد بالمائة من سرعة الضوء، ثم يتم بعد ذلك تشغيل محركها **التضاغطي** لتبلغ سرعتها القصوى.

لقد أخذت فكرة السفر إلى المجرات والنجوم بسرعة تضاهي سرعة الضوء خيال كثير من العلماء ومنهم الفيزيائي **روبرت فوروارد** R. Forward، إذ أخذته أفكاره خطوة أخرى أكثر جموحاً من بوسارد .. فبالإضافة إلى عدم حمل وقود على متنها؛ فإن سفينته لا محرك لها .. ولكن كيف سيتسنى لصنيعته المقترحة تلك فرصة السفر دون محرك أو وقود .. يقول فوروارد: «إن السفينة بعد أن يتم بناؤها في مدار قريب من الأرض، سيتم توجيه شعاع مكثف من أشعة الليزر القوية يتم توليده في محطة فضائية صغيرة من الطاقة الشمسية إلى «شراع» Sail خاص هائل الحجم فوق السفينة».

وهذا الشراع عبارة عن نسيج قوي من الألمنيوم الرقيق به بلايين الثقوب الميكروسكوبية التي يبلغ اتساع كل منها مسافة أقل من طول موجة شعاع الليزر، وهذا من شأنه أن يقلل من كتلة الشراع، بينما يحافظ على قوة السطح العاكس .. ونظراً فإن بإمكان هذه السفينة المتزودة بهذا النوع من الطاقة أن تصل إلى نصف سرعة الضوء (أي ١٥٠ ألف كيلومتر في الثانية) ... وتُجرى الأبحاث حالياً على قدم وساق لتطوير الشراع .. وقد بدأ التجريب المعملي لبعض الأشرعة الشمسية، ومن المقرر أن تتم تجربة الشراع عام ١٩٨٥ م، أو العام الذي يليه على الأكثر حسب مخطط الشركة المنتجة (World Space Foundation)، وسوف يُطلق الشراع إلى الفضاء بواسطة الصاروخ الفرنسي «**أريان**» أو بواسطة مكوك الفضاء، فبعد وصول المكوك إلى ارتفاع ٢٥٠ ميلاً سيقوم الروّاد بإطلاق الشراع إلى ارتفاع يبلغ ٢٠٠ ألف ميل، حيث يتخذ مداراً له حول الشمس .. وسوف تصل سرعة الشراع إلى عشرين ألف ميل في الساعة نتيجة ارتطام **الفوتونات الضوئية** Photons على سطحه الذي يبلغ نصف مساحة ملعب لكرة القدم ووزنه الذي يبلغ ٤٥٠ رطلاً.

إن رحلات النجوم تحتاج من مائة إلى مليون مرة من الطاقة الانشطارية أكثر مما نستطيع إنتاجه الآن على ظهر الأرض، لكن الأبحاث في هذا المجال واعدة وخاصة تلك التي تُجرى في مفاعل «**توكاماك**» Tokamak Reactor التجريبي بجامعة **برينستون** الأميركية، والتي بدأت في نهاية عام ١٩٨٢ م، كما تم إنفاق بليون دولار تقريباً على أبحاث الوقود الانشطاري الذي يتم إشعاله بشعاع الليزر في مفاعل **لوس ألاموس**، وفي مختبر **ليفرمور** القومي لأبحاث الفضاء. وقد بلغ الاستثمار حتى نهاية العام الماضي في أبحاث صاروخ **الديتيريوم** الذي سيتم استغلاله في سفينة إنزمان السابقة الذكر، حوالي عشرة بلايين دولار.

تقول أساطير القدماء

«عندما أعد المخترع الإغريقي القديم «**ديدالوس**» نفسه للهرب من جزيرة كريت



حيث سجنه الملك « مينوس » Minos ، صنع لنفسه جناحين من ريش الطيور ، ومثلهما لابنه « إيكاروس » Icarus ولصقهما في ذراعيه بواسطة الشمع . وقد تمكن إيكاروس من الهرب والطيران بعيداً حتى وصل بالقرب من الشمس ، فانصهر الشمع وسقطت الأجنحة وسقط معها إلى حتفه ، أما ديدالوس فأخذ طريقه بعيداً عن الشمس فتمكن من الوصول إلى بر الأمان في جزيرة صقلية » . .
ولا يغيب عن ذهني ذكر فارسنا العربي في هذا المضمار ، ألا وهو عباس بن فرناس ، إذ إنه بعد أن صعد إلى المئذنة بجناحيه ، نسي أن يصنع لنفسه ذيلاً ، فهبط إلى الأرض صريعاً .

إن حلم الإنسان في الوصول إلى النجوم ساوره منذ بدء الخليقة ، وما زال يساوره حتى الآن . . ولن تمر القرون القادمة إلا وقد حقق الإنسان حلمه الأبدي برحلة إلى النجوم .

المراجع

1 – Freeman J. Dyson; Interstellar Transport, Physics Today, 41 – 45 (Oct. 1968).

2 – Frederick Durant III; Spacecraft.. Dream Rocket. Science Digest, Vol. 90 No 5 (1982).

3 – Rick Sternback: Journey to The Stars. Science Digest, Vol. 91 No 5 (1983).

4 – Robert Forward: A Program For Interstellar Exploration... J. Of British Interplanetary Soc. Vol. 29, PP 611 – 632 (1976).

5 – T.A. Heppenheimer, Starship makers, Omni. Vol. 5 No 7 (April 1983).

طب Medicine

زرع قلب صناعي ثانٍ : (يوتاه Utah) :

موت (بارني كلارك) في شهر مارس (آذار) الماضي الذي كان أول من زرع له قلب صناعي لم يكن بسبب فشل القلب الصناعي في أداء مهمته ولكن بسبب ضعف بقية أعضاء جسمه الأخرى وفشلها في عملها، وهذا ما حثّ فريق أطباء جامعة (يوتاه) الذين زرعوا القلب الصناعي الأول لإعادة طلب الإذن من إدارة الجامعة لتسمح لهم بإجراء عملية ثانية لزرع هذا القلب الصناعي لمريض آخر مع بذل المزيد من العناية والدّقة خاصة وأنهم قد اكتسبوا خبرات جديدة من عملية الزرع الأولى، ومع التأكيد على ضرورة إجراء عملية الزرع الجديدة لمريض حالته الصحية



أفضل وعنده فرصة أفضل للحياة من (بارني كلارك) المنهك الذي كان قد بقيت له عدّة ساعات ليموت عندما أجريت له عملية الزرع، وكانت لجنة أطباء الجامعة (البورد) قد أوصت بالتخلّي عن مهلة الثمانية أسابيع التي كان الأطبّاء الجرّاحون ينتظرونها حتى يجروا العملية بعد أن يُختار المريض المرشح لهذه العملية، وبهذا القرار ربّما لن تتدهور صحة المريض الجديد أكثر مثلما حصل مع (بارني كلارك).

أول طفل يولد من جنين مجمّد : ملبورن (أستراليا) :

قد يبدو مولد الطفلة (زوي ليلاند Zœ Leyland) في مركز التخصيب في مدينة ملبورن (أستراليا) كمولد أيّ طفل يجيء إلى الحياة، إلا أن هذه الولادة لم تكن في الحقيقة ولادة طبيعية كملايين الولادات التي تحصل في عالمنا، ذلك أن الطفلة (زوي) هي أول طفل في العالم تولد من جنين مجمّد frozen embryo كان قد جمّد مباشرة بعد التخصيب.

وكان الأطباء في جامعة (موناش Monash) الذين كانوا يعالجون أم الطفلة (زوي) قد انتزعوا عدّة بيوض من مبيض الأم ثم لقّحوها بحيوانات منوية من زوجها، ثم بعد أن بدأت البيوض المخصّبة fertilized



eggs التي ستكوّن الجنين انقساماتها الأولية، أخذت ووضعت في أنابيب اختبار، ثم غُمرت في سائل من النيتروجين في درجة حرارة (- ٣٢٠°) فهرنهايتية بحيث تتجمّد في درجة الحرارة المنخفضة جداً هذه، فيتوقف نشاطها ولكن لا تبطل قدرتها على معاودة الانقسام والنمو مرة أخرى، متى تمّ زرعها في رحم الامرأة العاقر التي تريد الإنجاب - تراجع (اكتشافات

علم الأحياء المجهري Microbiology

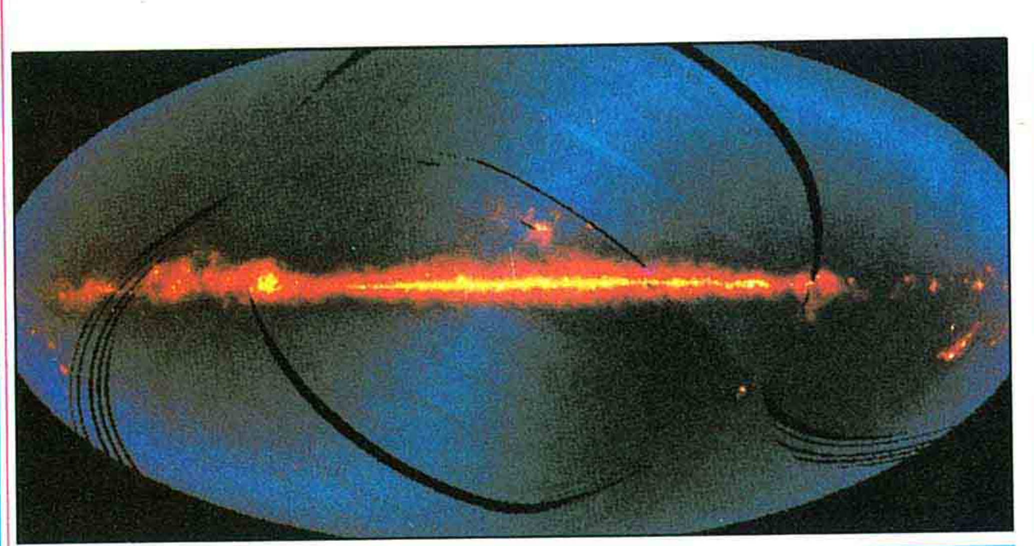
أول بكتير (جرثوم) على الأرض يبلغ عمره ألفي مليون عام :

ظل ألفا مليون عام مختفياً عن الأنظار ولم يعلن عن نفسه إلا أخيراً، فقد اكتشف عالم الأحياء الدقيقة Microbiologist في الجامعة الهندية (هاوارد جيست) ومساعده في المختبر (جيفري فافينجر) جرثوم (بكتير Bacterium) يُعتقد بأنه من أول المخلوقات (الأحياء) على الأرض التي استخدمت الاصطناع الضوئي Photo-synthesis، وهي العمليات التي تحوّل بها النباتات وبعض أنواع البكتريا Bacteria الأخرى ضوء الشمس إلى طاقة تستفيد منها في عملياتها الحيوية.

ومثل بعض أنواع البكتريا فإن البكتير الجديد heliobac-terium ينمو بدون الأكسجين، ويقول العالم (جيست) وعالم الكيمياء الحيوية من جامعة ماساشوستس (ر.س. فولر) إن هذا البكتير يحوّل ضوء الشمس إلى طاقة ولكن بطريقة بدائية جداً، وإن تركيب الكلوروفيل chlorophyll (المادة الخضراء الملوّنة في النبات) فيه يختلف تماماً عن الأشكال الستّة المعروفة سابقاً للكلوروفيل، وإن خلاياه لا تحتوي على تراكيب داخلية لتخزين أو حتى استخدام المواد الكيميائية كما تفعل جميع النباتات وبكتريا الاصطناع الضوئي الأخرى، وأيضاً فإن خلاياه غير محدّدة ممّا يسمح لأكسجين أقل بكثير للمرور إليها بالنسبة لخلايا

علمية) ـ مجلة « الفيصل » ـ العدد (٧٨) ـ ، وبعد أن يئس الأطباء من إمكانية حمل الأم طبيعياً ، أذابوا الأجنّة المجمّدة بعملية تدفئة تدريجية ، ثم قاموا بزرع ثلاثة منها في رحمها بأمل أن يكمل أحدها نموّه طبيعياً . .

وفعلاً عاود أحد الأجنّة انقساماته ونما في الرحم ليصير بعدها مولوداً كاملاً يولد بعملية قيصرية كطفلة خديج قبل أربعة أسابيع من تمام مدة الحمل الطبيعية ، ولتكون ولادتها خطوة خطيرة يخطوها العلم باتجاه المجهول .



كون Cosmos

أول خريطة للسماء بالأشعة تحت الحمراء : (كاليفورنيا) : California

استطاع **القمر الصناعي (إيرّاس IRAS)** الذي يعمل **بالأشعة تحت الحمراء infrared** خلال مدّة حياته القصيرة التي قضاها في الفضاء والتي بلغت عشرة أشهر فقط أن يجري أول مسح شامل للسماء بكل أجرامها بالأشعة تحت الحمراء بواسطة أجهزة رصد وكشافات حسّاسة جداً تجاه أيّ منبع حراري مهما كان بعيداً عنها ، ولأن كل شيء في الكون لا بدّ أن يشعّ منه ولو القليل من هذا الإشعاع الحراري ، وبعد أن حلّلتها كومبيوترات مختبرات (جت بروبولجن) في كاليفورنيا ، واللون الأحمر الذي نراه في الصورة هو للمناطق الحارّة جداً ، واللون الأزرق والأبيض للمناطق الأبرد نسبياً على طول الخط المركزي لمجرّة **درب التبّانة Milky Way** الذي نراه في وسط الصورة كشريط أفقيّ متوهّج تنتشر فيه سحب الغبار الكوني والنجوم المتوهّجة الحارّة الشابّة ، والخطوط المائلة إلى البياض التي تعبر هذا الشريط هي الحرارة الضعيفة التي تنبعث من الغبار الكوني في أواسط مجموعتنا الشمسية .



المتمضّيات اللاهوائية anaerobes التي تحيا بدون أكسجين ، وتركيب البكتير الجديد بسيط إلى أقصى حد ، وسوف نتوقّع بأنّه ربّما كان البكتريا البدائية الأولى التي تطوّرت في الغلاف الجوي القريب من الأرض الذي كان خالياً من الأكسجين عندما كانت الأرض بدائية منذ آلاف الملايين من السنين ، والدراسات الكثيرة التي ستتمّ عن هذا البكتير الجديد يمكن أن تؤكّد ما إذا كان محتملاً أن يكون هو السلف الأول لمصطنعات الضوء الأخرى من النباتات والبكتريا ، ويمكن أن تقدّم ، وهذا هو الأهم ، مفاتيح أسرار عملية الانتقال للغلاف الجوّي الأرضي الذي صار غنياً بالأكسجين وخلق ظروف الحياة المناسبة لجميع أشكال الحياة على الأرض منذ آلاف الملايين من السنين ، ونشاهد في الصورة البكتير الجديد بعد تكبيره بالمجهر الإلكتروني .



اللوحة: رؤية للتراث

● في اللوحة المعروضة يدعو الفنان إلى رؤية التراث، أو إلى إعادة النظر في رؤية التراث وإلقاء الضوء عليه... لما يزخر به من إبداعات فنية. ويركز الفنان في تصويره على الإبداعات الفنية الفطرية التي تزخر بها بيئة الفنان، ويخشى عليها من الانقراض نتيجة زحف الحضارة الحديثة التي تترك بصماتها على كل شيء ومنها العمارة، والديكور، والأزياء، والحلي، والصناعات التقليدية، والأدوات المستخدمة في الحياة اليومية، والأجهزة.. وخلافه.. فبدأت الأشكال الجمالية الفطرية في الاختفاء.

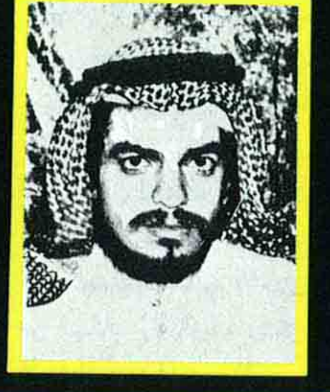
● التكوين في اللوحة عبارة عن شكل عام يمتد رأسياً بين أسفل وأعلى اللوحة.. أي أن التشكيل الأساسي في إطار البعدين.. إلا أن العناصر الداخلية تتضمن الأبعاد الثلاثة أي لها أشكال مجسمة «فورم».. والشكل هو عبارة عن وجه لامرأة لا يظهر منها إلا العينين، والجبهة مغطاة بأشكال معدنية متدلاة «أشكال قلوب».. والمرأة في اللوحة ترتدي «الشيلة» و«البرقع» أي الزي المستخدم في الماضي، الذي لا يزال يستخدمه البدو في الصحراء.

● صوّر الفنان امرأة ترتدي البرقع تتدلى منه دوائر معدنية.. والبرقع على شكل باب خشبي قديم من الأبواب المستخدمة في المنازل القديمة للبيئة السعودية المتضمنة زخارف شعبية، التي تشكل قطع الخشب فيها «القواطع العرضية والمائلة» أشكالا جمالية فطرية.. فمزج الفنان بين الزي الشعبي، والحلي، والباب الخشبي، أي العناصر المستمدة من البيئة المحلية، للتعبير عن موضوع ومضمون اللوحة.

● اللوحة ذات هارموني لوني تغلب عليه الألوان الدافئة. فلقد استخدم درجات من البني والبرتقالي والأصفر وهي الألوان المستخدمة بكثرة في بيئة الفنان، كما استخدم اللون الأزرق في الحلي المعدنية ليحقق توازناً لونياً مع الألوان الدافئة.. كما حقق هارمونياً خطياً عن طريق العلاقة بين الخطوط الأفقية والرأسية التي كان لها أكبر الأثر في تحقيق الاتزان في اللوحة وقوتها ورسوخها من الناحية البنائية.

**

الفنان: ناصر محمد العقيل



● ولد في شقراء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٩هـ.

● حصل على بكالوريوس في الفنون الجميلة.

● بدأ حياته الفنية في فترة مبكرة.

● عضو فني بنادي الوشم.

● أقام معرضاً شخصياً لأعماله الفنية، واشترك في العديد من معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض.. كما اشترك في معظم معارض نادي الوشم ومكتب رعاية الشباب بالمنطقة الوسطى.. واشترك في عدد من المسابقات التي أقامتها دار الفنون السعودية.

● حصل على عدة جوائز مادية وعينية وشهادات تقدير.

● له مقتنيات فنية.







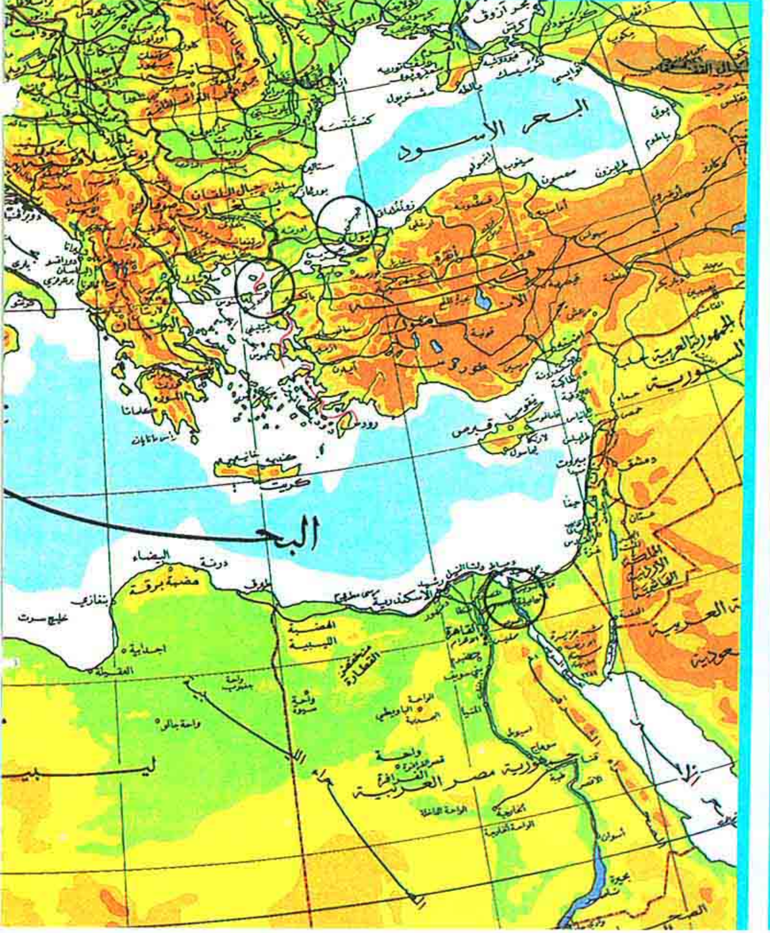
المضائق في العالم

** ممرات الملاحة الدولية

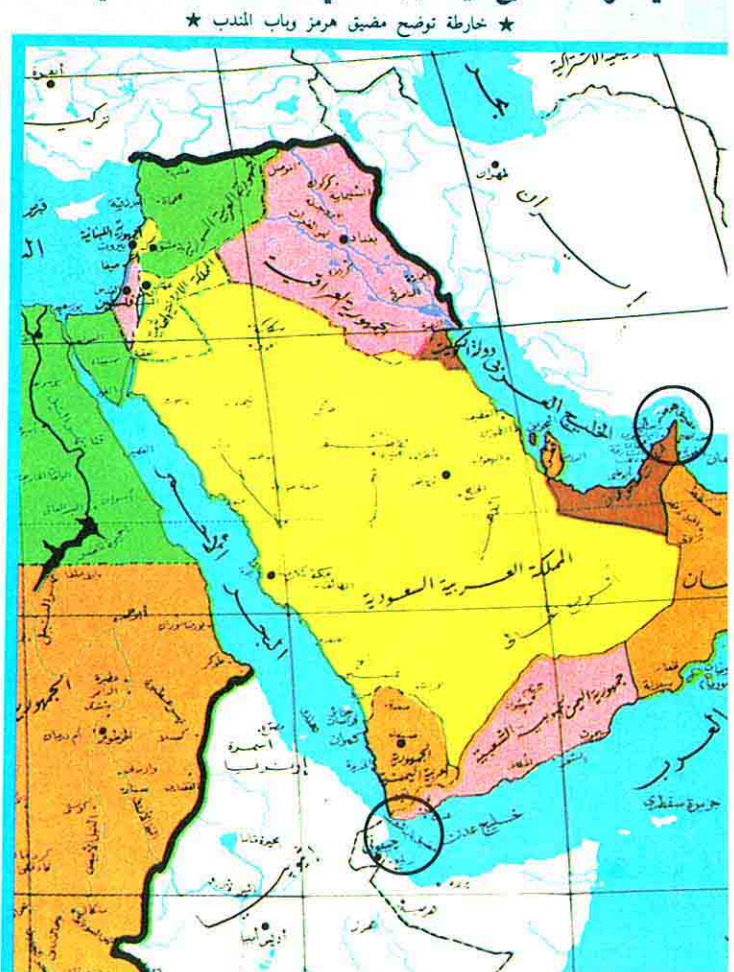
بقلم: د. مظفر شعبان

بعد بداية عصر الفضاء، وبعد أن تمت مراقبة الأرض من الفضاء الخارجي، اصطلح على تسمية كوكبنا باسم «الكوكب الأزرق»، وذلك لأن المساحات المائية الزرقاء تغطي أكثر من ٧٠٪ من سطحه. ومع أن هذه المحيطات عرفت باسم «البحار السبعة» إلا أنه تبيَّن مؤخراً أن هناك محيطاً واحداً تسبح فيه اليابسة التي تتألف بشكل رئيسي من جزيرتين هائلتين أطلق عليهما اسم «العالم القديم» و «العالم الجديد».

ومع أن العالم القديم ـ مثلاً ـ عبارة عن جزيرة ضخمة متصلة مع بعضها، إلا أن ذلك لم يمنع علماء الجغرافيا من تقسيم هذه الجزيرة إلى ثلاثة أجزاء (قارات) عرفت باسم «آسيا»، و «إفريقيا»، و «أوروبا». وقد اتبع في هذا



★ خارطة توضح مضيق هرمز وباب المندب ★



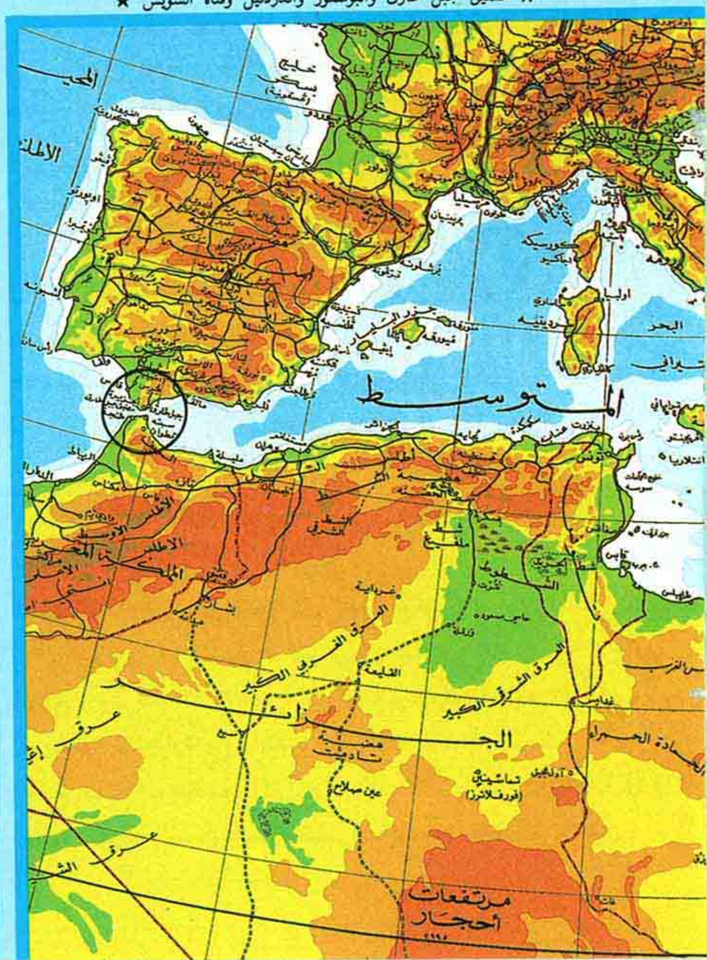


★ الناقلة اليابانية العملاقة «غلوبتيك طوكيو» التي تبلغ حمولتها ٤٨٤ ألف طن وهي أكبر ناقلة في العالم ★

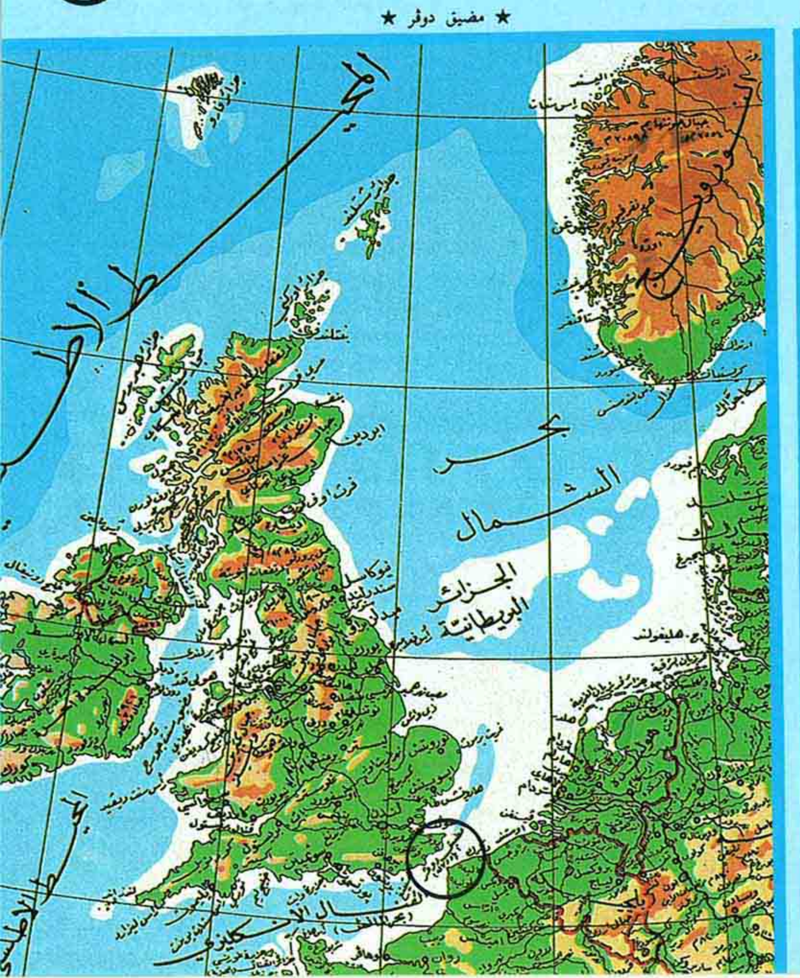
التقسيم وجود تمايز محدد بين الأجزاء المختلفة . فإفريقيا ـ مثلاً ـ تكاد تكون منفصلة عن آسيا وأوروبا ، إذ إنها محاطة بالبحار من كل أطرافها باستثناء اتصال لليابسة طوله حوالي ١٥٠ كم هو قناة السويس المعروفة . وقد تم تقسيم « العالم الجديد » أيضاً حسب المبدأ ذاته وبذلك ظهرت ثلاث قارات جديدة هي « أميريكا الشمالية » ، و « أميريكا الجنوبية » ، و « أستراليا » .



★ مضيق جبل طارق والبوسفور والدردنيل وقناة السويس ★



★ مضيق دوفر ★





★ ناقلة النفط السويدية العملاقة « شي سكاب »
التي تبلغ حمولتها ٣٥٦ ألف طن ★

ويلاحظ أن اليابسة تتضايق كثيراً في بعض المناطق (كما في **بناما والسويس**) وقد تترك ممراً بحرياً ضيقاً كما في **جبل طارق ومضيق هرمز وباب المندب**. وهذه المضائق تشكل عصب التجارة العالمية الحساس وهي التي تعنينا هنا بالدرجة الأولى.

ونبادر على الفور إلى القول إن المزايا الاستراتيجية لهذه المضائق تجعلها عرضة لأطماع الطامعين. وعلى مدى التاريخ، كان السعي للسيطرة على هذه المناطق الحيوية محوراً لكثير من الحروب والصراعات الدولية.

و « المضائق » هي سلسلة معقدة من العلاقات الاقتصادية والدولية بما في ذلك الطمع والجشع والتسلط. وفي مواجهة ذلك نجد الشعور الوطني لأبناء الدول التي تقع هذه المضائق في أراضيها. وبين هذه وتلك نجد حقائق أساسية لا بد لنا من معرفتها وهي هدفنا من هذه المقالة.

لمحة تاريخية

منذ القديم كانت التجارة تسير جنباً إلى جنب مع المدنية. فالمدنية في خطواتها الأولى كانت معتمدة على توفر المواد الضرورية كالمعادن والخامات التي كانت تُنقل عَبْرَ مسافات بعيدة. وأطوار المدنية الأولى التي أُطلق عليها اسم « **العصر البرونزي** »، أو « **العصر الحديدي** » كانت معتمدة على مواد موجودة فقط في أماكن محددة من العالم، وكانت تنقل منها إلى سائر الدول. وقد ارتبط تاريخ التجارة بشكل وثيق مع تطور أساليب النقل والمواصلات. وقد اعتمد النقل البعيد في البداية على الطرق عَبْرَ الصحراء، حيث كانت تسير قوافل الرجال والجمال المحمَّلة، علماً بأن هذه الطريقة في النقل بقيت سائدة قروناً عديدة إلى أن تم استبدالها بالنقل عَبْرَ البحار.

كان **الفينيقيون** أول من استفاد من النقل البحري، إذ كانوا ينقلون بضائعهم من قواعدهم على الشاطئ السوري إلى **قبرص ورودس**، ثم شيئاً فشيئاً إلى غربي **البحر الأبيض المتوسط**. بعدهم ازدهرت التجارة اليونانية بعد أن فتحت حروب **الإسكندر الأكبر** طريق التجارة البعيدة إلى قلب آسيا.

أثناء **الحكم الروماني** استمرت التجارة في الطريق الذي رسمه اليونانيون. كانت القوافل الرئيسية القادمة من الشرق تنتهي عند **أنطاكية**، ومنها كانت تنقل البضائع (التوابل، الأدوية، الحرير وغيرها من مستلزمات الرفاهية) بواسطة البحر إلى جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط.

خلال **القرون الوسطى** ازدهرت المدن الإيطالية ـ وبشكل خاص **البندقية** ـ وانتعشت بتأثير التجارة التي تحولت إليها بعد سقوط **القسطنطينية**.

منذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، بدأ أسطول السفن في الحركة باتجاه غرب المتوسط ومنه عَبْرَ مضيق جبل طارق إلى الدول الأوروبية ومنها **هولندا، بلجيكا، أو بريطانيا**.

في القرن الخامس عشر الميلادي، أدى ظهور **الأساطيل العثمانية** إلى انحسار نفوذ البندقية التي خسرت كثيراً من مواقعها بعد أن هزمت في عدة حروب في مواجهة الأسطول العثماني وهكذا بدأ البحث عن طريق آخر لتوفير الكماليات القادمة من الشرق.

في عام ١٤٩٨ م، نجح **فاسكو دي جاما** في الوصول إلى **كلكتا (الهند)** عن طريق **رأس الرجاء الصالح**. وفي الوقت ذاته تقريباً كان **كولومبس** يبغي الوصول إلى الهند عن طريق الإبحار نحو الغرب، فاكتشف عالماً جديداً في طريقه. وقد كتب لهذين الاكتشافين أن يحدثا ثورة في عالم التجارة، إلا أن نتائجهما لم تكن آنية ولم تظهر إلا بعد حين.

سعى البرتغاليون إلى السيطرة على طرق تجارة الهند المعروفة آنذاك عَبْرَ إفريقيا، والبحر الأحمر، والخليج العربي، وفي العقد الأخير من **القرن السادس عشر الميلادي**، حوَّل الإنجليز والهولنديون اهتمامهم من البحث عن الممر الشمالي ـ الغربي نحو الهند إلى طريق رأس الرجاء الصالح. وفي عام ١٨١٣ م، انتهى احتكار **شركة الهند الشرقية البريطانية للتجارة مع الهند**، وتجدَّد التسابق والتنافس من جديد وأصبح عنصر السرعة مهماً أكثر. وقد أدت التطورات التكنولوجية في **أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين**،



★ خارطة توضح أهمية قناة بناما بالنسبة للملاحة الأميركية ★



★ لوحة لسفن فينيقية عبرت مضيق جبل طارق ★

وعلى الأخص ترويض طاقة البخار وبناء السفن الحديدية والفولاذية إلى ظهور الأساطيل التجارية بمعناها المعروف حالياً .

في عام ١٨٦٩ م ، تم افتتاح قناة السويس ، مما أدى إلى تقصير طريق السفر إلى الهند بمقدار ٥٦٠٠ كم ، فأعطى التجارة الدولية دفعة جديدة . وفي عام ١٩١٤ م ، افتتحت قناة بناما وكان لها دور مماثل لدور قناة السويس على طريق التجارة العالمية .

بين الحربين العالميتين ارتفع حجم التجارة البحرية ، وخلال تلك الفترة حدثت تطورات تكنولوجية هامة منها **الانتقال من الفحم الحجري إلى النفط**، كما تم استعمال محركات الديزل لقيادة السفن بينما استعملت العنفات البخارية من أجل الرحلات الطويلة .

بعد **الحرب العالمية الثانية** ، تعرضت صناعة السفن إلى تغيّرات جذرية أدت إلى تطورات تكنولوجية سريعة أدت بالتالي إلى إنشاء سفن « اختصاصية » لنقل شحنات نموذجية . وقد تطورت التجارة العالمية ، كما تغيَّرت خطوط الشحن بحيث تلبي المتطلبات الجديدة . ولعل أهم التغيّرات الطارئة هي الخطوات التي تمت باتجاه بناء سفن خاصة لنقل بضائع معيّنة دون غيرها . وفي عام ١٩٧٤ م ، شكَّل **النفط** حوالي ٤٥ ٪ من التجارة البحرية العالمية . كما أن **الحديد والفحم والحبوب** احتلت نسبة كبيرة أخرى من السلع المنقولة ، علماً أن النفط كان ينقل بشكل رئيسي من منطقة الخليج العربي إلى ثلاث مناطق أساسية في العالم : أميركا الشمالية ، وأوروبا الغربية ، واليابان .

قوانين الملاحة الدولية

بالإضافة إلى صيد الأسماك ، يعتبر النقل البحري أقدم استخدامات البحر ، إذ إن حوالي ٩٥ ٪ من مجمل التجارة العالمية يتم نقله بحراً .

تنص الحقوق البحرية التقليدية على إمكانية استخدام المياه الإقليمية من قبل سفن الدول الأخرى ــ وحتى الحربية منها ــ ما دامت لا تسيء إلى هذه الدول أو تمثل خطراً عليها . لكن مرور الغواصات يجب أن يتم فوق سطح البحر . ولم يغيِّر **المؤتمر الثالث للأمم المتحدة حول « قانون البحار »** هذه القوانين بصورة هامة .

على الصعيد العالمي ، تشير الإحصائيات أنه إذا تم توسيع المياه الإقليمية للدول إلى ١٢ ميلاً فإن ١٢٠ مضيقاً ستصبح كلياً ــ أو كلياً تقريباً ــ تحت تصرف الدول المجاورة لها ، خصوصاً وإن كثيراً منها ــ مثل مضيق **دوفر ، جبل طارق ، باب المندب ، هرمز ، ملقا** ــ تتميَّز بأهمية تجارية واستراتيجية كبيرة جداً . لذلك لم تنظر الدول العظمى بعين الرضا إلى تقييد حرية الملاحة وإلى مطالبة الدول الأخرى بممارسة

حقوقها في مياهها الإقليمية ومضائقها . كما أن الدول العظمى لم ترتح مطلقاً إلى ضرورة كشف غواصاتها أثناء عبورها في الممرات والمعابر الدولية . كذلك تتخوّف الدول العظمى من تعنت بعض الدول الساحلية في السماح بمرور السفن الحربية أو ناقلات النفط أو البواخر الأخرى . لذا فقد اقترحت **الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي** السماح بمرور السفن عَبْرَ جميع المضائق في العالم ، ولم يلق هذا الاقتراح معارضة تذكر من قبل الدول الأخرى .

في الفترة الواقعة بين ١٩٥٥ و ١٩٧٥ م ، تزايدت كمية البضائع المشحونة بحراً ثلاث مرات ، مما أدى إلى مزيد من الحوادث في أكثر المسالك حركة : ففي مضيق دوفر مثلاً تمر قرابة ٥٠٠ سفينة يومياً . كذلك فقد ازداد حجم السفن العاملة في الأسطول التجاري . ففي أواسط الستينات كانت أكبر ناقلة نفط بحمولة ١٠٠ ألف طن ، وفي أواخر السبعينات أصبحت السفن الناقلة للنفط التي تزيد حمولتها عن ٢٠٠ ألف طن أمراً مألوفاً جداً ، وأكبرها تقارب حمولة ٢/١ مليون طن . ومع زيادة الحجم قلَّت إمكانية المناورة ، فناقلة نفط عملاقة تسير بسرعتها العادية تحتاج أميالا عديدة حتى تتوقف بشكل كامل . ويجب أن لا ننسى أن السفن الآن تنقل مواداً أكثر خطورة : النفط ، الغاز الطبيعي ، كيماويات سامة ، بحيث يؤدي أي حادث تصادم أو انسكاب إلى كارثة عالمية .

ثمة عامل مزعج آخر هو الانتشار السريع ـ منذ الحرب العالمية الثانية ـ لأعلام الدول التي تتقاضى ضرائب منخفضة ، والتي لا يربطها بمالكي السفن الحقيقيين أي رابط ، من أشهر هذه الأعلام : **علم ليبيريا** (لديها أكبر أسطول بحري في العالم) ، بناما ، هندوراس . ومن مساوئ عدم سيطرة هذه الدول على أساطيلها ، صعوبة التأكد من جودة طاقمها . وهذا ما أدى إلى حادثة السفينة الليبرية « توري كانيون » فكانت الكارثة أمام السواحل البريطانية في عام ١٩٦٧ م . ويلاحظ أن نسبة الحوادث إلى عدد السفن لمثل هذه الأعلام أعلى من غيرها .

في السنوات الأخيرة تم تأسيس منظمة فرعية تابعة للأمم المتحدة هي (**المنظمة الدولية الاستشارية لأعمال البحار IMCO**) وهي تحاول جاهدة فرض بعض النظام في خطوط الملاحة الدولية . ومن أهم إنجازاتها تحديد أكثر من ٧٠ قاعدة لفصل طرق الملاحة إلى خطوط ذات « اتجاه واحد » . وقد أصابت هذه المنظمة بعض النجاح ، فالدول التي تلتزم بهذه المعاهدة تنقل حوالي ٧٠٪ من التجارة العالمية (حسب إحصائيات ١٩٦٧ م) . وقد استفادت المنظمة المذكورة لتنظيم الملاحة من تجربة مضيق دوفر فعمدت إلى استخدام الرادارات والحوامات للتعرف على هوية السفينة المخالفة .

إن نظرة فاحصة إلى خريطة الأرض تُبيِّن أن كوكبنا الأرضي يغص بالمضائق الطبيعية والصنعية . فالجزر الصغيرة والكبيرة متناثرة هنا وهناك ومنها ما هو جاثم على طريق الملاحة الدولية ومنها ما هو بعيد عنها . ومما لا شك فيه أن المضائق تكتسب أهميتها من مواقعها الاستراتيجية ومن وجودها على طريق الملاحة الدولية ، فهي تقدم المؤونة للأساطيل التجارية والحربية ، ويمكنها ـ عند اللزوم ـ إغلاق الملاحة بأسرها .

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقول إن محور السياسة الاستعمارية في القرون الأربعة الماضية كان السعي إلى السيطرة على طريق التجارة مع الهند . وقد كانت بريطانيا أسبق إلى ذلك ، فاستفادت من تفوق أساطيلها فاحتلت جبل طارق وعدن والهند ومصر والصين وغيرها .

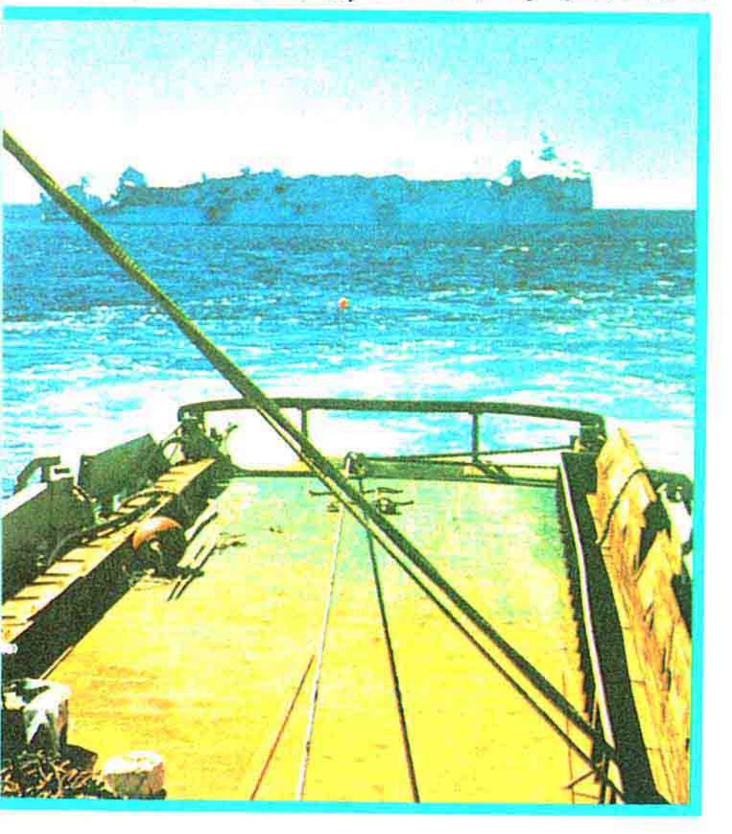
في كتابه « **مثلث الخطر : مضيق هرمز ـ باب المندب ـ جبل طارق** » ، يسلط الصحفي **مصطفى نبيل** أضواءً مكثفة على أكثر مناطق العالم التهاباً وأشد المضائق أهمية في العالم في العصر الحديث عَبْرَ ملاحظات شخصية لمشاهداته في المناطق الثلاث . والمضائق الثلاثة المذكورة واقعة في المنطقة العربية ، وهي ـ بلا شك ـ تعكس الأهمية الجغرافية التي يتمتع بها الوطن العربي ، وكذلك تعكس أوضاعه المتفجرة حيث تتشابك مصالح الدول العظمى .

ولا بد لنا من الإشارة إلى مضائق أخرى هامة في العالم ، وهي إن لم تكن طافية على السطح كالمضائق في المنطقة العربية إلا أن أهميتها بادية للعيان ، وقد ينفجر الصراع عليها في أية لحظة .

مضيق هرمز

يمثل الخليج العربي ذراعاً ممتداً من بحر العرب وهو يشكل حاجزاً مائياً بين إيران وشبه الجزيرة العربية في جنوب غربي آسيا . يبلغ العرض الوسطي للخليج حوالي ١٢٠ ميلاً ، بينما يصل أقصى عمق له إلى ٣٠٠ قدم . ويمتد باتجاه الشمال الغربي بطول ٥٥٠ ميلاً تقريباً . يبدأ الخليج

★ الجبال الجليدية تزيد من مخاطر الملاحة مما يقتضي إبعادها عن خط الملاحة الدولية ★



عند مضيق هرمز وخليج عُمان جنوباً ويصل حتى شط العرب والبصرة شمالا . على الخليج تقع : إيران ، العراق ، الكويت ، المملكة العربية السعودية ، البحرين ، قطر ، الإمارات العربية المتحدة ، عُمان . والمنطقة تحتوي على أكثر من نصف احتياطيات العالم المعروفة من النفط . وقد بقي الوجود البريطاني في المنطقة حاضراً إلى أن انسحبت تماماً في عام ١٩٧١ م .

وقد أشار الأستاذ مصطفى نبيل في كتابه المذكور إلى أهمية مضيق هرمز باعتباره « بوابة الحرب العالمية الثالثة » لأنه يمثل منفذ النفط إلى العالم وعنق الزجاجة في طريق الملاحة البحرية ، إذ يمر عَبْرَ مضيق هرمز ١٩ مليار برميل من النفط الخام يومياً بمعدل سفينة كل ٨ دقائق . وتمثل هذه الكمية ما يزيد على نصف احتياجات أوروبا الغربية من النفط الخام ، وتشحن دول الخليج من خلاله ثلثي إنتاجها من النفط . ومضيق هرمز هو المنفذ الوحيد للدول العربية المطلة عليه باستثناء السعودية التي لديها موانئ على البحر الأحمر ، وعُمان التي تقع موانيها على خليج عُمان . ومما ذكر يمكننا أن نحكم على أهمية هذا الممر المائي الذي يمثل شريان الحياة للدول الصناعية لأنه ينقل إليها عصب الصناعة ووقودها .

والمضيق واقع في أراضي عُمان وهو عبارة عن ممر مائي عرضه لا يتجاوز ٣٠ ميلاً بحرياً عند أضيق نقطة ، ويصل عمق المياه فيه إلى ٢٥٠ قدماً ويجتازه يومياً أكثر من ٣٠٠ سفينة ، مما اقتضى إعادة تنظيم حركة السفن فيه ، وقد قامت الهيئة الاستشارية IMCO بذلك وفق أحدث الأساليب باستعمال أفضل التقنيات العالمية . وفي فم المضيق تقع « **جزيرة سلامة** » وفيها منارة لإرشاد السفن تشرف على إدارتها **شركة ميناس البريطانية** بناءً على اتفاق مع عُمان وتتقاضى رسوماً من شركات الملاحة العالمية .

مما لا شك فيه أن مضيق هرمز الاستراتيجي واقع ضمن مناطق الصراع الدولي باعتباره يمثل مصالح حيوية للقوى العظمى ، ومن البديهي أن يسعى أبناء البلاد المحيطة إلى تأمين سلامتهم في « غابة القوة » التي نعيش فيها ، إلا أن هناك خطراً آخر يخيِّم على المنطقة هو **خطر التلوث** . وتساهم ناقلات البترول بالقسط الأعظم من التلوث وينتج معظمه من غسل خزانات الناقلة بالمياه الساخنة حيث تقذف هذه المواد المشبعة ، بمواد البترول في البحر . وعندما تفرغ الناقلات حمولتها من البترول فإنها تملأ خزاناتها بمياه البحر لأنها لا تستطيع أن تسير فارغة لئلا يختل توازنها نتيجة تعرضها لأمواج البحر ثم تفرغ هذه المياه المشبعة بالبترول لتضيف إلى البحر كميات جديدة من المواد الملوثة . ويضاف إلى ذلك التلوث الناتج عن المنشآت البتروكيميائية ومصافي النفط والمصانع الأخرى الموزعة على محيط الخليج بأسره والتي تلقي فضلاتها إلى البحر .

ولا يختلف الخليج العربي في هذا الصدد عن معظم بحار العالم ومحيطاته ، إلا أن خطورة تلوث الخليج تكمن في أنه يشبه بحيرة مغلقة لا تتصل بالمحيط إلا عن طريق مضيق هرمز الضيق . وهذا الوضع الخاص يجعل الخليج غير قادر على تنظيف نفسه بنفسه ، كما هو الحال في المحيطات الكبيرة .

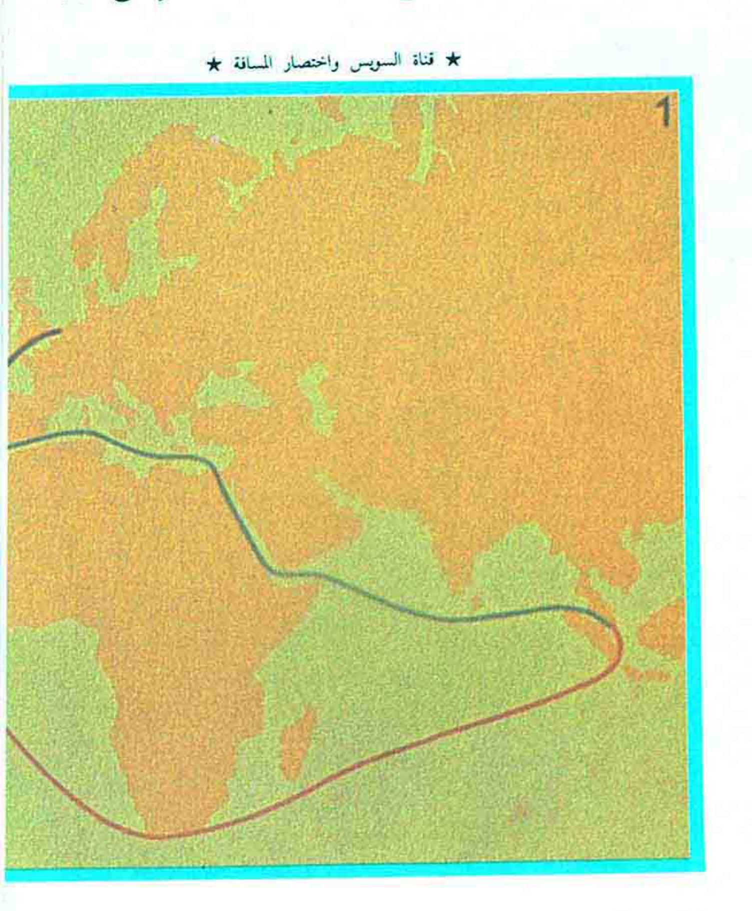
باب المندب

في الطرف الآخر من شبه الجزيرة العربية تقترب آسيا من إفريقيا كثيراً وتصبح المسافة الفاصلة بينهما حوالي ١٧ ميلاً ، وتشكل مضيقاً يعرف باسم « **باب المندب** » يفصل بين البحر الأحمر من طرف والمحيط الهندي من طرف آخر . وبهذا الشكل فإن **باب المندب يمثل حلقة وصل حساسة بين آسيا وإفريقيا وأوروبا** ، علماً أن حوالي ٦٠٪ من نفط أوروبا الغربية (٤٥٨ مليون طن) في العام القادم من الخليج يمر عَبْرَ البحر الأحمر عن طريق هذا المضيق مروراً بمضيق هرمز وخليج عُمان والمحيط الهندي ـ خليج عدن . **وقد أطلق العرب على هذا المضيق اسم « باب المندب » لأن السفن هنا كانت تتعرض للارتطام بالصخور البارزة فتتحطم ويغرق بحارتها فتندبهم عائلاتهم .**

منذ القرون الوسطى ومنطقة الثغور العربية الجنوبية تتعرض لمحاولات الالتفاف من البرتغاليين والهولنديين والإنجليز في محاولة لاحتلال اليمن وعُمان . . كانت القوى الغربية تسعى إلى السيطرة على البحر الأحمر لأنها ستتيح لهم فرصة التحكم في موانئ البحر الأحمر والساحل الإفريقي ، **وقد نجح الإنجليز في الاستيلاء على عدن في عام ١٨٣٩ م ، ثم احتلوا مجموعة الجزر المحيطة بباب المندب وجعلوها نقطة تجمع وبرج مراقبة وقاعدة استراتيجية حتى أطلق عليها اسم « درة التاج البريطاني »** .

على هذا الممر المائي تطل أربع دول : فعلى ساحله العربي يقع **اليمن**

★ قناة السويس واختصار المسافة ★



بشطريه الشمالي والجنوبي ، وعلى ساحله الإفريقي نجد كلاً من **أثيوبيا وجيبوتي** . وفي منتصف المضيق نجد **جزيرة « بريم »** التي تقسم المضيق إلى قسمين وهي تتحكم بحركة الملاحة عَبْرَه . ومن الجدير بالذكر أن القوات البحرية المصرية واليمنية قامت في خلال حرب تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٣ م ، بإغلاق الملاحة عَبْرَ مضيق باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية . وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية المضيق الاستراتيجية .

قناة السويس

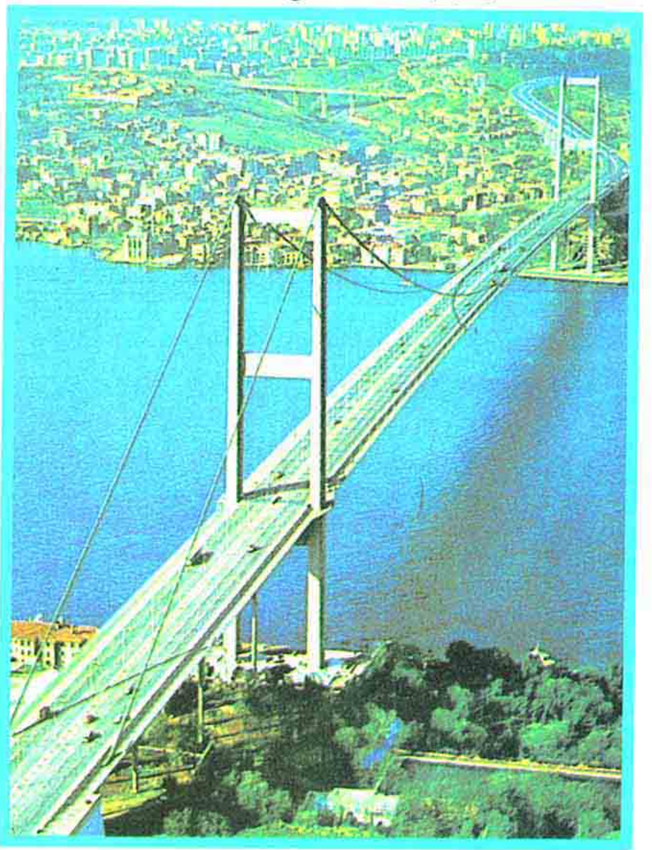
وهي قناة مائية تم افتتاحها في عام ١٨٦٩ م ، وقد استغرق إنشاؤها حوالي عشر سنوات **تربط بين البحر الأبيض المتوسط وبين البحر الأحمر** . طولها حوالي ١٠٠ ميل وهي تمتد من خليج السويس جنوباً حتى بورسعيد شمالا ، في جمهورية مصر العربية مروراً ببحيرة التمساح والبحيرات المرة . **وتتمتع هذه القناة بمكانتين :**

١ ــ **جغرافية :** لأنها تفصل قارتي آسيا وإفريقيا عن بعضهما .

٢ ــ **اقتصادية :** لأنها تختصر طريق الملاحة الدولية عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند بمسافة تقارب ٦٠٠٠ ميل .

عرضها الأصغري عند القاع هو ١٩٧ قدماً ، وعند السطح ٤٠٠ قدم ، وعمقها حوالي ٣٤ قدماً . ولا يحتاج تشغيلها إلى بوابات نظراً لأن البحرين الأبيض والأحمر على مستوى واحد . والقناة الحالية أعرض

★ جسر البوسفور المعلّق ، وهو رابع أكبر الجسور في العالم ★



وأعمق من القناة الأصلية ، علماً أن عرضها لا يسمح بتمرير السفن في الاتجاهين وسطياً ، وكانت السفن تعبُر القناة في أقل من ١٥ ساعة .

وكما أسلفنا ، فقد استغرق إنشاء القناة أكثر من عشر سنوات ، ومع أن بعض الآليات استعملت في الحفر ، إلا أن معظم الأعمال تمت بأيدي العمال المصريين .

استفادت بريطانيا كثيراً من قناة السويس خصوصاً بعد أن اشترت في عام ١٨٧٥ م ، أسهم **الخديوي إسماعيل** في شركة القناة . بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ م ، قامت بريطانيا بالاشتراك مع فرنسا وإسرائيل بشن عدوان مسلح على مصر بقصد الاستيلاء على القناة من جديد . وقد أرغمت دول العدوان على الانسحاب وعادت القناة إلى أهلها .

أغلقت القناة إثر العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ م ، لكن الملاحة استعيدت فيها ثانية بعد إبعاد الإسرائيليين عنها في حرب تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٣ م .

تمثل قناة السويس حلقة وصل هامة جداً في طريق الملاحة الدولية بين أوروبا وشمال البحر الأبيض المتوسط من جهة ، وبين شرق إفريقيا والشرق الأقصى من جهة أخرى مروراً بالبحر الأحمر والخليج العربي والهند .

جبل طارق

من السويس ننتقل إلى أقصى غرب البحر الأبيض المتوسط حيث تقترب قارتا أوروبا وإفريقيا من بعضهما حتى تكادان تلتصقان . هنا وقف القائد العربي المسلم الكبير **طارق بن زياد** قبل أن تنتقل جحافل المسلمين إلى الأندلس . ولهذا أطلق على هذا الممر المائي الهام اسم « مضيق جبل طارق » .

وكما هو واضح من الخريطة ، فإن **المضيق يربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي** ، وهو الممر الوحيد المائي الذي يصل المتوسط مع أحد المحيطات . وعَبْرَ هذا الممر الذي يبلغ عرضه ٨,٥ أميال ، وعمقه ٣٢٠ متراً يمر تيار مائي قوي إلى المحيط الأطلسي . **والجدير بالذكر أن مضيق جبل طارق هو المعبر الوحيد الذي يمكن سلوكه للوصول من أوروبا الشمالية وأميريكا إلى البحرين الأبيض المتوسط والأسود وإلى شرق إفريقيا والخليج العربي وجنوب آسيا عَبْرَ قناة السويس** ، لذا تمر عَبْرَه معظم شحنات النفط التي تستهلكها أوروبا الغربية وإنجلترا .

والضفة الشمالية من المضيق عبارة عن جبل كلسي يصل ارتفاعه إلى ٤٢٥ متراً ، ومساحته ٦ كم٢ ، طوله ٤,٨ كم ، ويصل عرضه إلى ١,٢ كم . عاصمة المضيق مدينة « جبل طارق » التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٢٥ ألف نسمة معظمهم من الإنجليز والمالطيين والبرتغاليين .

في العصور القديمة نظر إلى « جبل طارق » باعتباره واحداً من « **أعمدة هرقل** » . وقد احتله طارق بن زياد في عام ٧١١ م ، وفي عام ١٤٦٢ م ، استعادته قشتالة الإسبانية ثانية . وفي عام ١٧٠٤ م ، احتلته

إنجلترا واحتفظت به لأهميته كقاعدة للسيطرة على الطرق البحرية ولتجارة الرقيق. وهو لا يزال حتى الآن محمية بريطانية.

مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل

جغرافياً، آسيا مفصولة عن أوروبا بثلاثة موانع طبيعية هي: **سلسلة جبال الأورال الطويلة في الاتحاد السوفييتي، ومضيقا البوسفور والدردنيل على طرفي بحر مرمرة**. والبوسفور ممر مائي ضيق واقع في شمال الأراضي التركية وهو يربط بين البحر الأسود وبحر مرمرة. يبلغ طول المضيق ١٩ ميلاً، ويختلف في العرض من ميلين ونصف في الشمال إلى أقل من ٨٠٠ يارد في بعض الأماكن. ونظراً لأن البوسفور يمثل صلة الوصول الوحيدة بين البحرين الأبيض والأسود، لذا فقد احتل أهمية استراتيجية كبيرة على الدوام.

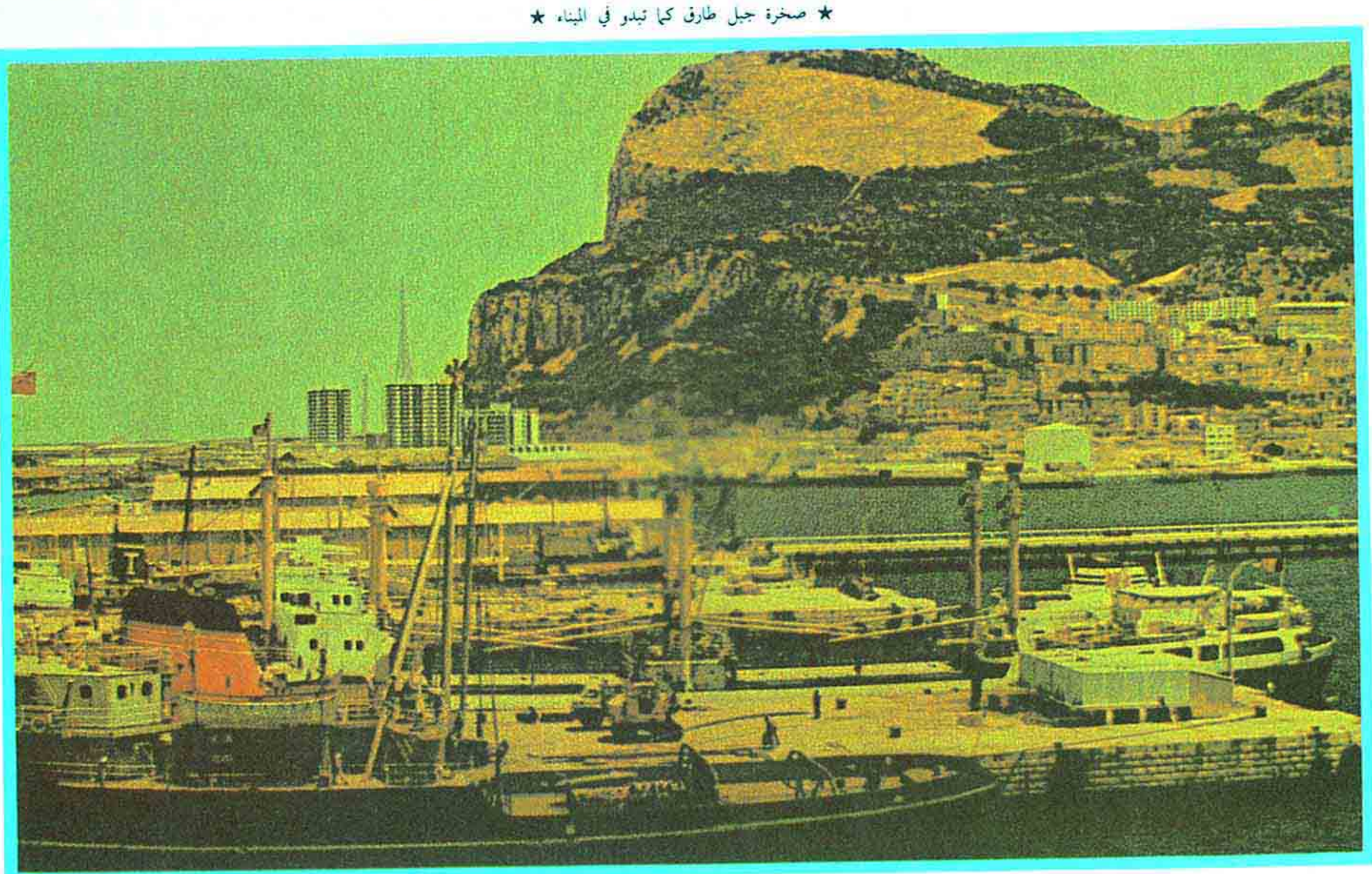
على البوسفور تقع مدينة **استانبول**. إذ يقسمها المضيق إلى قسمين: أوروبي وآسيوي. والمدينة من أجمل عواصم العالم، تأسست عام ٦٥٧ م، كانت عاصمة عشرة أباطرة رومانيين و ٨٢ إمبراطوراً بيزنطياً ثم ٣٠ سلطاناً عثمانياً. حاصرها **فيليب والإسكندر المقدوني**. وأول من تمكن من احتلالها **الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول** عام ٣٢٤ م، **وفي سنة ٣٣٠ م، أصبحت العاصمة الرومانية وسميت «القسطنطينية»**. بعد سقوط روما بقيت عاصمة روما الشرقية (البيزنطية) من ٣٩٥ م، حتى ١٤٥٣ م، **عندما فتحها السلطان العثماني الكبير محمد الملقب بالفاتح**، وهي تضم حالياً مجموعة من أكبر الآثار الإسلامية والعثمانية.

في الطرف الآخر من بحر مرمرة هناك مضيق مائي ضيق طوله ٤٤ ميلاً، وهو يفصل آسيا عن أوروبا (والجزءان واقعان في تركيا) هو **مضيق الدردنيل** الذي يصل بحر مرمرة مع **بحر إيجه**، وهو بذلك يشكل جزءاً من الطريق الواصل من **البحر الأسود** إلى البحر الأبيض المتوسط. وهذا الطريق اكتسب أهمية استراتيجية بالغة منذ القديم. من هنا، عَبَرَ العثمانيون عام ١٣٥٧ م، لأول مرة نحو أوروبا. بعد الحرب العالمية الثانية تحدى الاتحاد السوفييتي سلطة الأتراك على المضائق إلا أنه قوبل بإصرار تركي أرغمه على قبول **معاهدة مونترو** (١٩٣٦ م)، التي تسمح بحرية الملاحة للسفن التجارية والحربية وقت السلم، وتسمح لتركيا بإغلاق المضيق زمن الحرب.

ومضيق الدردنيل يتمتع بأهمية حربية خاصة، لذا فإن المنطقة مليئة بالقلاع الموزعة على طرفي المضيق. **في نهاية المضيق تقع مدينة جانان قلعة** (ومعناها بالتركية قلعة الصحن). واسم المدينة مشتق من أن القلعة كانت على هيئة طبق، وفي رواية أخرى بسبب اشتهار المنطقة بصناعة الصحون. وقد لعبت هذه المدينة دوراً بارزاً في حرب الاستقلال بعد **الحرب العالمية الأولى** حيث احتلها الأتراك عام ١٩٢٢ م.

إلى الجنوب من جانان قلعة، على بعد ٣٠ كم، تقع **مدينة طروادة الشهيرة التي خلدها هوميروس في الإلياذة**، والتي عاشت حرباً مدتها عشرة أعوام بسبب **هيلين** التي خطفها **باريس** إلى

★ صخرة جبل طارق كما تبدو في الميناء ★



طروادة . وعندما عجز اليونانيون عن احتلالها لجأوا إلى الحيلة فتركوا الحصان الخشبي واحتلوها .

مضيق دوفر

يطلق على أضيق منطقة في **بحر المانش** (القنال الإنجليزي) اسم مضيق دوفر نسبة إلى مدينة دوفر، الميناء الإنجليزي الواقع على التلال العالية . **والمضيق يفصل إنجلترا عن فرنسا وعن القارة الأوروبية .**

طول المضيق لا يزيد على ٢٢ ميلاً وعرضه ٢١ ميلاً ، والمنطقة غاصة بالمعديات وسفن النقل الخاصة التي تصل بين الشاطئين .

ومنذ القديم كان المضيق مسرحاً لأعمال حربية كبيرة وشهيرة ، وذلك نظراً لمكانته العسكرية الهامة . يمتاز هذا المضيق بوجود تيارات بحرية شديدة تجعل الملاحة أحياناً صعبة للغاية ، ويزيد الأمر سوءً ظهور الضباب .

قناة بناما

وهي قناة طولها ٥٠ ميلاً ، تفصل قارة أمريكا الشمالية عن أمريكا الجنوبية ، وتعتبر من أهم المشاريع الهندسية التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية . والقناة تمثل أقصر طريق يربط بين معظم الموانئ الواقعة على المحيط الهادي وتلك الواقعة على المحيط الأطلسي . فهي تقصر المسافة بين **نيويورك وسان فرانسيسكو** ١٤٠٠٠ ميل (حول نهاية أميريكا الجنوبية) إلى حوالي ٥٢٠٠ ميل فقط. ومع أن أهمية القناة تناقصت نظراً لأن أحواضها لا تستطيع تمرير بعض السفن الضخمة إلا أن أهميتها للملاحة الدولية لا تزال كبيرة ولا يستهان بها . إذ يمر عَبْرَ القناة ١٤ ألف سفينة تجارية تنقل حمولة قدرها ١٢٢ مليون طن سنوياً . واتجاه التجارة عَبْرَ قناة بناما من الأطلسي إلى الهادي أكبر منه في الاتجاه المعاكس ، كما أن المواد المنقولة مختلفة في الاتجاهين . وقد أدى إغلاق قناة السويس نتيجة حرب ١٩٦٧ م ، بين العرب وإسرائيل إلى زيادة حركة النقل عَبْرَ قناة بناما نحو الشرق الأقصى . وفي عام ١٩٧٦ م ، شكلت المواد النفطية والفحم الحجري وفحم الكوك حوالي ٤٤ ٪ من المواد المنقولة باتجاه الغرب ، بينما شكلت المواد الخام والمعادن والخشب حوالي ٢١ ٪ من المواد المنقولة بالاتجاه المعاكس .

يستعمل في القناة ثلاثة أحواض متتالية ترفع السفن إلى ارتفاع ٨٥ قدماً ، وتملك الولايات المتحدة كلياً القناة ، وتقوم بتشغيلها عَبْرَ شركة قناة بناما . **استغرق بناء القناة حوالي عشر سنوات (من ١٩٠٣ حتى ١٩١٤ م)** ، وقد تعرضت أعمال البناء إلى صعوبات عديدة ، كما أن حقوق الولايات المتحدة فيها تتعرض من حين لآخر إلى هزات متكررة .

المضائق والبيئة

لا تمثل القنوات والمضائق معابر للسفن فحسب ، بل كذلك للماء نفسه ، ولجميع أنواع الكائنات البحرية والرسوبيات المعلقة في مياهه . كذلك تخدم معظم القنوات والمضائق نقاط تقاطع أساسية لخطوط الاتصالات بما فيها الكابلات (البرق) وأنابيب النفط وسفن نقل الركاب والبضائع . ونظراً لأهميتها فإن جميع المضائق والقنوات تمثل أسباباً للنزاع بين الدول المطلة عليها أو التي تهتم باستثمارها . وبينما تمكنت التكنولوجيا الحديثة من حل بعض هذه المشاكل ، إلا أن كثيراً منها ما زال معلقاً حتى الآن .

وهنالك ثلاث قنوات قديمة نسبياً . فقد شقت قناة السويس عام ١٨٦٩ م ، **وقناة كورنيث في اليونان** عام ١٨٩٣ م ، وقناة بناما عام ١٩١٤ م . القناتان الأولى والثانية تقعان على مستوى سطح البحر ، يتدفق بينهما الماء والأسماك والمعلقات الأخرى بحرية تامة ، إلا أن ذلك لا ينطبق على قناة بناما . وهذا التمييز هام من وجهة نظر البيئة . وعلى سبيل المثال فإن بعض أنواع **سمك القرش** التي تقطن البحر الأحمر هاجرت إلى البحر الأبيض المتوسط وأصبحت مصدراً يهدد استمرار بعض أنواع الأحياء المائية فيه . ومثل هذه العبر كانت أحد الموانع الرئيسية لشق قناة واسعة «على مستوى سطح البحر» في بناما تحل محل القناة القديمة العتيقة المرتفعة ، التي تتطلب «حمل» السفن إلى ارتفاعات كبيرة نسبياً ، بسبب مرورها في مناطق جبلية .

تكمن الصعوبة الرئيسية مع المضائق الطبيعية مثل **مضائق فلوريدا ، دوفر ، جبل طارق ، وباب المندب ، وهرمز** في تصاعد حوادث الاصطدام بسبب تزايد غزارة حركة النقل فيها . ففي عرض البحر يعتبر اقتراب سفينتين من بعضهما خطراً إذا قلَّت المسافة الفاصلة بينهما عن عدة كيلومترات . ويزداد الأمر سوءً في المضائق ذات الحركة النشيطة بوجود المعديات وقوارب الصيد التي تدخل إلى الموانئ وتخرج منها في خضم حركة السفن الشديدة مما يزيد بشكل كبير احتمال وقوع حوادث الاصطدام . وقد طرح مؤخراً اقتراح تنظيم خطوط سير «وحيدة الاتجاه» تشبه مبدأ تنظيم السير في الشوارع ، إلا أن ذلك لا يمثل إلا حلاً جزئياً للمشكلة . وفي عام ١٩٧٦ م ، تم تنفيذ أكثر من (٦٠) اقتراحاً لفصل خطوط سير البواخر في المحيطات ، لكن معظمها كان على أساس طوعي غير إلزامي . وكما هو الحال في مضيق دوفر فإن فرضه عملية غاية في الصعوبة ، لأن ربابنة السفن يرفضون الانتقاص من صلاحياتهم التقليدية .

وبغية تقليل أخطار الاصطدام في المضائق الغاصة بالسفن ، فقد تم الاتجاه مؤخراً إلى بناء مزيد من الجسور الشاهقة والأنفاق تحت الماء ، وذلك لتخفيف عدد المعديات الكثيرة التي تعمل بين ضفتي المضيق . **أكبر هذه الأنفاق في العالم تم بناؤه في اليابان بين جزيرة هونشو (كبرى جزر اليابان) والجزيرة الشمالية هوكايدو** ، وقد بلغ طوله ٥٤ كم ، منها ٢٣ كم تحت قاع البحر . في أخفض مستوياته يغوص النفق حتى عمق ١٠٠ متر تحت سطح قاع البحر الذي يقع بدوره



★ صورة لأهم مضائق الشرق الأوسط تم التقاطها بواسطة الأقمار الصناعية ★

تحت مستوى مياه البحر بحوالي ١٤٠ متراً .

وعلى صعيد آخر ، وفي مجال بناء الجسور فوق المضائق ، فقد تم الانتهاء من بناء جسر معلّق على مضيق البوسفور . ويعتبر هذا الجسر انجازاً هاماً لأنه مؤلف من قطعة واحدة ، ولأنه يصل بين أوروبا وآسيا . لكن هناك مشروعاً أكبر بكثير ، ياباني أيضاً : سلسلة من الجسور تربط جزيرة هونشو مع جزيرة شيكوكو عبْرَ العديد من الجزر الصغيرة .

ثمة مشروع ثالث ، أكبر من ذلك يقترح ربط أوروبا بإفريقيا بجسر طويل جداً فوق مضيق جبل طارق . المضيق يبلغ اتساعه ٢٠ كم ، ويبلغ عمقه ٢٠٠ متر ، في أفضل النقاط المناسبة لحدّه ، لذا يبدو أي تصميم تقليدي للجسر أمراً غير وارد إطلاقاً ، فاقترح المهندسون تعليق الجسر على أبراج على جزر عائمة بصورة مشابهة لمصاطب حفر النفط نصف الغاطسة . ولكن تنفيذ مثل هذه المشاريع يبقى أمراً مشكوكاً فيه .





عزيزي الأب :

- تعهد طفلك بالرعاية منذ نعومة أظفاره .
- لا تنس أن تقدم له الغذاء المتكامل لينمو عفيًا سليمًا .
- لا تنس أن تقدم له التطعيمات في مواعيدها .

وتذكر دائمًا :

أن غذاء الروح قبل غذاء الجسد ، وأن التربية الإسلامية الرفيعة هي أفضل غذاء تقدمه لطفلك .

مع تحيات



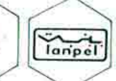
والشركات التابعة لها
















سابك للخدمات التسويقية — سافكو — الرازي — ابن سينا — بتروكيميا — سماد — حديد — صلب — غاز — ينبت — صدف — كيميا — شرق — ابن حيان — سابك للتسويق

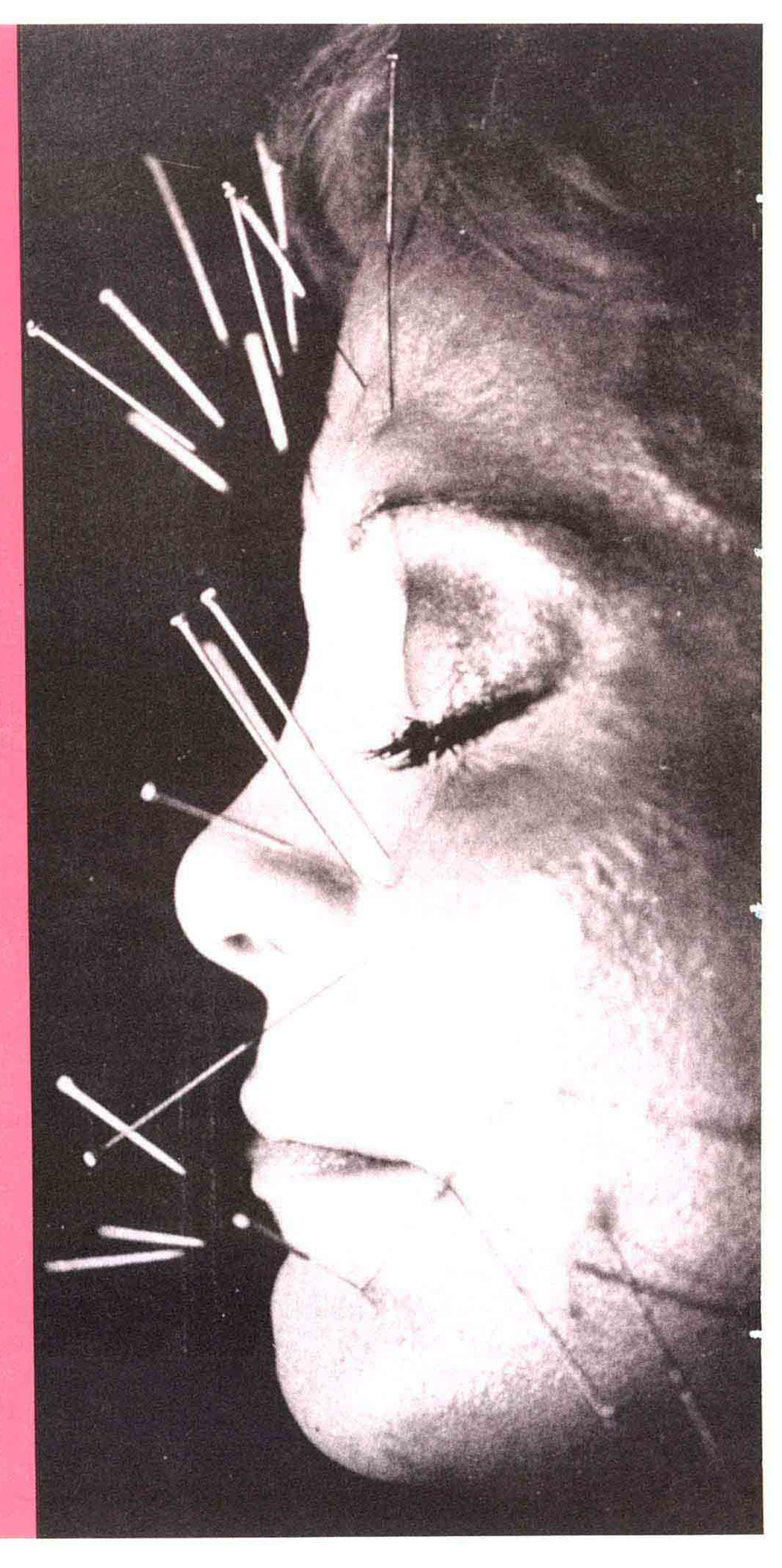
كل ما تريد أن تعرفه عن..

الإبر الصينية

بقلم: د. سامي عزيز

استخدمت الإبر الصينية في العلاج من آلاف السنين.. وهي لا تزال تستخدم إلى الآن في مختلف بلاد العالم..

- ما الإبر الصينية؟
- ما الأساس الذي تعتمد عليه؟
- ما نظرية النظم الثنائي الحركة؟
- ما خطوط الطاقة الحيوية؟
- هل تختلف نظرة الطبيب الصيني عما نعرفه عن الجسم البشري؟
- ما رأي الطب الحديث في الإبر الصينية؟
- هل يمكن التخدير بالإبر الصينية؟
- لماذا تنتشر الإبر الصينية في مختلف بلاد العالم؟





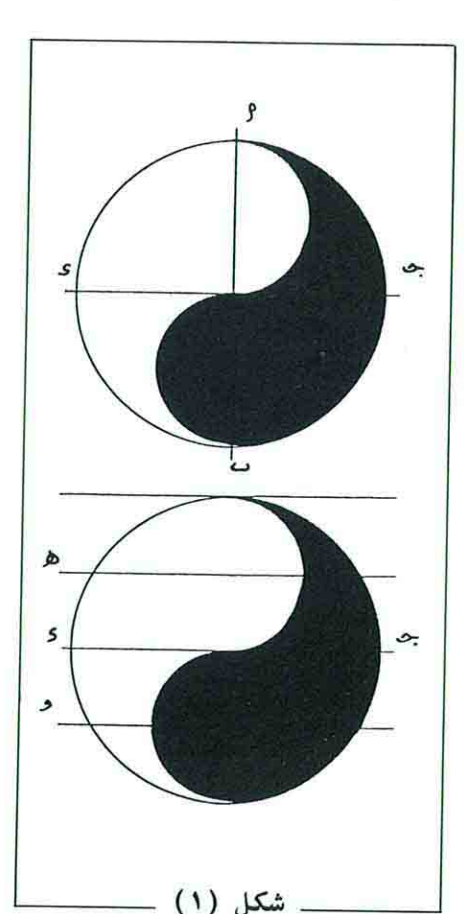
الكتابات الصينية القديمة التي تعود إلى آلاف السنين تؤكد أن الصينيين القدماء عرفوا **الدورة الدموية** كما تمكنوا من التمييز بين الأوعية الدموية الإيجابية الحركة (**الشرايين**) والسلبية الحركة (**الأوردة**) . كما عرفوا فائدة القلب كمضخة وقالوا عن **الرئتين** إنهما مسؤولتان عن التبادل الحادث بين الخارج والداخل ، وعرفوا **الهرمونات** وعددوا فوائد الغدة فوق الكلوية ؛ فقالوا إن داخل الغدة يؤثر على ضربات القلب ، وأما الجزء الخارجي منها فهو يختص بالوقاية من أمراض الروماتزم وكذلك يؤثر على الوظائف الجنسية عند الرجال .

نظرية النظم الثنائي الحركة

يتفق **اينشتين** مع الصينيين القدماء عندما قال : « إن النظرية يمكن التأكد من صحتها بالتجربة ، أما عكس ذلك فغير صحيح .. فالتجربة لا يمكن أن تؤدي إلى نظرية » . وتعتمد العلوم الصينية القديمة على نظرية « **النظم الثنائي الحركة** » ومثال ذلك النظم الثنائي لتعاقب النهار والليل وتعاقب الصيف والشتاء .. ومنذ أكثر من ألف سنة كتب « **تشانج تساي** » : « إن الكون الآن في حالة تمدد وسوف يأتي اليوم الذي ينكمش فيه » ، وحقيقة فإن هذه الحقيقة العلمية لم نتوصل إليها إلا في السنوات القليلة الماضية . وفي مجال الطب نجد النظرية الصينية للنظم الثنائي الحركة توضح العديد من النواحي الفسيولوجية مثل تعاقب النوم واليقظة ، وضربات القلب من انقباض وانبساط ، وحركات التنفس من شهيق وزفير ، وحركات الجهاز الهضمي ونشاط الغدد من زيادة ونقص في الإفراز ، وعمليات الأيض من بناء وهدم . ويعبر الصيني القديم عن ذلك بكلمتين هما « يانج » YANG و « ين » YIN ، وأما ما تعنيه كل منها فهو :

يانج	ين
● الحركة	الراحة
● القوة	الضعف
● التمدد	الانكماش
● الزيادة	النقص
● مظهر خارجي للنشاط	مظهر داخلي للنشاط
● الدفء	البرودة
● الضوء	الظلام
● النهار	الليل
● الذكورة	الأنوثة

واليانج والين تعبِّران عن ثنائي من التعاقب المنتظم أو تلازم ثنائي متعاقب . ويمكن توضيح ذلك بما يعرف باللغة الصينية باسم **(تاني كاي)** أو القاعدة العليا . وهي تعتبر اليانج هو الضوء (اللون الفاتح) والين هو الظلام (اللون الغامق) والمحور أ ب الرأسي **(كما في الشكل ١)** يحدد اليانج إلى أعلى وأما



شكل (١)

الين فهو إلى أسفل . فلو اعتبرنا أن هذا الشكل يمثل واجهة ساعة فإننا نقول إن منتصف النهار تمثله النقطة (أ) ومنتصف الليل تمثله النقطة (ب) . ويمكن تطبيق ذلك على تعاقب الشهور ، فنقول إن النقطة (أ) تمثل الصيف والنقطة (ب) تمثل الشتاء . وبالنسبة لفسيولوجيا القلب ، نقول إن النقطة (أ) تمثل قمة الانقباض ، وإن النقطة (ب) تمثل قمة الانبساط .

وعند رسم المحور الأفقي جـ د فإننا نجد أن اليانج يحتل الجانب الأيسر ، وأما الين فيحتل الجانب الأيمن ، وهذا يماثل تعاقب النهار والليل . وبالنسبة لعلم الفسيولوجيا فالأمور تصبح أكثر وضوحاً عند إزاحة المحور (جـ د) إلى أعلى حتى الموضع « هـ » وبذلك يزيد مقدار « اليانج » عن « الين » ، أما عند إزاحة المحور إلى أسفل حتى الموضع « و » فإن كمية الين تصبح أكثر من « اليانج » . وهذا يوضح لنا أن اليانج عندما يبدأ في الزيادة في اتجاه معين ، فإن « الين » بطريقة تلقائية يبدأ في الزيادة في الاتجاه المقابل . ومن هنا « فاليانج » لا يمكن أن يحدث دون أن يعقبه « الين » .. إذن فاليانج والين نقيضان متممان مترابطان ويجب أن نشير إلى أن ظاهرة التعاقب عندما تحدث على فترات طويلة من الزمن فقد تبدو في اتزان ظاهري ولكنها تظل في تلازم وتعاقب .. فمثال ذلك أن شهور الصيف يبدو فيها « اليانج » أكثر من « الين » .. (لأن النهار أطول من الليل) ورغم ذلك يظل الصيف والشتاء في تعاقب منتظم .

وظائف الأعضاء

الطب الصيني القديم يقسم وظائف الأعضاء إلى :

● **أولا :** الوظائف الخمس الداخلية وتعرف باسم (تسانج) . ولما كانت هذه الوظائف داخلية فطبقاً لنظرية النظم الثنائي الحركة ، فالين يغلب فيها على اليانج وهذه الوظائف الخمس هي :

١ ــ حركات القلب .

٢ ـ حركات التنفس .
٣ ـ الوظائف الأيضية للكبد .
٤ ـ وظائف الجهاز البولي المحكومة بالغدة فوق الكلوية .
٥ ـ وظائف الأنسجة الضامة وكريات الدم البيضاء .

● **ثانياً :** الوظائف الخمس الخارجية ، وتعرف باسم (فيو) . في هذه الوظائف الخارجية يغلب « اليانج » على « الين » وهذه الوظائف هي :

١ ـ المضغ والهضم (الفم ـ المعدة ـ الاثني عشر) .
٢ ـ وظائف الصفراء .
٣ ـ الامتصاص من الجهاز الهضمي .
٤ ـ وظائف الجهاز البولي .
٥ ـ وظائف القولون والإخراج .

وبالإضافة إلى هذه الوظائف العشر ، هناك وظيفتان أخريان ، وبذلك تكون هذه الوظائف مجتمعة اثنتي عشرة وظيفة . . وهي بذلك تماثل شهور السنة الاثني عشر وساعات اليوم (وذلك **لأن الساعة عند الصينيين القدماء تعادل ساعتين عند الأوروبيين)** .

(أ) المُسرع للوظائف الداخلية الذي في نفس الوقت يثبط من الوظائف الخارجية . وهو ما يعرف عندنا في الطب الحديث باسم **الجهاز العصبي السيمبثاوي** .

(ب) المُسرع للوظائف الخارجية الذي في نفس الوقت يثبط من الوظائف الداخلية ، وهو ما يعرف عندنا في الطب الحديث باسم **الجهاز الجار سيمبثاوي** .

كما تم تقسيم الجهاز العصبي السيمبثاوي إلى قسمين : القسم الأول يغلب فيه « الين » وفي القسم الثاني يغلب « اليانج » .

وفي النهاية ، فهناك وظيفتان أخريان تتحكمان في الجسم البشري كله :

١ ـ المحور المخ شوكي : وهو المسؤول عن التحكم العصبي الحركي والحسي . وهو بذلك يختص بالوظائف المتجهة للخارج وحسب نظرية النظم الثنائي الحركة يغلب اليانج على الين وتسود صفات الذكورة .

٢ ـ الضفيرة العصبية للأعضاء الداخلية : وهي بذلك مسؤولة عن الوظائف المتجهة للداخل وحسب نظرية النظم الثنائي الحركة يكون « الين » هو الغالب وتسود صفات الأنوثة .

خطوط الطاقة الحيوية

تفترض النظريات الصينية القديمة أن الكائن الحي ما هو إلا محول للطاقة ، فهو يشع طاقة ويستهلك طاقة ، ثم يعيد إنتاج الطاقة . . وهكذا . أما الطب الأوروبي فيعتبر هذه العمليات الحيوية عمليات تختص بها أجهزة معينة ، وبذلك فالفكر الأوروبي يميل إلى التخصص في الوظائف . أما الفكر الصيني ـ فهو على النقيض ـ لا يميل إلى التخصص ويعتبر أنه من الخطأ أن نجزئ التخصصات إلى أجهزة مثل الجهاز التنفسي ، والجهاز الدوري ، والجهاز الهضمي ، وهكذا . . . فالفكر الصيني يؤكد على أن هذه الوظائف مكملة لبعضها ولا يمكن الفصل فيما بينها . وبصيغة أخرى يؤكد الصينيون على أن تماسك الوظائف الحيوية والتحامها يتوقف على البيئة المحيطة ، وأن كل وظيفة من هذه الوظائف تستطيع أن تتكيف مع أبسط التغيرات التي قد تحدث في هذه البيئة . فبعض الوظائف تُغير من نظم إيقاعها عندما يحدث تغير بالزيادة أو النقصان في درجة حرارة البيئة . . والآن دعنا نتساءل كيف تتمكن هذه الوظائف المختلفة من أن تكون على اتصال دائم بالتغيرات الحادثة في البيئة المحيطة بالكائن ؟ وتفترض النظرية الصينية للإجابة على هذا السؤال وجود ما أسمته **بخطوط « الدروميا »** . فمع كل وظيفة ينتقل جزء من الطاقة إلى سطح الجسم وهذا القدر من الطاقة يُخبر عن التغيرات الحادثة في البيئة حتى يتم التكيف الملائم لها . وهذه الطاقة تنتقل في قنوات خاصة إلى خطوط « الدروميا » وهي خطوط طولية موجودة بطول الجسم البشري غير مرئية من الجهة التشريحية . ولقد تم حديثاً التأكد من صحة هذا الافتراض إذ وجد أن المقاومة الكهربائية المسجلة عبر خطوط « الدروميا » أضعف من المقاومة المسجلة من أي مكان آخر على الجلد . ويدعي البعض وجود اختلاف هستولوجي (في الأنسجة) تحت خطوط « الدروميا » . ولكن هذه الادعاءات إلى الآن ينقصها الكثير للتأكد من مدى صحتها **وكل ما يمكن أن نقبله هو أن خطوط « الدروميا » هي الأماكن التي ترشق بطولها الإبر الصينية . فالإبر الصينية عديمة الجدوى إذا ما وضعت في أماكن أخرى خارج خطوط « الدروميا » . كما أن التأثير يكون أقوى وأجدى عند وضع الإبر في النقط الخاصة بها لأن هذه النقط هي بمثابة محطات لتجميع الطاقة عبر خطوط « الدروميا »** . وتميز خطوط « الدروميا » والنقط الخاصة لرشق الإبر الصينية يجب أن يكون واضحاً وجلياً لكل من يستخدم هذه الإبر في العلاج . والواقع أن « اينتوفان » الأب الروحي لرسام القلب الكهربائي قد أثبت أن القلب يدفع بقدر من الطاقة الكهربائية الناشئة عن انقباضاته إلى سطح الجسم . وبذلك يمكننا أن نقول إن النظرية الصينية الخاصة بخطوط « الدروميا » تماثل الأساس الذي بني عليه رسام القلب الكهربائي ؛ إلا أن النظرية الصينية تشتمل في ذلك الوظائف الخمس الداخلية والوظائف الخمس الخارجية ، كما تفترض وجود خطين متماثلين لكل من المسرع للوظائف الداخلية والمسرع للوظائف الخارجية ، أحدهما على الجانب الأيمن والآخر على الجانب الأيسر للجسم ، وبذلك يكون هناك اثني عشر زوجاً من خطوط « الدروميا » وتعرف باسم **« تشنج ميو » أو « البري دروميا »** نظراً لأنها تحتل الأماكن المتطرفة من الجسم . كما أن للوظائف العامة كالمحور المخ شوكي والضفيرة العصبية المغذية للأعضاء الداخلية خطوطاً مماثلة إلا أنها فردية وليست على صورة مزدوجة كما أنها تحتل وسط الجسم ، ومن هنا تم تسميتها باسم « تشي ميو » أو « الو دروميا » . وحيث إن هذه الخطوط تمثل جزءاً من الطاقة الصادرة من



الوظائف الممثلة لها . لذلك فهذه الطاقة قد تكون ديناميكية أو غير ديناميكية .. ويتوقف ذلك على نوع الوظيفة .. هل هي تتبع « اليانج » أو « الين » .. وكل هذا يتبع الإطار العام الذي شرحناه في النظرية الثنائية الحركة ؛ أي أن اليانج والين تعبران عن ثنائي من التعاقب المنتظم أو تلازم ثنائي متعاقب ، وهذه النظرية هي الأساس الذي يعتمد عليه العلاج بالإبر الصينية في مواضع معينة على خطوط « الدروميا »

الأمراض في الطب الصيني

لذلك فأي اختلال في الوظائف ينعكس على الطاقة الحيوية الممثلة على خطوط « الدروميا » ونقطها . أي ينعكس على نسبة اليانج إلى الين . واختلال هذه النسبة يعني حدوث مرض . ولتحديد المرض لا بد من معرفة :

★ **أولا ـ أعراض المرض :** ويقسم الطب الصيني الأعراض الناتجة عن أي مرض إلى مجموعتين أساسيتين :

(١) **أعراض الزيادة** وتعرف باسم « شيه » وهنا يكون « اليانج » أكبر من « الين » .

(٢) **أعراض النقص** وتعرف باسم « سجو » وهنا يكون « الين » أكبر من « اليانج » ، ولكن في الغالب في الحالة الأخيرة يكون السبب نقص اليانج لأن الين خامل بطبيعته ولا يمكنه الزيادة . وتتمثل أعراض الزيادة في الآلام المختلفة والانقباضات وكل أعراض زيادة الوظيفة والإفرازات والاحتقان . أما أعراض النقص فتشمل قلة الكفاءة والخذل والقصور الوظيفي .

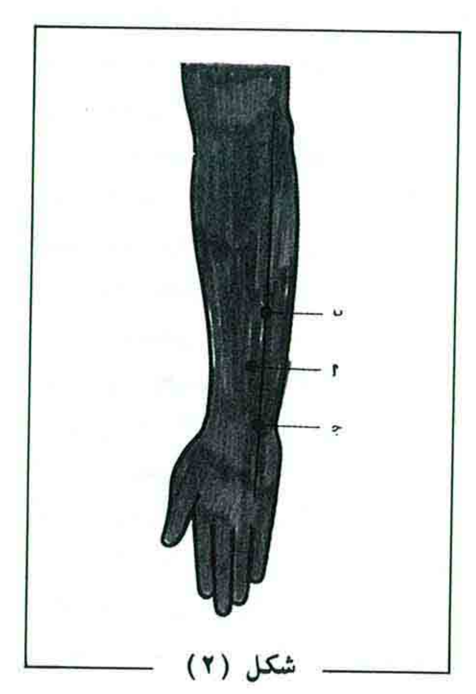
★ **ثانياً ـ تحديد مكان المرض ونوعه :**

(١) **الأمراض الداخلية :** أي اضطراب على مستوى الوظيفة والوظيفة نفسها نادراً ما تختل وذلك لأن منشأ المرض الداخلي ـ بحسب ما يعتقد الطب الصيني ـ يرجع إلى اضطراب تماسك الوظائف الحيوية بعضها ببعض .. إذ إن الطب الصيني يعتبر الكائن الحي وحدة متماسكة ولا يمكن فصل وظيفة عن أخرى . ومن بين الأعراض الإكلينيكية الناجمة عن المرض ، يحدث اضطراب في اتزان الطاقة على خطوط « الدروميا » فإذا كانت هذه الوظيفة تعاني من نقص وتصور فإن الطاقة الحيوية على خطوط الدروميا تختل أيضاً وتزيد نسبة الين . لذلك فالأعراض تظهر في مكان خطوط الدروميا الممثلة لهذه الوظيفة .

(٢) **أما بالنسبة للأمراض الخارجية** فيقصد بها الآلام الناتجة عن التغيرات الجوية (كالبرد والرطوبة .. إلخ) والالتهابات الناتجة عن الجروح والتقيحات .

العلاج بالإبر الصينية

ومهما كانت طبيعة المرض ، خارجياً كان أم داخلياً .. فإن ما يحدث هو اضطراب في الطاقة الحيوية لخط أو أكثر من خطوط الدروميا ، وربما يكون هذا الاضطراب بالزيادة أو النقصان . ويمكن تشبيه العلاج باستخدام الإبر الصينية في



شكل (٢)

حالات زيادة الطاقة بما يحدث عند رشق إبرة في إطار تم نفخه أكثر من اللازم ، فالإبرة هنا تعمل على تصريف وتفريغ الطاقة الزائدة أو ما يعرف باسم (سيه) أي أن الغرض منها هو إنقاص معدل اليانج في هذه النقطة من خطوط الدروميا .

أما في حالة نقصان الطاقة ، فالإبر الصينية عديمة الفائدة لأنها لا يمكنها أن تمد الجسم بطاقة ، لذلك فيمكن تعويض الطاقة أو مد نقطة من نقط الدروميا بالطاقة أو الحرارة (اليانج) باستخدام الكي الصيني أو ما يعرف باسم (تشيو) . ومن هنا يتضح أن أي اضطراب في وظيفة ما له ما يشير إليه على خطوط « الدروميا » ويمكن التأكد من ذلك بإجراء هذه التجربة البسيطة على مريض يعاني من زيادة ضربات القلب عن المعدل الطبيعي ، ويمكن تشخيص ذلك بسهولة بجس النبض من منطقة الرسغ وبالنظر إلى (**الشكل رقم ٢**) الذي يوضح خط الدروميا الخاص بالقلب كما يظهر وجود ثلاث نقط . النقطة (أ) وهي تقع خارج خط « الدروميا » وعند رشق أي إبرة بحيث تكون متعامدة مع سطح الجلد ولمسافة ٢ ـ ٣ ملليمترات ولعدة دقائق نلاحظ أنه لم يحدث تغير في عدد ضربات القلب ، والآن عند رفع الإبرة ورشقها على خط الدروميا في النقطة (ب) يحدث نقصان شديد في عدد ضربات القلب . أما عند رشق الإبرة بنفس الطريقة في النقطة (جـ) التي تقع أيضاً على خط الدروميا نلاحظ عودة النبض إلى وضعه الطبيعي . لذلك فالنقطة (جـ) هي النقطة المستخدمة في العلاج بالإبر الصينية في حالات زيادة عدد ضربات القلب . ولكن **يجب التحذير من سوء استخدام الإبر الصينية .. فالإبر الصينية إذا وضعت في أماكن أخرى غير التي يتحتم الرشق فيها سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة ، وقد تضطرب وظائف أخرى بالإضافة إلى المرض الأساسي . إذن فالإبر الصينية سلاح ذو حدين ، ولذا يجب استخدامها بحذر شديد ، والأمر يحتاج إلى المزيد من**

الدراسة والتدريب قبل الإقدام على استخدامها في العلاج .

الإبر الصينية في التخدير

أمكن أخيراً استخدام الإبر الصينية في التخدير ، وأجريت العديد من العمليات لمرضى وضعوا تحت تأثيرها . فمثلاً أمكن قص عظام الصدر وإجراء عملية استئصال رئة كاملة باستخدام الإبر الصينية ، والعجيب أن الجراح يمكنه التحدث مع المريض أثناء العملية ، والمريض يجيب على أسئلته دون أن تبدو على وجهه أي علامات للألم أو شيء من هذا القبيل . كما أمكن إجراء العمليات القيصرية وإزالة الأورام والسرطانات من أماكن مختلفة وغير ذلك من العمليات . **والتخدير بالإبر الصينية ـ بدون شك ـ يريح المريض من مضاعفات التخدير بالطرق التقليدية ، ولكن لا بد وأن نشير إلى أن استخدام الإبر الصينية له أيضاً مضاعفاته وعلى رأس هذه المضاعفات الالتهاب الكبدي الوبائي .**

وميكانيكية فعالية الإبر الصينية ما زالت مجهولة ولو أن العديد من النظريات وضعت لتفسيرها إلا أنها كلها منقوضة ولا يمكن الأخذ بها ، والأبحاث التي أجريت أخيراً أثبتت أن التأثير المسكن للألم الذي تحدثه الإبر الصينية عند رشقها في أماكن محددة بطول خطوط « الدروميا » يرجع إلى إفراز **مادة الأنكفالين (المورفين الطبيعي)**[1] ، التي تلتصق بسطوح الخلايا العصبية في مراكز المخ الخاصة بالألم مما يوقف الشعور بالألم .

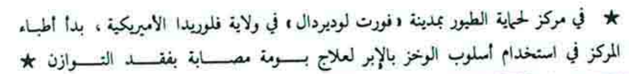
نموذج للتعليم يرجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، وتظهر عليه خطوط الدروميا ونقط رشق الإبر الصينية .

الأذن والإبر الصينية

وجد حديثاً أن جميع أجزاء جسم الإنسان ممثلة في صوان الأذن الخارجي على هيئة جنين رأسه يتجه إلى أسفل . وبعد تجارب وأبحاث أمكن علاج كثير من حالات السمنة والأمراض السيكوسوماتية وتقليل التدخين والإقلاع عن الخمر عند المدمنين بواسطة وضع مشبك صغير في المكان المناسب في صوان الأذن .

وعلاج السمنة بالإبر كان له أفضل النتائج بالنسبة لتطوير الأبحاث في علاج الأمراض الأخرى .. فوضع كبسولة من المعدن في نقطتين على صوان الأذن تمثلان الفم والمعدة مع وضع نظام غذائي خاص للمريض غني بالبروتينات . وبعد فترة قليلة قلت شهية المريض تدريجياً وبدأ في الامتناع عن المواد الغذائية التي تسبب السمنة تلقائياً حتى وصل إلى عدم الاكتراث عند رؤية المواد التي كان يشتهيها من قبل مثل الحلويات والشيكولاته . وميزة هذه الطريقة أن المريض لا يشعر بالحرمان ولا يبذل جهداً للامتناع عن الأكل ، ولكنه يشعر بالهدوء والسعادة خاصة بعد فقد بعض الكيلوجرامات الزائدة . وفي بحث أجري على ١٨٠ حالة ــ ٤٤ من الرجال و ١٣٦ من النساء ــ كانت النتائج واضحة وإيجابية في ٦٠٪ من الحالات .

وهكذا فالإبر الصينية التي عرفت واستخدمت من آلاف السنين ، وثبت نجاحها في علاج العديد من الأمراض .. ومع ذلك ما زلنا نجهل الكثير عنها ولم نستفد منها الاستفادة الكاملة .


★ في مركز لحماية الطيور بمدينة « فورت لوديردال » في ولاية فلوريدا الأمريكية ، بدأ أطباء المركز في استخدام أسلوب الوخز بالإبر لعلاج بومة مصابة بفقد التوازن ★



الهوامش

(١) **المجلة** : طالع الموضوع الموسع المصور عن المورفين أو الأفيون الطبيعي في العدد (٨٩) من مجلة « **الفيصل** » الصادر في شهر ذي القعدة ١٤٠٤ هـ ، الموافق شهر آب (أغسطس) ١٩٨٤ م .



إعـداد : نبـيل حسـون

جرت العادة ، في القرون الوسطى في أوروبا وخاصة في فرنسا ، أن يُعض خنْصر الميت بقوة وذلك قبل دفنه . ومن هنا أتت التسمية الشعبية المضحكة للذين يدفنون الموتى في فرنسا بـ « قضّام أو عضّاض الموت » (Croque-mort) . إن هذه الطريقة كانت تتحقق من كون الميّت غير متأثر بغشيان أو إغماء . إذ إنه لوحظ ، في بعض الأحيان ، استرداد الجسد الفاقد الوعي للحياة ، وذلك بقرص الخنصر بقوة في مكان يقع عند جذر الظفر ومن طرف أذنين القلب . إن هذا الموضع ينطبق تماماً مع النقطة التاسعة لـ « خط القلب » عند نقطة الإنعاش والتنشيط القلبية المعروفة والمستعملة من قبل الطب الصيني « الوخز بالإبر » ، وذلك منذ ستة آلاف سنة .

لقد تبيّن أنه في **الحقبة النيوليتيكية (أي في العصر الحجري الأول)** ، استعمل الصينيون طريقة طبية متكاملة ومختلفة كل الاختلاف ، إن لم نقل متعاكسة ، مع الطب الغربي الحديث .

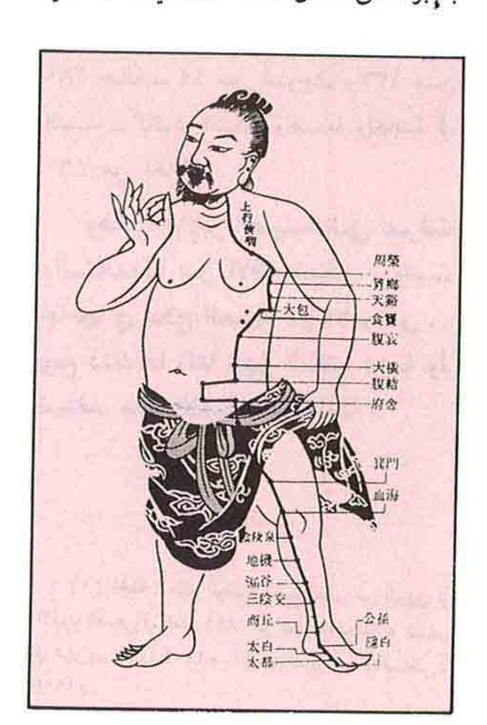
إن الطب الحديث هو موضعيّ بشكل رئيسي (أي يُعالج العضو والمرض في وقت واحد) ، ستاتيكي وعلاجي ، بينما الوخز بالإبر ، على عكس ذلك ، فهو كلي ، ديناميكي وفي نفس الوقت وقائي وعلاجي : فهو يُعالج دون اللجوء إلى الأدوية ، سواءً الاضطرابات الفيزيولوجية أو النفسية للإنسان أو الاثنين معاً .

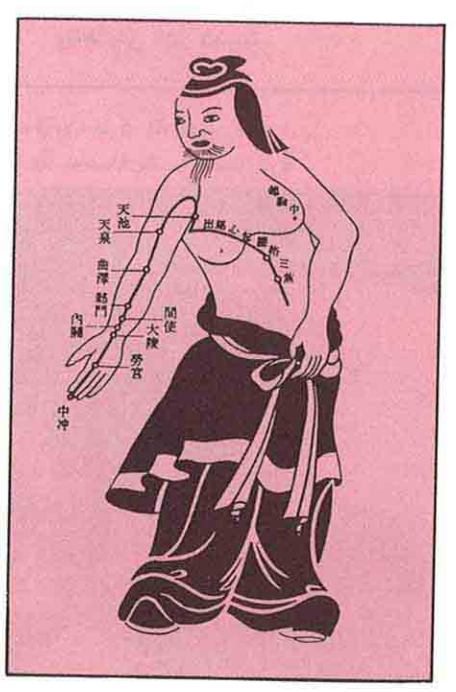
لأنه يأخذ في الاعتبار شخصية الإنسان المُعالج وكذلك محيطه الطبيعي .

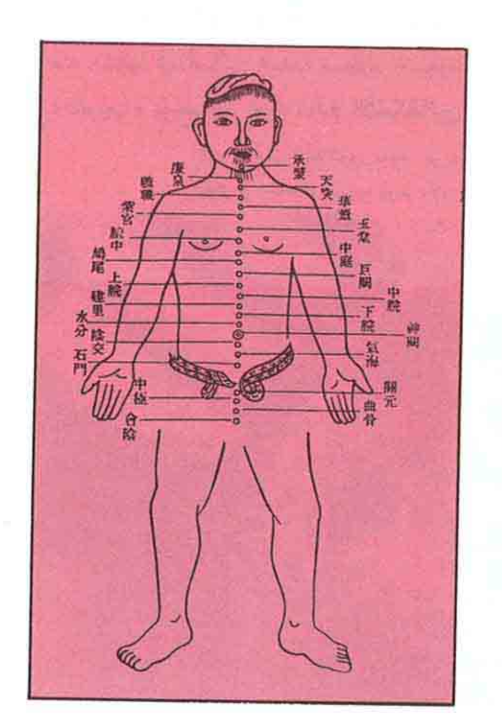
المفهوم الصيني للوخز

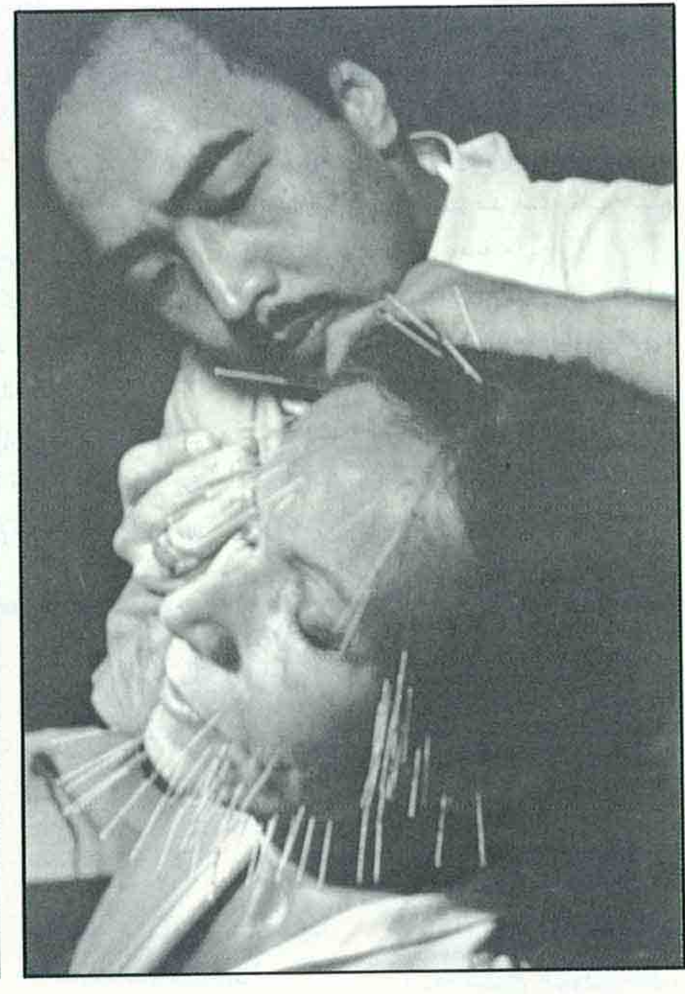
إن طريقة الوخز بالإبر تُدرس وتُمارس كذلك في **اليابان وكوريا وفيتنام** . وحيث إنها طريقة علاجية واقتصادية ، فهناك عدد كبير جداً من الأطباء الصينيين يُرسلون إلى الريف الصيني بعد دراسة مدتها ثلاث سنوات ، إضافة إلى المراكز العديدة للوخز بالإبر في مستشفيات المدن الصينية .

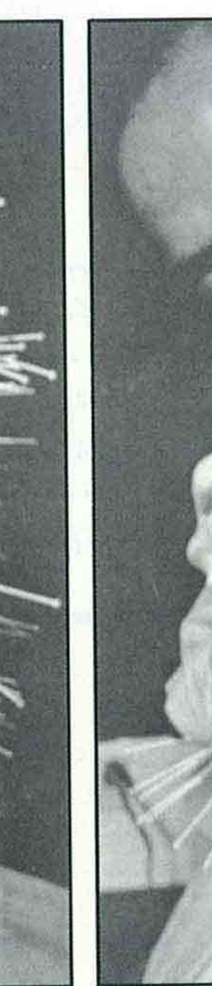
أما خارج الصين فالوخز بالإبر يُدرس في كليات الطب وفي مخابر المداواة الطبيعية في **الاتحاد السوفييتي** . وهو موضع بحث وتجارب







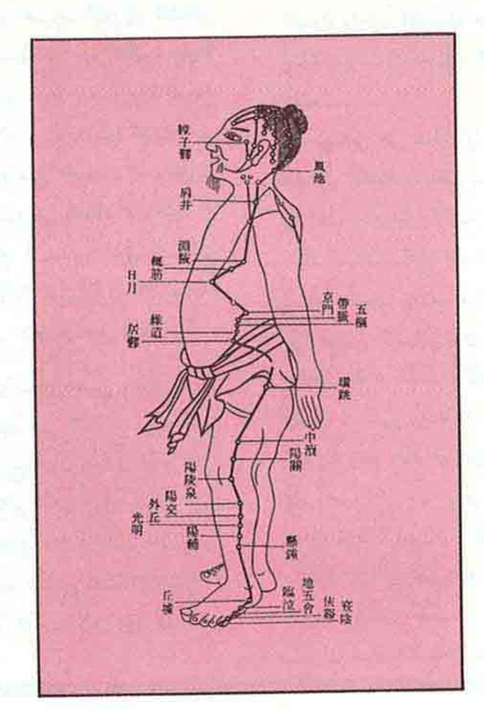




في **أوروبا وأميريكا** وخاصة في **فرنسا**، إذ بدئ منذ عدة سنوات بتدريسه وتطبيقه في المستشفيات.

و « الوخز بالإبر » مُرتبط بشكل وثيق مع المفهوم الصيني للعالم : الـ « تاو »[1] (أي الطريق)، حيث إن « كل شيء هو في كل شيء ». وبتعبير أوضح، أي أن الإنسان هو جزء من هذا العالم، حيث تسري الطاقة الحيوية أو « T'sri »، كما يسميها الصينيون، والمؤلفة

★ رسومات صينية تبيِّن مواقع غرز الإبر في جسم الإنسان ★





الوخز بالإبر

من « قوتين » أو « مادتين » متعاكستين ومتكاملتين كما هي الحال بين النهار والليل : الـ « ين » والـ « يانغ »[2] حسب التعبير الصيني . إن هذه الطاقة تسري في الإنسان تبعاً لإيقاعات مماثلة لسريان الـ « T'sri » في العالم .

فالـ « ين » يمثل ما هو بارد ، ظليل ومعتم ، وأنثوي ؛ أما الـ « يانغ » فيمثل ما هو حار ، شمسي ، ومذكر .. والتوازن ما بين الـ « ين » والـ « يانغ » يثبت النظام في هذا العالم ويحافظ على صحة الكائن الحي .

إن الـ « ين » والـ « يانغ » تسريان في الجسد في تيّار مزدوج ، الأول صاعد والثاني هابط على طول الخطوط . وزيادة أو نقصان الـ « ين » أو الـ « يانغ » في جزء من الجسد أو في عضو منه ، يُسبب المرض . وبذلك يأتي « دور الوخز بالإبر » بتجديد وإصلاح الصحة ، بإعادة التوازن في الجسد بين الـ « ين ــ يانغ » .

أما الأسلوب فهو : إيلاج الإبر المعدنية في بعض النقاط المحددة بدقة كبيرة ، والموجودة على طول الخطوط في جسد الإنسان حسب التصاوير الصينية .

أما في الحقبة النيوليتيكية ، فكان الصينيون يستعملون مخارز من الحجر (وفي بعض الأحيان من الخيْزُران) . وقد بيّنت بقايا الحفريات الأثرية في **إفريقيا الشمالية** أن حضارات أخرى كانت قد استعملت هذه الطريقة للتطبيب في حقبة ما .

والنقاط المستخدمة في « الوخز بالإبر » تبلغ (٧٤٠) نقطة ، تُعد كل واحدة منها « قفل » يُدخل فيها الواخز بالإبر « مفتاحاً » هو الإبرة كي تبدّد أو تقوي ، كي تفتح أو تُغلق « الباب » أو « البوابة » التي تتدفق أو تسيل منها الطاقة .

ونقاط غرز الإبر محددة بشكل دقيق على

الوخز بالإبر .. من منظور علمي وتجريبي

ألقى الطبيب السعودي الدكتور يحيى ناصر خواجي الأستاذ المساعد في كلية الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام ، والطبيب في مستشفى الملك فهد الجامعي في مدينة الخبر محاضرة عن الوخز بالإبر الصينية .

والجدير بالذكر أن الدكتور خواجي حاصل على شهادتي دكتوراه إحداهما في علم الأعصاب ، والأخرى في الوخز بالإبر الصينية .. وقد اقتطفنا من محاضرته النقاط التالية :

●● التعريف بالوخز بالإبر (acupuncture) :

إن كلمة الوخز بالإبر (acupuncture) مشتقة من اللغة اللاتينية وهي كلمة مركبة من شطرين :

أ ــ (acu) ومعناها إبرة .

ب ــ (puncture) ومعناها وخز .

وبذلك يكون معنى كلمة (acupuncture) الوخز بالإبر .

●● تاريخ الوخز بالإبر :

يرجع تاريخ الوخز بالإبر إلى ما قبل خمسة آلاف سنة وذلك بالتجربة والملاحظة ، فلقد كان قدماء الصينيين يعالجون من آلامهم بفرك الجسم بالحجارة وأيضاً من جراء الحروب ، فلقد لاحظوا أن الجنود الذين تعرضوا لضربات عديدة بالسهام معظمهم لا يعانون من آلام بالرغم من تعدد الجروح والسبب في ذلك يعود إلى وخز الجسم بالأسهم في مناطق مختلفة مما أدى إلى توقيف الآلام .

فمن ظاهرة فرك الجسم بالحجارة عند علاج الآلام ومن ظاهرة الرمي بالسهام في الحروب أدى إلى التفكير في إيجاد وسيلة علاجية أطلقوا عليها الوخز بالإبر . ومن هنا بدأ تاريخ الوخز بالإبر ، وأول إبرة كانت على شكل نوع من الحجارة ثم تطورت الإبر إلى نوع من العظام ثم الحديد ثم الفضة ثم الذهب . وفي الوقت الحاضر الأكثر انتشاراً في الاستخدام هي الإبر المصنعة من الفضة .

وأول سجل طبي صيني عثر عليه مكتوباً من ٢٠٦ سنوات قبل ميلاد المسيح ودوّن به أول نجاح عرف للوخز بالإبر لأحد أمراء ولاية وارنق بالصين الذي كان في غيبوبة ، ولقد قام بعلاجه الدكتور pien chueh kuo مستخدماً الوخز بالإبر حتى أفاق من غيبوبته .

●● المفاهيم الفلسفية للتطبيب بالوخز بالإبر :

إن ظاهرة التطبيب بالإبر الصينية مبنية على عدد من المفاهيم الفلسفية ، فالكون كله مكوّن من أشياء كثيرة معتمدة بعضها على بعض ليستمر التوازن وأجزاء الإنسان ما هي إلا عبارة عن مرآة لأجزاء الكون من حوله .

وينطبق على هذا الإنسان نفس القوانين الكونية ، ولكي يتم التناسق والتآلف والتوافق لا بد أن يكون هناك شيئان يكمل بعضهما الآخر ليستمر الثبوت والاستقرار ، ويطلق على هذين الشيئين ين yin ويانج yang ويمثلان الذكر والأنثى ، الحياة والموت ، النور والظلام ، الحرارة والبرودة وغير ذلك كمجوف وصلب إلى آخره وكل من ين yin ويانج yang شرط أساسي في وجود الآخر ، فالكون كله في حركة ثابتة تنظمها قوتان وكذلك جسم الإنسان ، وكذلك ظاهرة الوخز بالإبر تخضع لقاعدة الخمسة عناصر وهي كالتالي :

★ **تكوين الكون :** النار ، الماء ، الأرض ، النبات ، المعادن .

★ **الطقس :** الربيع ، الصيف ، الصيف المتأخر ، الشتاء ، الخريف .

★ **النجوم :** جوبتر (jupiter) ، مارس (mars) ، ساترن (saturn) ، فينس (venus) ، ميركوري (mercury) .

★ **ألوان :** أخضر ، أحمر ، أبيض ، أصفر ، أسود .

★ **المذاق :** لاذع ، مر ، حلو ، مالح ، حامض .

وكل هذه تخضع للقوتين السابق ذكرهما ، وهما : ين yin ويانج yang .

وجسم الإنسان يتكوّن من خمسة ين yin وهي : (الكبد ، القلب ، الطحال ، الرئة ، والكلى) وخمسة يانج yang وهي : (المرارة ، الأمعاء

الألواح والصور الصينية . غير أنه يمكن إيجادها بواسطة اللمس بنهاية الأصابع ، حيث يمكن تحسّسها (لمن لديه الخبرة الكافية) على شكل كؤوسات صغيرة قاسية . وبعد غرز الإبرة في مكانها الصحيح ، يحدث أمر غريب : فكأن رأسها أضحى محاطاً بالطاقة ، فلا يُمكن تحريكها حينذاك بسهولة .

وتنصح الطريقة عدم غرز أكثر من أربع إلى خمس إبر في الجلسة الواحدة . وتكون نتائج العلاج مختلفة باختلاف نوع الإبر المستعملة ، طريقة غرزها هل هي بشكل عمودي أو مائلة على الجلد ، عمق الشكّة ومدّتها .

فمثلاً في نفس نقطة الـ « Chas – Raé » ، إذا تم غرز إبرة ذات خليطة معدنية أساسها الذهب ، تُعطي تأثيراً مقوياً يؤدي إلى مكافحة الاكتئاب وفقدان الذاكرة ؛ أما إذا استعملت إبرة من الفضة فهي تؤدي إلى تبديد الآلام في العصب المثلثي التوائم .

وحسب التأثير المرغوب ، يستطيع الواخز بالإبر أيضاً ، أن يحرّض النقطة المرغوبة بواسطة التدليك ، وذلك باستعمال تيار كهربائي ضعيف ومتقطع بانتظام . أو في بعض الحالات الأخرى ، في حال كون الحرارة مفيدة ، بوضع قطع صغيرة من أوراق أحد النباتات العطرة المسماة « أرطْماسية » في مشاقة الكتان وجعلها تُستهلك ببطء بالاحتراق (وهذا ما يُشبه طريقة الكيّ) .

معالجة الأسباب

والسؤال المطروح : كيف يستطيع الواخز بالإبر تحديد النقاط التي يجب شكّها ؟ .

والجواب هو بالبحث عن « الأنباض » (جمع نبض) ، إذ إنه بعكس الطب الحديث الذي لا يقبل بوجود سوى نبض واحد وهو النبض الانقباضي ، **فإن الطب الصيني يعتبر وجود لا أقل من اثني عشر نبضاً .**

الرفيعة ، المعدة ، الأمعاء الغليظة ، والمثانة) .

وهناك أيضاً خمسة أعضاء للإحساس : (العين ، الأنف ، الفم ، الأذن ، واللسان) .

وأي خلل في جسم الإنسان بمرض ما يعود إلى حدوث عدم التوازن داخله بين يين yin ويانج yang . لذلك يجب أن يعود التوازن بينهما لترجع الصحة والطمأنينة للجسم ، وفي اعتقاد الصينيين أن اضطرابات الجسم سواء داخلية أو خارجية تنعكس على نقاط في الجلد سواء سطحية أو داخل البشرة الجلدية ، وهذه الظاهرة تخضع لقوة حيوية .

وهذه القوة الحيوية تدور خلال الجسم عن طريق شبكة من قنوات أو ممرات يطلق عليها (meridians) التي تحوي على خصائص الين the yin واليانج the yang . وعلى هذه القنوات توجد ٣٦١ نقطة (point) تحمل أيضاً خصائص الين واليانج ، وأي خلل يحدث في جسم الإنسان إما أن يكون بازدياد الين وانخفاض اليانج أو العكس ، وعلى الطبيب أن يغرز الإبر في نقاط معيّنة على ممرات معيّنة لتعيد القوة الحيوية إلى طبيعتها ومدى تأثير الإبر في المعالجة يعود إلى اختيار النقاط المناسبة مع مراعاة الطقس والغذاء .

●● كيفية التطبب :

التطبب بالوخز بالإبر الصينية في الأصل يرجع إلى حالات ثلاث :

(١) (traditional acupuncture) وهذه الصيغة من التطبب تنظر إلى جميع الجسم بصورة عامة بصرف النظر عن موضع الداء وذلك بفحص جميع أعضاء الجسم قبل العلاج كما هو في الكتب الطبية الصينية القديمة وهي ناي شنج (nay ching) ، سو وين (su wen) ، لينج شو (ling shu) ، ونان شينج (nan ching) .

(٢) (symptomatic acupuncture) وهذه الصيغة من التطبب هي العناية بمعالجة الأمراض الحادة .

(٣) (acupuncture anesthesia or analgesia) وهذه الصيغة من التطبب التخدير بالإبر الصينية لمكافحة الآلام الناتجة من العمليات الجراحية والحوادث ونحو ذلك .

ولقد استفاد الغرب من ظاهرة التخدير بالإبر الصينية في اكتشاف مادة البنج الطبيعية ، الذي اكتشفها الدكتور هيوجس في اسكوتلاند ببريطانيا في المعهد العام لصحة الأمراض العقلية في عام ١٩٧٥ م ، وهذه المادة يفرزها الدماغ وتجرى الآن الأبحاث في أميركا وأوروبا لاكتشاف أسرار ظاهرة التخدير بالإبر الصينية التي يتم بها إفراز هذه المادة الطبيعية التي تحل محل البنج . ومما يؤكد أن الوخز بالإبر وسيلة لإفراز مادة (endorphine) ما قام به أستاذ علم الأدوية الدكتور هوريس لو ، في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ــ مدينة سان فرانسيسكو ، ببحث ألقاه في مؤتمر الأكاديمية لأبحاث الآلام في أغسطس (آب) ١٩٨٢ م ، حول موضوع الوخز بالإبر وأنه من الوسائل التي تؤثر على المخ لإفراز مادة البنج .

●● العلاج بالوخز بالإبر :

إن ظاهرة استخدام الوخز بالإبر في علاج الأمراض ظاهرة قديمة في الصين وكوريا وأصبحت الآن متداولة في جميع المستشفيات الصينية والكورية ليس فقط للتخدير في العمليات الجراحية أو مكافحة الآلام بل للعلاج بصورة عامة .

أما عن استخدام الوخز بالإبر في دول أوروبا وأميركا وشرق آسيا فهي تركز على استخدام هذه الظاهرة في مكافحة الآلام الحادة والمزمنة كالآلام الناتجة من السرطانات وآلام الظهر وآلام الرأس بما فيها أمراض الرأس النصفية ومكافحة الروماتيزم والآلام العصبية ومكافحة الآلام الناتجة من العمليات الجراحية ، كما واستخدمت هذه الظاهرة بصورة واسعة في عمليات الأسنان الجراحية والعمليات الصغيرة كاستئصال اللوز والزائدة الدودية .

كما وأجريت عمليات كبيرة مثل العملية القيصرية وعملية الغدة الدرقية ولكنها محدودة . كما واستخدمت ظاهرة الوخز بالإبر في الأذن لمعالجة الإدمان على المخدرات والمسكرات وتخفيف الوزن والإدمان على التدخين .

●● الخلاصة : فيما تقدم الذكر عنه نستنتج أن الوخز بالإبر أحرز نتائج جيدة في مجال التخدير ومعالجة الآلام الحادة والمزمنة عوضاً عن استخدام المسكنات التي لها تأثير على الجهاز العصبي والتي تؤدي إلى الإدمان على المخدرات . فيا حبذا لو أن المسؤولين يشجعون الأبحاث في هذا المجال ويستقدمون الخبراء الذين لهم باع طويل في هذه الدراسة من ألمانيا والنمسا وبريطانيا وأميركا والصين ليوسعوا نطاق التطبب بهذه الظاهرة التي ليس لها آثار جانبية ولعل جامعة الملك فيصل أول من تتبنّى هذا المشروع .

فهناك مجموعة من النبض الطويل والنبض القصير، مجموعة من النبض الواسع وأخرى من النبض الدقيق. يمكن تحديدها بثلاثة قطاعات مختلفة من القبضة، تُقابل ثلاث نبضات مختلفة من **الشريان القلبي**.

وقياس «الأنباض» يسمح بالكشف عن العضو الذي يشكو منه المريض سواء من قلّة أو زيادة الطاقة؛ وبالتالي يتم غرز الإبر في المواضع الموافقة لهذا العضو، وليس في المواضع المرتبطة بأعراض المرض. **بذلك يكون الواخز بالإبر قد أثّر بشكل مباشر على اختلال التوازن الحيوي لدى مريضه، وعلى نقاط التحكم بالصحة. وهو بذلك يُعالج سبب المرض وليس آثاره.**

ويعتبر الصينيون، أن كل إنسان مريض على طريقته، لذلك يأخذ الطب الصيني ليس فقط الإشارات المعطاة من «الأنباض»، ولكنه يدرس إضافة إليها العوامل الخارجية، تصنيف المريض (هل هو نموذج «ين» أم «يانغ»)، الساعة والفصل.

فمن أجل مريض نموذج «يانغ»، وهو النموذج الذي يتمتع بسريان سطحي للحرارة، يتم غرز الإبر بشكل أقصر (أي أقل عمقاً) منه في مريض من نموذج «ين» حيث يتم السريان في العمق لكونه أكثر بطأً من الشكل الأول.

كذلك تختلف المعالجة في إعادة التوازن، حسب الوقت، صباحاً أو مساءً، في الصيف أو الشتاء.

وكما أن الحرارة أو النتاج الحراري في الجسم البشري الصحيح يتبع منحنى خلال الأربع والعشرين ساعة، مع نقاط أصغرية وأعظمية متوافقة بانتظام مع ساعات معينة في النهار أو الليل، كذلك تدخل أعضاؤنا الرئيسية في مجال نشاط أكثر أو أقل كثافة حسب الساعة وحسب الفصل.

وهكذا فإن فترة النشاط الأعظمي للقلب، حسب الطب الصيني، تكون ظهراً، وفترة نشاطه الأصغري تكون في منتصف الليل.

أما بالنسبة للحرارة فإن نشاطها الأعظمي الحدي يكون في منتصف الليل، حيث تكون

الوخز بالإبر

فعالية أعضائنا أعظمية، تفسِّر أن نوبات **الصرع** تقع غالباً بين منتصف الليل والساعة الثالثة، ونوبات **الربو** تقع بين الساعة الثالثة والخامسة صباحاً.

إن أبحاث بعض المختبرات الغربية بيّنت أن نسبة كمية **الكولسترول** في الجسم تبلغ أعظمها في الخريف؛ وإذا عرفنا أن الكولسترول هو ناتج بشكل رئيسي من الكبد، نرى توافق ذلك مع الطب الصيني، إذ إنه يعتبر أن فترة النشاط الأعظمية للكبد هي في الخريف.

توافقات

لقد عرف الصينيون، منذ آلاف السنين، ارتباط الجهاز العضوي للإنسان بالتوقيت البيولوجي العالمي. وهذا ما توصلت إليه أخيراً دراسة الاضطرابات الفيزيولوجية التي يتأثر بها أعضاء طاقم الطيران الطويل المدى، وذلك بسبب الاجتياز السريع للمناطق الزمنية، وكذلك دراسة الخلل الحاصل من الحرمان المستمر من الضوء النهاري.

لقد أقام الطب الصيني توافقاً وارتباطاً دقيقين بين مختلف الأعضاء الرئيسية لجسم الإنسان وبين العناصر الأساسية الخمسة للعالم، التي تكون محيطنا الطبيعي:

- **النار**: والتي تقابل فصل الصيف، القلب، الأمعاء الرفيعة، الكولون الوسطي، المنظّم الحراري ومنظّم الطاقة الموجّه من قبل خط «المسخن الثلاثي» حسب التعبير الصيني.
- **الخشب**: ويقابل فصل الخريف، المرارة والكبد.
- **الماء**: ويقابل الشتاء، المثانة والكلية.
- **المعدن**: ويقابل الخريف، الرئة والمعي الغليظ.
- **الأرض**: وتقابل ما بين الفصول، الطحال والبنكرياس.

إن الطاقة الحيوية أو «T'sri» تسري من عنصر أو عضو إلى آخر حسب إيقاع محدد. فحسب ما إذا كان واقعاً أعلى أو أسفل عضو آخر، أو إذا كان هناك تفاعل وتأثر للواحد على الآخر؛ يستطيع عضو سليم، من تلقاء نفسه أو تحت تأثير الوخذ بالإبر أن يوافق عضواً مريضاً وذلك بموازنة الزيادة أو النقص في الطاقة لديه.

إثباتات علمية

إن فرنسا هي الدولة الغربية الأكثر اهتماماً بالوخز بالإبر، حيث ينقسم ممارسوها إلى قسمين: «الغربيون» وهم الأكثر، ويمارسون علاج أعراض المرض؛ و«التقليديون» ويمارسونها طبقاً لتعاليم التقاليد الصينية.

والقسم الأول بجمعه بين الطب الحديث والوخز بالإبر، يسهّل استيعاب الأخير من قبل الدارسين، فهو يرتكز على الأعراض المقدّمة من قبل المريض ومن أجل نفس العرض هناك سبع أو ثمان نقاط مختلفة في الجسد. إذ إنه من الناحية النظرية، يكفي أن تُغرز إبراً في جميع هذه النقاط لتطويق المرض.. ولكن من وجهة نظر التقليديين الذين يعتبرون أنفسهم الممارسون الحقيقيون للوخز بالإبر، فإن هذا الشكل من العلاج ناقص وخطر.

إنه ناقص لأن الأعراض التي قد تكون خداعة، يمكنها أن تحجب السبب الحقيقي للمرض وأن الطريقة بهذا الشكل لا تعمل على التأثير على اختلال الطاقة الحيوي والمسبب الأصلي للمرض.

وهو خطر، لأنه يزعم شفاء المرض دون الأخذ بالاعتبار الإيقاعات الضرورية لسريان الطاقة في الجسم الحي وفي العالم.

ومن هنا تأتي، حسب ما يعتقده التقليديون، ردود فعل سيئة أو عودة الاضطرابات بعد عدة أشهر من المعالجة بهذه الطريقة. ويظهر أن افتراضات «التقليديين» قد أثبتت بعد اكتشافات علمية حديثة أجريت من

قبل باحثين فرنسيين وأوروبيين وأميريكيين وسوفييت ويابانيين ، وذلك في مجال إلكترونية الأحياء (إلكتروبيولوجي) ، وفي الكهرطيسية وفي دراسة الأعصاب .

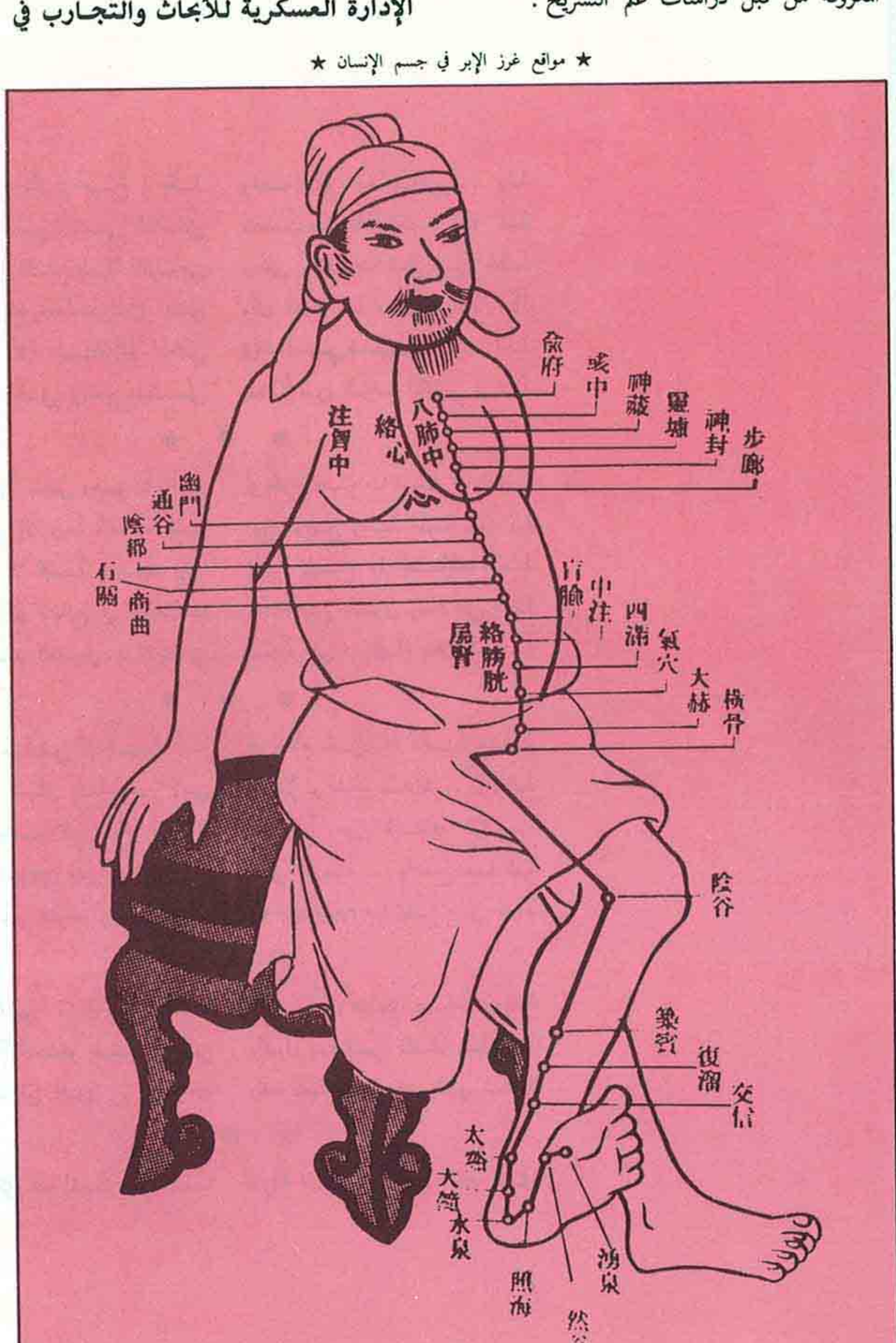
فقد تم التحقق من ثلاثة قوانين وطرق عمل أساسية للوخز بالإبر الصينية :

●● **الأول :** وجود طاقة تسري في الجسم بأشكال مختلفة وبشكل دوري ، خارج الدائرة المعروفة من قبل دراسات علم التشريح .

●● **الثاني :** سريان هذه الطاقة على طول خطوط جلدية تؤدي إلى نقاط دماغية تتحكّم بعمل الأعضاء .

●● **الثالث :** إعادة الحقل الكهرطيسي لوضعه الأصلي في جسم الإنسان أو الحيوان وذلك بغرز الإبر : وهي الحادثة الرئيسية ، لأنها قد أثبتت ، (بفضل أبحاث Prioré التي توبعت من قبل **البروفيسور** LWOFF **الحاصل على جائزة نوبل للطب** ، وكذلك من قبل **الإدارة العسكرية للأبحاث والتجارب في فرنسا**) ، أن الخلل في الحقل الكهرطيسي في جسم الإنسان يؤدي إلى التسبّب في كل الأمراض . بينما إعادة توازنه الأصلي هو سبب الشفاء من هذه الأمراض ومن ضمنها بعض أمراض **السرطان** .

★ مواقع غرز الإبر في جسم الإنسان ★



تطابقات محيرة

لاحظ بعض الأطباء والباحثين الأوروبيين وغيرهم ، أثناء قيامهم بأبحاث على الوخز بالإبر ، أن المفهوم الديناميكي الصيني للعالم الـ «تاو» ، يمكن أن يُترجم إلى لغة ثنائية ، أي إلى اصطلاح يمكن حلّ رموزه من قبل **الحاسب الإلكتروني** .

كذلك يمكن أن يُمثل بواسطة منحن جيبي ، وشكله الأساسي يُمكن أن يُمثل أيضاً التنافر (مادة ــ مقابل المادة) ، أو يمكن أن يمثل بنية الـ ADN وهي المادة التي تحتوي خواصنا الوراثية . إن مقطع شريحة من جزيء الـ ADN له تماماً نفس التمثيل البياني لرمز الـ «تاو» : إذ إنه في وسط الـ «تاو» يوجد (٦٤) تركيباً ممكناً لمكوناته الثلاثية ، وكذلك هناك (٦٤) تركيباً ممكناً للأحماض الأمينية المؤلفة للـ ADN .

الهوامش

(١) الـ «تاو» : بمعنى الطريق . وترمز إلى تعاليم الفيلسوف الصيني «لاوتسي» بين القرن السادس والسابع قبل الميلاد . ومن كتابه «تاو تين كينغ» أي كتاب الطريق والفضيلة .

(٢) «ين ــ يانغ» (Yin – Yang) : تعبيران صينيان يرمزان إلى المبدأين أو القوتين المتعاكستين والمتكاملتين ، اللتان باتحادهما يتألف الكون .



شعر: أحمد مرتضى عبده

عادَ الصباحُ وأنتِ صبحٌ لم يَعُدْ　　وغفَتْ رياحٌ، جفَّ في قلبي.. زَبَدْ
ورأيتُ حُلمي ينتمي للاتي　　فنفضتُ عني الأمنياتِ.. وما تلِدْ
فبكى على قلبٍ يراهُ مُضَيِّعي　　ومضى يُهدهِدُ ما تبقّى من جَلَدْ
ومضى الصباحُ وجفَّ نورك في يدي　　وأتى النهارُ لما استراحَ وما خَلَدْ
ورأيتُ أني بالملالةِ بعتُني　　وبَخستُ نفسي فانتهيتُ بلا.. أحَدْ
ما ضرَّ أن ألقى بواهمِ نبضتي　　بعضاً من الوهم المكرّسِ لِلأمَدْ

● ● ●

ما كنتِ إلا بعضَ وهم مشاعري　　أو جُرحَ قلبٍ ما تبدّى في جَسَدْ
ما كنتِ إلا وردةً ذَبُلتْ بها　　روحُ الأريج وشذٌ منها ما وَرَدْ
ما كنتِ إلا نجمةً كذبتْ بها　　رؤيا المساءِ ولم يُضَوِّءْها أحَدْ
وحسبتُ أني نافح في نبضها　　ما نامَ مِن جدوى وقامَ على بَدَدْ
لكنهُ وهم الغرورِ.. فليتني　　ضيَّعتُهُ مني.. فهامَ بلا بَلَدْ..!

● ● ●

أنا واهمٌ أمضي أم الوهمُ أنا　　أنا قائم حُزناً أم الحزنُ سَجَدْ
يا ليلةً تأتي بأطياف الأسى　　ما ضرَّ لو أشكو سُداكِ.. وأجتلدْ
يا ليلةً يغفو الصباحُ ببابها　　مُتمرِّساً دورَ النديم المنفردْ
: هذا فؤادي مُوغلٌ في تيهه　　فمتى أُلملمهُ.. وأجمعُ ما شرَدْ
ومتى يضمِّد جرحَهُ ومعي هوىً　　ما زال يهدم ما تبقّى من عَمَدْ

● ● ●

يا ليلةً تمضي.. ويمضي عُمرُها　　وتضيف في عمري صباحاً لم يَعُدْ
أنا قادمٌ أسخو بفيض مِلالتي　　وأقول يا قلبي كفانا ما نَجدْ
فلقد تعبتُ من الهوى.. وجراحِهِ　　ولقد تعبتُ من انتظاري للأبدْ

● ● ●

يا قلبُ يكفي ما لقيتَ من العَنَا　　«ودِّعْ هواكَ» ودعْ جراحَك تبتَرِدْ



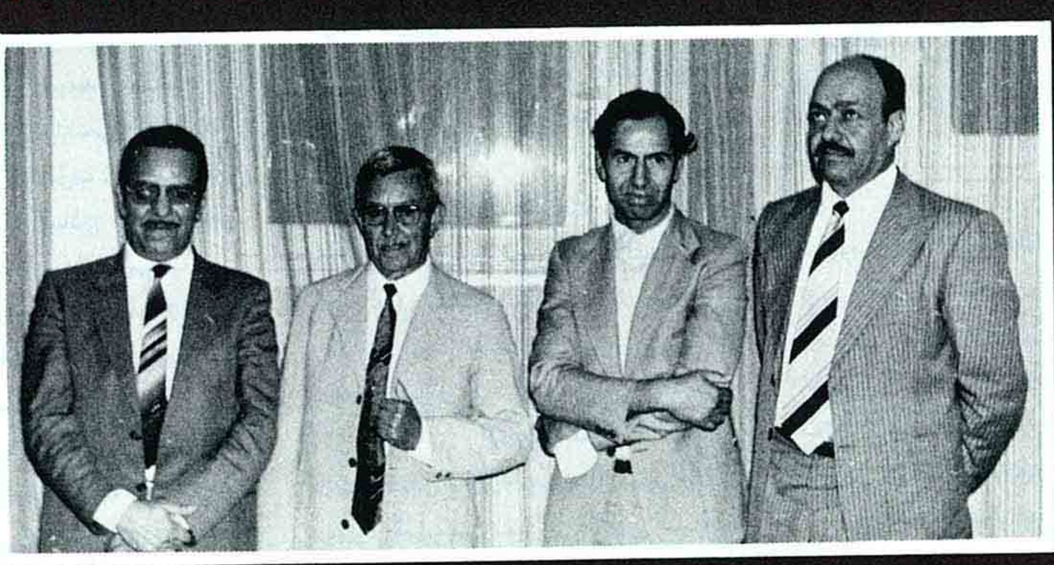
أبو القاسم الشابي

في ذكراه الخمسينية

إعداد: مصطفى عبد الله

أحيت تونس ـ أخيراً ـ الذكرى الخمسينية لرحيل شاعرها العربي المعروف (أبو القاسم الشابي) صاحب (أغاني الحياة) وصاحب (الخيال الشعري عند العرب).

وقد كان الاحتفال تحت إشراف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وقام بافتتاحه في ولاية توزر ـ مسقط رأس الشابي ـ الأديب محمد مزالي الوزير التونسي الأول (رئيس وزراء تونس)، وحضره البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية، والدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.



★ أسرة الشابي من اليمين: ابنه الأكبر محمد الصادق الشابي، ثم الأصغر جلال الشابي، فشقيقاه عبد الله الشابي وعبد الحميد الشابي ★

أبو القاسم الشابي

وقد سافرت إلى تونس للمشاركة في هذه الاحتفالات الثقافية بذكرى **أبي القاسم الشابي** الذي حضره عدد كبير من الشعراء والأدباء والنقّاد أمثال: **الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي**، رئيس رابطة الأدب الحديث، **والدكتور مختار الوكيل**، رئيس جماعة أبولو الجديدة، **والدكتور عبد العزيز شرف**، نائب رئيس رابطة الأدب الحديث، **والدكتور جابر عصفور الدكتور سعد مصلوح لطفي رابح جمعة**



★ جانب من الحلقات العلمية التي أقيمت في ولاية توزر ★

وقد شارك في المهرجان عدد كبير من الباحثين والمستشرقين المهتمين بالشابي.. حياته وشعره، من بينهم: **أبو القاسم محمد كرو**، أهم من أرّخ للشابي من الباحثين التونسيين. وقد قدّم بحثاً عنوانه (**الشابي من خلال وثيقة نادرة بخطه**)، **وعبد العزيز قاسم**، مدير دار الكتب التونسية، قدّم بحثاً عنوانه (**الشابي في سنوات المخاض** من ١٩٢٣ ـ ١٩٢٩م)، **سلمى الخضراء الجيوسي**، قدّمت بحثاً عن (**الرؤيا والموقف في شعر الشابي**).

وقدّم **أبو يعرب المرزوقي** بحثه عن (**الأسس الفلسفية في شعر الشابي**)، وكان بحث **الدكتور سعد مصلوح** عن (**لغة الاستعارة بين الشعراء الإحيائيين والرومانسيين العرب: تشخيص أسلوبي إحصائي لنماذج من شعر: البارودي، وشوقي، والشابي**).

وكان بحث **توفيق بكار** عن (**جدلية النور والظلام عند الشابي من خلال قصيدته «الصباح الجديد»**).

وكان المفروض أن يشارك **عبد الله محمد الغذامي من جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية** ببحث موضوعه (**محور الإيقاع والانفعال في قصيدة (إرادة الحياة) للشابي من خلال دراسة سيميولوجية**). وقد أدرج هذا الموضوع في البرنامج الرسمي للمهرجان، لكن الباحث لم يحضر.

وقدّم **محمد القاضي** بحثاً عن الشعر على الشعر في أغاني الحياة. وتحدث **المنجي الشملي** عن (**يوميات الشابي ورسائله**). كما تحدث **الدكتور جابر عصفور** من خلال بحثه الطويل عن (**مفهوم الخيال الشعري عند العرب**) من خلال عرضه ونقده لكتاب **أبي القاسم الشابي**.

وجاء بحث **كمال عمران** عن (**التداخل الدلالي بين الرومنطيقية والوطنية في شعر الشابي**).

وتحدث الدكتور **محمد عبد المنعم خفاجي** عن (**التجديد في شعر الشابي**).

أما شقيق الشابي الباحث **عبد الحميد الشابي** الذي يعد لنيل درجة الدكتوراه حول شعر **أبي القاسم الشابي**، فقد شارك في المهرجان ببحث موضوعه (**الحب ومنزلته في شعر الشابي**). وتحدث **محمد مصايف** من المغرب عن (**الشابي ناقداً**). وكذلك تحدث **عامر عذيرة** وهو أستاذ تونسي بجامعة ليون الفرنسية عن (**الشابي ناقداً وأديباً**). وتحدثت المستشرقة الإيطالية (**أنا ماريا سكونيا ميفليو**) عن تصورها للشابي بين الأدب والنقد والشعر.

وجاء بحث **المنصف الجزار** عن (**مصادر الشعور بالكآبة في أغاني الحياة**). وتحدث الباحث **صالح خرفي** عن (**العشرينات وأثرها في النهضة الفكرية والأدبية في المغرب العربي**). وتحدث الباحث **خليفة محمد التليسي** عن (**الجذور الغربية في شعر الشابي**). وجاء بحث **رابح لطفي جمعة** عن (**أبي القاسم الشابي بداية لمرحلة جديدة في الشعر التونسي**).

ورغم الإعلان في برنامج المهرجان عن بحث الدكتور **عبد العزيز المقالح** عن (**أبو القاسم الشابي شاعراً**)، إلا أن ظروفه لم تسمح بحضوره لإلقاء البحث.

أول احتفال بذكرى الشابي

وهذا ليس أول احتفال يقام للشابي في تونس، فقد أقيم الاحتفال الأول بعد أربعين يوماً من وفاته، وذلك في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٤م، وكان احتفالا أوسع من نطاق تونس، كما قال لي الباحث المؤرخ التونسي **أبو القاسم محمد كرو**.

وبعد هذا الاحتفال صارت تونس تقيم كل



★ محمد مزالي الوزير التونسي الأول يستعرض ما يضمه متحف الشابي ★

عامين أو ثلاثة أعوام احتفالا للشابي ، وكانت هذه الاحتفالات على نطاق تونسي فقط . ومر الحال هكذا إلى ما بعد الاستقلال ، حيث أقيم أول مهرجان عربي كبير بمناسبة مرور خمسين سنة على ميلاده وخمسة وعشرين سنة على رحيله . وكان ذلك المهرجان في سنة ١٩٥٩ م ، وقد اشترك فيه الرسامون والوثائقيون والباحثون الجامعيون والأدباء . وقد تميّز هذا المهرجان بمشاركة عدد من أصدقاء الشابي ، وممن يعرفونه معرفة دقيقة وعايشوه في أيام الدراسة وفي الحياة الأدبية ، ومن بينهم : **زين العابدين السنوسي ، ومحمد الصالح المهيدي ، ومحمد الحليوي ، ومصطفى خريف .**

وبعد هذا المهرجان أقيم مهرجان آخر على مستوى عربي سنة ١٩٦٦ م ، بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاته .

وفي عام ١٩٧٤ م ، أقيم مهرجان آخر بمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته ، حضره لفيف من الأدباء والشعراء والباحثين العرب وبعض المستشرقين من بينهم المستشرق المعروف **جاك بيرك** .

ملتقى الشابي

وبعد هذا المهرجان أقيمت في تونس عدة مهرجانات صغيرة وخصوصاً ما سمي (**بملتقى الشابي لمدينة توزر**) مسقط رأس الشابي . . هذا الملتقى الذي انعقدت دورته الأولى في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨١ م ، وليس هذا الاحتفال الخمسيني الذي أقيم في تونس أخيراً إلا الدورة الثانية من ملتقى الشابي . . وهو يصادف أيضاً مرور ٧٥ سنة على ميلاده .

تقييم المهرجان

أضافت الأبحاث التي ألقيت في هذا المهرجان الكبير معلومات جديدة عن الشابي . . حياته وشعره . كما كشفت الأوراق الخاصة والمخطوطات والوثائق التي ضمها متحف الشابي بولاية توزر ، تفاصيل جديدة تفيد الباحث .

وللاحتفال أبعاده الإيجابية منها الاهتمام بالشابي كشاعر تونسي على الصعيدين العربي والعالمي ، وخصوصاً بعد أن التقى العديد من الدارسين ورجال الصحافة والإعلام بأفراد أسرته وخصوصاً أولاده : **محمد الصادق الشابي ، وجلال الشابي** وأشقائه : **عبد الله الشابي وعبد الحميد الشابي .**

وقد كان اللقاء بأفراد أسرة الشابي هاماً جداً لكل من أراد معرفة أدق التفاصيل عن الشابي الشاعر والإنسان . وقد عاد هؤلاء الدارسون من تونس بأفكار كتب جديدة تتناول الشابي من زوايا غير تقليدية .

ومن أهم الإيجابيات أيضاً ما أولته تونس من عناية بشاعرها الذي وضعها على خريطة الشعر العربي المعاصر رغم فترة إبداعه القصيرة ، ورغم رحيله المبكر عن الحياة (٢٥ سنة فقط) .

حياة الشابي يرويها شقيقه

وقد حرص **محمد الطالبي** ، رئيس اللجنة الثقافية القومية بتونس ، والمسؤول عن تنظيم الاحتفال بالذكرى الخمسينية لأبي القاسم الشابي ، على أن تصدر كلمة تونس عن حياة شاعرها الشابي بقلم شقيقه الباحث **عبد الحميد الشابي** . وفيها قال :

هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم بن عمارة الشابي . ولآل الشابي أياد بيضاء في الحقل الفكري والوطني بتونس . فقد دافعوا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، عن تونس وحضارتها العربية الإسلامية ، وقد اتخذوا السيف والعلم وسيلة لبلوغ أهدافهم الوطنية انطلاقاً من القيروان حيث شبه دولة كان لها عظيم الشأن .

ووالده هو **محمد بن أبي القاسم الشابي** ، من مواليد سنة ١٨٦٩ م ، بالشابية بولاية توزر . وقد هاجر وهو شاب إلى مصر طلباً للعلم ورجع منها مجازاً من **الجامع الأزهر** ، بعد أن تتلمذ على يد **الشيخ محمد عبده** .

ثم حصل على شهادة التطويع **بجامع الزيتونة بتونس** . وبعدها ولِيَ القضاء متنقلاً عبر مختلف المناطق التونسية .

وقد رحل عن الحياة في ٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩ م .

أما الشابي الابن (الشاعر) فقد ولد في « **الشابية » بتوزر** بمنطقة « **الجريد** » المشهورة بواحات النخيل وعيون الماء في الجنوب التونسي ، وكان ميلاده في عام ١٩٠٩ م . **وقد**

أبو القاسم الشابي

تعلّم في توزر ثم تنقّل مع والده في مختلف أنحاء البلاد التونسية .

وقد كانت دراسته عبارة عن بعض دروس منزلية لقّنه إياها والده في سن مبكرة . ثم درس بالكتّاب عام ١٩١٤م . وسجل بجامع الزيتونة في عام ١٩٢٠م ، ثم حصل على شهادة التطويع منه في عام ١٩٢٨م ، والتحق بعد ذلك بمدرسة الحقوق الفرنسية في عام ١٩٢٩م .

وقد تزوّج أبو القاسم الشابي في سنة ١٩٣٠م ، **بشهلاء بنت إبراهيم بن عمارة بن إبراهيم الشابي** ، وهي إحدى قريباته . وأنجب منها **محمد الصادق** في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١م ، **وجلال** في ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٤م .

وقد كان له نشاط طلابي نراه في شعره وفي اهتماماته الأدبية . وقد ألقى كتابه **(الخيال الشعري عند العرب)** في شكل محاضرة بقاعة الخلدونية في ١ فبراير (شباط) ١٩٢٩م .

وقد قام **أبو القاسم الشابي** بتأسيس **النادي الأدبي بتوزر** في عام ١٩٣٢م ، وألقى فيه محاضرة عن الهجرة النبوية .

وفي حياته نشرت أشعاره في مجلة **« أبولو »** ابتداءً من أبريل (نيسان) ١٩٣٤م ، وهي المجلة التي كان يصدرها ويرأس تحريرها **الدكتور أحمد زكي أبو شادي** في مصر ، كما نشر في **جريدة النهضة** .

وقد ظهر ديوانه **(أغاني الحياة)** بعد وفاته في عام ١٩٥٥م ، بالقاهرة ، كما نشر كتابه **(الخيال الشعري عند العرب)** في تونس عام ١٩٦١م .

أما مذكراته فقد صدرت في تونس عام ١٩٦٨م ، ونشرت رسائله بها أيضاً في عام ١٩٦٦م .

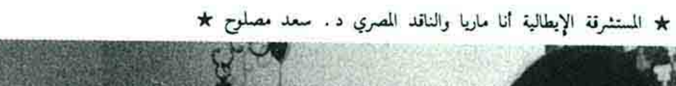
نصوص تنشر لأول مرة

وبمناسبة احتفالات تونس بذكرى خمسينية الشابي صدرت أعماله الكاملة في جزءين عن الدار التونسية للنشر ، وقد ضمت نصوصاً سبق أن نشرت في مؤلفاته المتفرقة . كما تضمنت نصوصاً تنشر لأول مرة وتشمل ما يأتي :

١ ــ مجموعة قصائد أضيفت إلى ديوانه لأول مرة ، ربما أعرض أبو القاسم الشابي عن ضمها إلى قصائده ، كما رتبها في « أغاني الحياة » باعتبارها من شعر الصبا المبكر الذي لم يكن يعبر عن منزلته الفنية وقيمته . وقد نشرت هذه القصائد في أعماله الكاملة .

٢ ــ مجموعة من النصوص النثرية التي تأخذ طابع التأملات الشخصية والمقالات المختلفة . كما تشتمل على قصة قصيرة جمع الشاعر أغلبها بعنوان **(الدموع الحائرة)** ، وربما كان يعتزم إصدارها في كتاب بهذا العنوان .

٣ ــ عدد من الرسائل كان الشاعر قد وجهها إلى بعض أصدقائه من القيروانيين : كالشيخ **محمد بوشربية** ، والشاعر **محمد الفائز القيرواني** ، **ومحمد الحليوي** .. ولم تنشر هذه الرسائل من قبل ضمن رسائل الشابي .


★ المستشرقة الإيطالية أنا ماريا والناقد المصري د. سعد مصلوح ★




★ من اليمين : الدكتور عبد المنعم خفاجي ، الدكتور سعد مصلوح ، عبد الحميد الشابي ★





الأفعى

بقلم: د. عبد الله أحمد باقازي

... والحقل يغرق في ضياء القمر، مضى الرجال يعزقون الأرض «بمساحيهم».. نداءات تتلاقى وتفترق:

- الماء من عندك يا سالم..

● هذه الجهة ارتوت..

- حوّل يا عويض لهذه الجهة..

... الحقل يرفل في النماء والخضرة، والمساء له نسائم حلوة تداعب الوجوه التعبة فتمتص المعاناة من مسامها:

- ما شاء الله، مرزوق الليلة نشط..!

● هو هكذا دائماً..

.. الماء أتى على معظم الحقل... مرزوق قفز في نشاط معهود إلى جهة الحقل الأخرى حيث لم يصل الماء:

- هذه الجهة لم تشرب..!!

● **حوّل يا سالم الماء إلى هذه الجهة..**

- انتبه يا مرزوق.. هذه الجهة أكثر ظلمة..

... أقدام مرزوق تنغرز في أحشاء «هشيم» الحشائش الأصفر، تتوغل في نسيج متشابك من أغصان الأشجار اليابسة المقلمة والملقاة على الأرض.

.. تتصاعد «مواويل» الغناء من جديد على أفواه الرجال النشطاء، وكل منهم قد شمّر عن ساقيه ومضى يساهم في سقي الحقل من جهة.. هم شركاء في ملكية الحقل الزراعية... تتسرب الأصوات الخشنة المغنية عبر الظلام تبدد الصمت الجاثم على الحقل:

- سالم، عويض... الحقوني..!!

شقت الاستغاثة جو الحقل المقمر، تلفّت الرجلان إلى حيث مكان مرزوق، تركا ما بأيديهم.. هرعا إلى حيث الصوت.

.. غاصت الأقدام الأربعة في الوحل.. تعفرت الأيدي والوجوه بالطين، فطغى على عرق الوجوه:

- مرزوق ما بك..؟!!

● آه.. شيء ما لسعني في قدمي..!!.

... تحرك الوانيت «الداتسون» بالرجال الثلاثة إلى مستوصف القرية.. غاصت عجلات الوانيت في الرمال، غاصت قلوب الرجال الثلاثة في صدورهم خوفاً من الإعطال، ومرزوق ملسوع بالأفعى يئن متألماً.

... لحظات مضت انصهر فيها القلق هلعاً في أطراف الرجال الثلاثة، اجتاز بعدها الوانيت منعطف الرمل الوعر، ومضى بهم إلى مستوصف القرية.

أنين مرزوق ما توقف طوال الطريق... عويض يقود الوانيت بأعصاب مضغوطة، وسالم «يبسمل»، و«يحوقل» طوال الطريق بصوت هامس.

الطبيب المناوب فوجئ بالحالة... جهّز حالة «إسعاف» سريعة لمرزوق... عاد الرجال الثلاثة آخر الليل بمرزوق، والخوف لا يزال يسكن النفوس:

- الأفعى.. عدو لا ينفع فيها مضاد للسموم..!

● لا يجب أن نترك مرزوق هذه الليالي..

- لا بد من السمر له... الأفعى لا بد آيبة للدغ ثانية..

● نسمر له ثلاث ليال، والله الحارس.



الأفعى

مضى شخير مرزوق يبعثر ثنايا حوار الرجلين .. والليل يمضي فزعاً عليهما .

... يلوح الحقل .. تبرق المياه بضياء القمر ، تبرق عيون الرجلين بالاضطراب ، وشخير مرزوق يتوقف .. !! .

في الصباح ... الجميع بحث عن الأفعى بين كوم القش في جانب الحقل الآخر ... الصبية بعصيّهم ، الرجال بفؤوسهم وبنادقهم « الشوسن » ... بحث الجميع عن الأفعى « العدو » لادغة مرزوق ، والأيبة لا محالة للدغ ثانية .

— العدو لا يكف عن الغدر ..

● الانتباه واجب لما تحت الأقدام ..

— في أي لحظة قد تلدغ أحدنا لنصبح ضحيتين بدل ضحية واحدة ..

● قد تتعدد الضحايا فنلدغ جميعاً على التوالي .

والحوار يتصاعد في توهج ... كانت العيون بريق وجل وترقب ..

ملأت الأصوات المكان .. ضجّ الصبية بالصراخ والحماس للإصرار على قتل الأفعى .. مضى النهار ، ولم تلح للأفعى لائحة .. الليل كان الوقت الذي اتفق الجميع على احتمال ظهورها فيه قبل أن يتفرّق جمعهم .. ! .

المساء كان عبقاً بروائح أشجار الحقل .. أضواء **« الأتاريك »** ، و **« الفوانيس »** تلهث حمراء وهي تقاوم الريح .. الرجال افترشوا الأرض حول مرزوق ، الذي توسط الجميع ولاح عليه تماثل شفاء ظاهر إلا من قلق تبثّه نظراته :

— الليلة ثالث ليلة نسهر فيها لمرزوق .

● لم تظهر الأفعى في الليلتين الماضيتين .. !! .

— الليلة حتماً ستظهر .

● السهر إذن حتى الفجر .

وجوم ساد ، وليل يمضي بلا نهاية كأن دقائقه توقفت عن العدّ ، والخوف يربض في كل شبر من الحقل ، وفي كل زاوية من صدور الرجال السمار :

— إذا سمر الناس الملدوغ ثلاث ليال ، نجا بإذن الله ...

● صحيح لأن الأفعى لا بد أن تعود في هذه الليالي .

— عدو لا تنسى ضحاياها .. ! .

● العدو لا ينسى ضحاياه ..

— نحن له بالمرصاد .

وتفتر الوجوه لأول وهلة عن بسمات ، تجاوب معها مرزوق الذي جاءت بسمته باهتة أكثر :

— إذا مضى أكثر هذا الليل لا خوف عليك يا مرزوق ...

● الله أعلم .. لكن الحذر واجب .

— صحيح .

ترددت الكلمة الأخيرة من أكثر من رجل بصورة متوالية ..

الليل يمضي أكثر في أحشاء الزمن .. أطلّ القمر بصورة أكثر وضوحاً من ذي قبل ، حمل إلى الرجال ضياء « أمل » بأن لا خوف على مرزوق بعد هذا الوقت :

— أنجاك الله يا مرزوق .

● كُتب لك عمر جديد .

— ذهبت الأفعى إلى غير رجعة .

تفجرت في المكان أصوات « ضحكات » ، شارك مرزوق بضحكة خافتة ، تحرك بعض الرجال تاركين المكان ، تعلقت نظرات مرزوق بأكتافهم وهم يغادرون المكان .

بقي **عويض ، وسالم ..** الضحكة استحالت على فم مرزوق لوناً أصفر ، غسله عرق ، انغمست عظامه في جليد .. تمتم بكلمات غير مسموعة .

ومضى الرجال الثلاثة يقطعون نهر الليل الأسود بالحديث والبسمات ، ثالثهم مرزوق مشاركته محدودة ، الخوف يملأ ذراته ، الفجر أوشك على الظهور ، القمر فرش المكان بضياء أمل ناصع :

— لا خوف يا مرزوق .

● انتهت الأزمة .. الأفعى لن تعود .

تحرك سالم بعيداً عن المكان للاطمئنان على جانب الحقل الآخر ، ووعد بالعودة في أقرب .. عويض عَبَرَ إلى وسط الحقل ليقطف بعض **« الليمون »** .. مرزوق تشبّث بعويض :

— ابق معي عويض ...

● ذهب الخوف يا مرزوق ، سأعود حالا .

ما عاد مرزوق يرى إلا القمر .. أحسّ ببعض الأمن للضياء الفضي الدافئ .. عينه امتلأت بالضوء .. أذنه تلتقط صوتاً .. فحيح يقترب ، الأفعى عادت ، صهر البرود عظامه .. اختلطت بدمه وأعصابه ، ارتفع مؤشر النبض : « عويض .. سالم .. يا رجال .. الأفعى .. الحقوني » .. الفحيح يقترب ، يستشعر أنسام الأفعى :

— عويض .. سالم .. يا رجال .. الأفعى .. الأفعى ...

● غاب النداء في سديم الليل الكثيف ... !! .

الطوفان يأخذ أحلام القرية!!

بقلم: محمد علي قدس

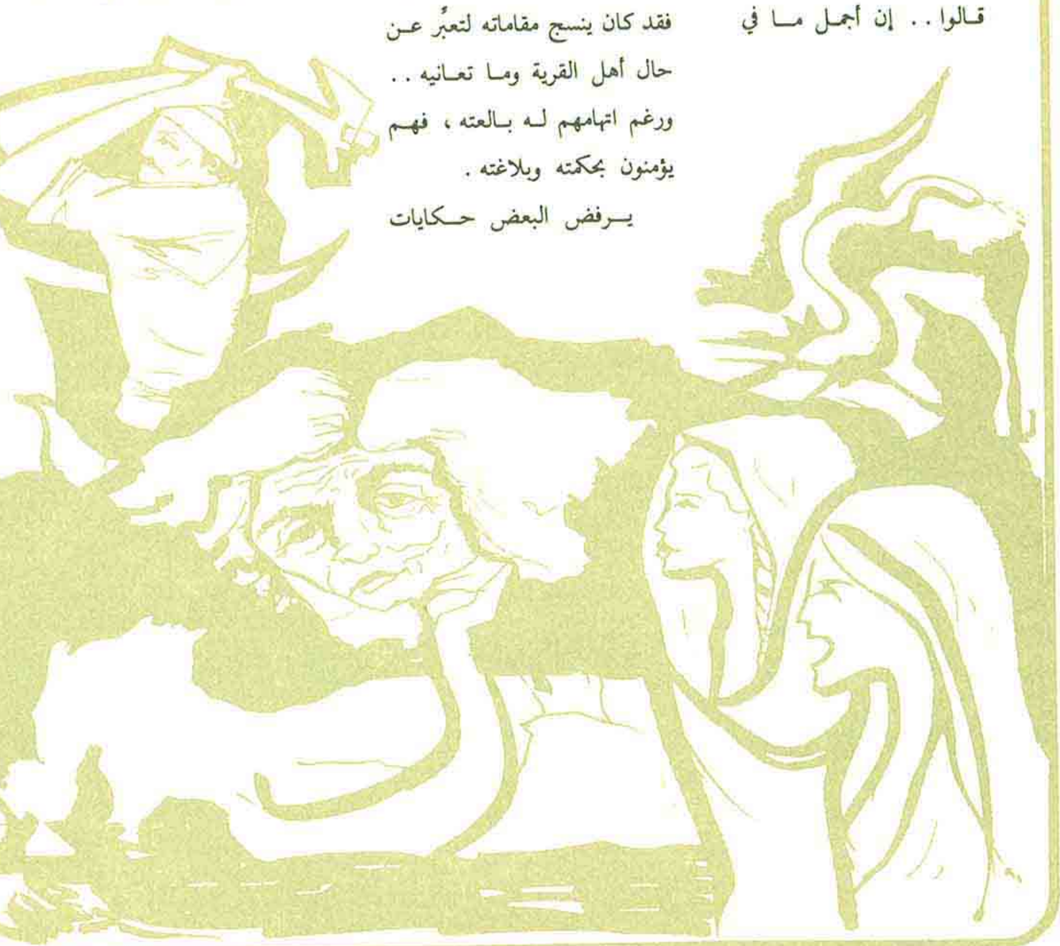
قالوا .. (لا تقصص رؤياك على أحد!) .

زاغت الأعين، تجوس في عتم وفراغ !! الريح تنذر بالطوفان . اتهم بالعته، بل أجمعوا على أن مساً من الجنون قد أصابه . صار حكاية تُحكى .. وشخصية تُنسج لها الأساطير! انطلق من الخيال وتجسد بالوهم .

قالوا .. إن أجمل ما في عباراته .. على صدقها وعفويتها، أنها إلى القلب نافذة بلا هوادة . لم تكن فصاحته وبلاغته مستغربة، كان يدمن على القراءة، قرأ (**ألف ليلة وليلة**) عشرات المرات ويحفظ معلقات الشعر عن ظهر قلب، ويعيد سرد **مقامات الهمذاني والحريري** على نسق وتعبير مغاير، بنمط يميزه بين الناس . فقد كان ينسج مقاماته لتعبِّر عن حال أهل القرية وما تعانيه .. ورغم اتهامهم له بالعته، فهم يؤمنون بحكمته وبلاغته .

يرفض البعض حكايات المعتوه . يعدّونها أحاديث خرافة . خيال المجنون أوسع من العاقل . تتردد حكاياته بينهم . يلتقطها البعض بلهفة، ويمر البعض بها مروراً عابراً، أما من كانت تقلقهم تلك الحكايات وتساورهم الشكوك بشأنها، فقد باتوا يترقبون حدوث أشياء تهدد القرية وأهلها . ظل المعتوه يكرر حكاية ويرددها حتى مل الناس سماعها . (**شجرة النيم**) أيُّ شجرة يمكن أن تنسج لها الحكايات و.. الأقاويل !!؟ هي أقدم شجرة في بطن وادي القرية . جذعها يأخذ مساحة كبيرة . تتدلى فروعها من عل لتلامس أرض الوادي وتسيخ في أعماقها بفظاعة ووحشية .

أفاق أهل القرية على صراخ ونحيب . كان قرص الشمس البرتقالي يسقط خلف الجبال في تؤدة .. كثيرون هم الذين ارتعدوا لسماع ذلك الصوت المشؤوم . بكت العجوز حليمة .. نتفت شعرها .. لطمت خدودها في جذع . جثت على ركبتيها تحثو التراب .. تندب شاة لها ..



طوفان يأخذ أحلام القرية!!

(الشجرة قتلت شاقي .. رزقي ورأس مالي، يا لفداحتي .. واحر قلباه!! وأسفاه).

ردّدت العبارة بصوت مذبوح .. نثرت في الهواء غطاء رأسها الأسود. عيون الناس منصبة إليها .. (صدق المجنون وكذبتم .. قد حذرنا بحكاياته وكذبناه).

.. أخذت تولول بقلب مكلوم ..!

.. راحت تثرثر .. كما لو كانت «**البسوس**» التي أشعلت نار الحرب بدم «غنمتها».

نظرات الشيخ حائرة. مبثوثة في كل الوجوه.

أطال النظر في وجه **حسين ابن العجوز**. كان وجهاً تبرز فيه عظامه .. له عينان جاحظتان. بدا وكأنه يبيت أمراً يهدد القرية. يعرف طيشه وعنفوانه.

إمام المسجد .. غارق في صمته. شفتاه تتحركان لدعاء تقرأه في عينيه. تبادل هو وشيخ القرية النظرة تلو النظرة.

(نخشى أن يعقب الهدوء الذي ران على قلوبكم .. عاصفة تأكل الأخضر واليابس).

اهتز جسد إمام المسجد لمقالة شاب أرعن مفتول العضلات، وحملق شيخ القرية بعينيه، عرفه يلقي الكلام على عواهنه، يلوك كلماته .. كما يلوك الأراك بين شفتيه الغليظتين. لاحظ الجميع تعاطفه مع ابن العجوز. إنه لا يكلف نفسه عناء البحث في أعماق المسائل. تغريه الظواهر .. والعنف لغة .. تسبق تفكيره ..!!

طغى ثغاء الغنم .. ونهيق الحمير .. وخوار البقر .. على ثرثرة وجدل أهل القرية .. صاح الشيخ معلناً ..

(سنعقد الليلة مجلس القرية. لا بد من حضوركم جميعاً. لن أغفر لمتخلف مهما كان عذره. غياب فرد منكم يفسد مهمة التفاوض!!).

تبادلوا النظرات .. تحركت شفاههم دون كلام ..

تحركت الأيدي، تمسد على السِّبال. تهرش بدافع التفكير .. أو بشكل لا إرادي، وأخرى تشابكت في ارتعاش.

بدت **العجوز حليمة** ساهمة لا تلوي على شيء. نَقَّلت نظراتها المشتتة بين الوجوه. مسحت «ببيشتها» المتسخة السوداء ما تجمع حول فمها من مخاط ودموع.

شُغل الشاب المفتول العضلات .. عن الموقف بشيء آخر، كان مشغولا بالنظر إلى فتاة كانت ترقب الموقف عن بعد. أرخت خمارها على وجهها بعد أن أشاحت به عن الشاب. تأهب حسين لإطلاق .. صرخة .. كاد يَحْمَر لها وجهه.

.. رفع الشيخ يده .. كما لو أنه أراد قَسَم اليمين .. وَأد صرخة ابن العجوز .. قائلاً:

(والله ثم والله، لن أتهاون عن ردع كل متهور جهول. لن أغفر لمن تسول له نفسه القيام بعمل طائش وإن كان ذا حق ومظلمة!).

الغصن يتدلى في فراغ، يتراقص كحية رقطاء. بالجذع شقوق تنز دماً وصديداً. تتدلى الأغصان تلتف حول نفسها. دس عنقه بين يديه. الجذور توجئ بطن الأرض .. بدت في نفورها كالعروق النافرة. علقوه على جذع الشجرة، اعتصرته الأغصان بوحشية. صرخ .. يختنق .. عيونه جاحظة. ذاب صوته والناس من حوله يتضاحكون ويتغامزون.

سال دمه .. لامس أقدامهم!! لا زالوا في ضحكاتهم يغرقون. شنقوا ضحكاتهم!! فَغَرت الدهشة أفواههم .. ولاذوا بالصمت فزعين.

قالوا .. **(لا تقصص رؤياك على أحد)**، لكنه يخشى أن يصمت عن الحلم .. عن سر الشجرة، فالشجرة ملعونة .. الشجرة ملعونة!!



انتفضت فزعة . خبطت على صدرها . شدّت فتاتها من ضفيرتها . فانكفأت على الأرض متألمة . .

(إياك والخوض في هذه السيرة . . ستموتين كما ماتت شاة حليمة) . .

(أتصدقين يا أمي حكاياتهم . . و . . .) .

كمّمت فم ابنتها . . نهرتها والرذاذ يتطاير من فمها . .

(اصمتي أيتها البلهاء . . ستحل ببيتنا اللعنة . . شاب والله رأسي مما رأيت وسمعت . .) .

تطلعت إلى أمها . . كانت تلقم فم وليدها . . ثدياً ضامراً بدت فيه عروق زرقاء . استدارت في صمت . . وفي عينيها إحساس مغبون .

استيقظت القرية على صوت محزون . كانت خيوط الفجر تفتق ثوب العتمة . . .

(قُتل المعتوه) .

(معتوه القرية قُتل) .

. . . . !

(أحسب أنكم تتهيبون مما حدث . أمثولة حزن لمأساة حقيقية . ستتشخص أبصاركم في الشجرة . السر الذي أرّق عيون أهل القرية . ستفزع قلوبكم لما سترون !!) .

(أقبلوا . . !) .

تراجع من كان في المقدمة ! صُعِقوا !! ندت عن أحدهم شهقة . وآخر أطلق صرخة ، سرعان ما ابتلعها حلقه . . فغاصت في أعماقه مجلجلة !!

(ما رأيتموه ليس حلماً . لا تفركوا عيونكم . افتحوها . . دعوها تشاهد الحقيقة . أمعنوا النظر فيما ترون . ألا ترون ؟) .

أغصان الشجرة تهتز مع النسمات الباردة التي كانت تهب من الشمال . كان المعتوه يفترش الأرض تحت أغصانها . رجلاه ممدودتان . بصره إلى أعلى الشجرة شاخص ، وفمه فاغر ، وهو جثة هامدة كما لو كان تمثالا من الشمع .

صارت الشجرة فتنة !!

هاجس القرية . طوفان في الأرض ، وضيق في النفوس ! الخوف ينبت أشواكاً في الصدور . يرتسم اضطراباً وقلقاً في العيون ! الريح تهُف . هفيفُها موحش . أنين تصطرع له الأشياء اليابسة على الأرض !!

بدت حليمة ساهمة واجمة . تَحجَّر الدمعُ الكذوب في عينيها . تسمّرت نظراتها في كبد السماء . وقف ابنها إلى جانبها . أسند رأسه على جدار الطين يفكر ! تفكيره سيئ . قلبه واجف . دس في الجدار نظراته صامتاً .

أسطورة تشغل الأذهان . . تملأ الأسماع . هاجس يدور في خلد الصغير والكبير . طوفان ينجرف له أهل القرية . الشجرة الملعونة والضحايا الثلاث : كلب صيد الشيخ الذي ظنوه مسعوراً ، وشاة حليمة والمعتوه !! كادوا أن يقدموا لها قرباناً ! ساد صمت موحش لا تفتّت هدأته سوى هفهفة الريح .

جاء رجل أشعث أغبر . . مهلهل الثياب . . جثا على ركبتيه . . افترش عتبة مصلى القرية . . توسّد نعاله . فمه يتمتم بكلمات يناجي بها نفسه . نهض . . شرب جرعة ماء ليبتلع بها كسرات الخبز اليابسة !!

انطلق إلى حيث يتجمعون . . شق صفوفهم . . شيعوه بنظراتهم . يجهلون

طوفان يأخذ أحلام القرية!!

هويته . غريب على أهل القرية . أخذ يصرخ ، قطرات الماء تسقط من بين شفتيه . وفتات الخبز يتجمع في صدره المكشوف : **(هشيم الفتنة يشتعل . يصبح أواراً بالريح ، يصليكم صلياً يزداد بتفرقكم . طوفان يجتاح القرية .. تيار ابتدأ مع الشاة !! تيار دم قد سال ، من شاة حليمة والمعتوه . طوفان جاء مع الفتنة .. فحذار حذار من الفتنة . فالأزمة تشتد .. الأزمة تشتد .. الأزمة تشتد وسط التفتت والطوفان) .**

.. تلاشى صوته .. تلاشى جسمه .. صار أثراً في جوف العتمة . وكما جاء فجأة .. اختفى مع الطيف والصوت فجأة .

الليلة مقمرة . التأم فيها شمل القرية . صاروا جسداً واحداً يستشعر الألم . صار الحزن شقاء يضاجع .. ذلك الجسد . صرخ الشيخ فيهم . برزت لصراخه عروق عنقه **(تشاوروا في الأمر . تغلبوا على هواجسكم بالحكمة والمنطق . الخرافات تملأ الرؤوس .. تكاد والله تسلبكم عقولكم . لا بد من اتخاذ قرار حكيم أجمعوا عليه أمركم .. فقد بلغ السيل الزبا) .**

.. ارتفع صوت الحوار .. تضاربت الآراء .. وَزَّع الشيخ نظراته بينهم . أطال نظرته في الشاب الذي كانت تساوره نحوه بعض الشكوك . بدا متحمساً أكثر .. ، رأى في عيني ابن حليمة العجوز نفس ما رآه في عيني ذلك الشاب . تركوا الطعام قبل الشّبع . لم يغضب الشيخ . فأكله طَيِّب ، لكن نفوسهم لم يَطِب لها أن تنعم قبل إنهاء ما عقدوا العزم عليه .



خرجوا وضوء القمر يسطع في الوجوه .. أيديهم وأفواههم تلمع بالدهن . انطلقوا بفؤوسهم وعصيِّهم نحو الشجرة . أصدر أحدهم ، وكان شاباً له شفتان غليظتان ، صوتاً كأنه هزيم رعد تردد صداه في جوف الليل . سقط من فمه عود الأراك الرطب .. داسته الأقدام .

تهافتوا نحو الشجرة .. تسلقوها .. كسروا بأيديهم العارية ما تدلى من غصونها التي كانت في متناول أيديهم . سال دم على ثيابهم . فزعوا تراجعوا .. كان الدم يسيل من أيديهم . تفجّرت حناجرهم بصرخة مدوية . انهالوا بفؤوسهم وحرابهم على الشجرة . الجذع ضخم .. طوفان يَضخُم به همهم .. لن تكون عقبة كؤود في الخلاص من الهواجس والطوفان . كانت عيون الشيخ تعلو وتهوي مع فؤوسهم . أطال النظر في الشاب المفتول العضلات . تَجمَّدت يداه في الهواء والفأس معلقة بهما .

أغمض عينيه وأطلق صرخة مدوية مال بعدها الجذع .. تهاوى .. سقط على الأرض وقد أحدث سقوطه صوتاً كهزيم الرعد .

صرخوا .. تراجعوا .. شيء ما هالهم ، أفزع قلوبهم .. بقع من الدم تلطخ الأرض وشيئاً من أرجلهم . انطلق صوت في دواخلهم **(الشجرة قتلت شاتي . صدق المجنون وكذبتم . ما رأيتموه ليس حلماً . بل حقيقة .. بل حقيقة .. بل حقيقة) .**

صرخ الشيخ .. فقد تردد في داخله نفس الهاجس ، لم يشأ أن يسلموا أمرهم للطوفان ، أخمد نار الفتنة قبل أن تشتعل .. حتى لا تُبعث الهواجس في الصدور ، وحتى لا يصيب عزائمهم التفتت !

هوت الشجرة على سور المقبرة . سقط فجأة من بين فروعها رأس حية سوداء قُطع نصف جسدها . كانت تتلوى .. وتنفث سمها .. صرخوا .. كانت صرختهم واحدة .. رفعوا فؤوسهم وحرابهم وهووا بها على رأس الحية فقتلوه ..

كانت خيوط الفجر تشقق ثوب العتمة .. كان فجراً جديداً على القرية .. تموسقت أصواته مع النسمة وصياح الدِّيَكة .. وثغاء الغنم .. ونهيق الحمير .. وخوار البقر .

الإحصاء

بقلم : إسراج الحسن محمد

منذ الساعات الأولى من صباح يوم الخميس ، بدأت الحركة تدب في السوق الأسبوعي للقبيلة . رحبة البهائم مكتظة بالحيوانات ، والعراء المخصص للحبوب عبارة عن كثبان وتلال من الزروع والقطاني . قوافل الشاحنات يرفع لها الحاجز عند الباب الكبير للسوق للدخول إلى الأماكن المخصصة لها لإفراغ حمولتها من الخضر والفواكه والأسماك . والمقاهي تفوح بشذى الشاي المنعنع .

الشمس في كبد السماء . لفح حرارتها بدأ يشتد . وسيول البشر ـ تمتطي دوابها ـ وتمشي على أقدامها جماعات وزرافات ، ما تزال تنحدر من قمم الجبال وسفوحها ، تملأ المسالك والشعاب المؤدية إلى السوق .

اشتد الهرج والمرج في السوق مع اشتداد حرارة الشمس . فاختلطت أصوات الناس بأصوات الحيوان ، فهذا بائع متجول ينادي : « بردُّوا يا عطشان » وذاك نهيق حمار أو صهيل حصان . . وذلك صوت مطرقة حداد تهوي على السندان . . وتلك خشخشة خنجر يشحذ على المشحذ . عزف موسيقي بديع ينبعث من أدوات آية في الخلق . ينقر أوتارها موسيقي فنان ، سبحانه مبدع الأكوان .

فجأة . يُسمع صوت جهوري قوي . أعقبته دقات عدة على طبل . صوت معروف . ودقات مألوفة لدى سكان القبيلة . توقفت الأدوات الموسيقية عن عزف اللحن البديع وبدأ الهرج والضجيج يخفتان رويداً رويداً حتى صارا همساً أو كادا . وبدأ الناس يتزاحمون ويتسابقون إلى منصة « برّاح المراقب العسكري الإسباني » ليسمعوا النبأ الجديد من فمه مباشرة .

صعد البرّاح فوق المنصة العالية المستديرة ، الواقعة في وسط السوق ، وألقى نظرة شاملة على الحشود الملتفة حولها . فخيل نفسه وكأنه في نقطة مركزية لتموجات دائرية على صفحة مياه ، أحدثها سقوط شيء ثقيل على صفحتها .

أعاد برّاح المراقب الضرب القوي على طبله . فخيَّم الصمت على المكان ، وشلت الحركة وصارت الحشود كلها آذاناً صاغية . صاح البرّاح : « أعباد الله ! لن تسمعوا غير الخير إن شاء الله » . اشرأبت أعناق الناس إليه ، وخفقت القلوب شوقاً ولهفاً لسماع ما سيجلدون به من أنباء جديدة . « إن السيد المراقب قرر إحصاء سكان قبيلته وما يملكون من أشجار وعقارات وحيوان .

ويدعوكم لمساعدته . كما يدعو كل من له إلمام بالقراءة والكتابة أن يحضر إلى مكتبه قصد تكليفه بهذه العملية » . ثم كرر البلاغ ثانية . وفي الثالثة قال : « فليبلغ الحاضر منكم الغائب والسلام » .

نزل البرّاح من فوق برجه العاجي ، ممسكاً طبله . ثم جرى مسرعاً إلى مكتب سيده المراقب ليخبره بأنه قد أنجز مهمته ، وأنه يريد مكافأته . . . وفي نفس الوقت بدأت التموجات البشرية الدائرية تنفض من حول المنصة المستديرة . وعاد اللحن البديع يصدح من جديد في أجواء السوق . وشرع الناس يتهامسون فيما بينهم حول أسباب ودواعي هذا الإحصاء الذي قرر المراقب إجراءه . فمنهم من يقول إن المراقب يريد إرسال بعثة من الشباب للقتال في جبهة الحرب الأهلية الإسبانية . ومنهم من يقول : إنه يريد إحصاء السكان وما يملكون لفرض ضريبة شاملة على الأبدان والعقارات



والحيوان. ومنهم من يقول: إن هذه العملية هي عملية روتينية. تضاربت الآراء، وكثرت الشائعات ولم يستطع أحد الوصول إلى حقيقة مقنعة.

مالت الشمس إلى الغروب والناس ما زالوا يتهامسون. انفض السوق. وولّى كل إلى جهته بعد ما قضى مآربه وأغراضه، وحمّل دابته وزاده الأسبوعي. ومع بداية يوم الجمعة بدأ سكان القبيلة يستهلكون الشائعات مع زادهم الأسبوعي. وفي نفس الوقت شرع المراقب ينتظر في مكتبه قدوم المثقفين لتكليفهم بعملية الجرد والإحصاء. طال انتظاره، وشارف الأسبوع على النهاية، ولم يطرق باب مكتبه أي أحد. انتابته الحيرة، وساورته الظنون. فسأل عيونه في القبيلة فأفادوه جميعاً بأن سكانها كلهم أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، إلا عين واحدة فقد أخبرته بأن قرية «سلمى» فيها فقيه يعلّم صبيانها في الكتّاب. لا شك أنه يعرف القراءة والكتابة.

بعث المراقب في طلب الفقيه عبد الكريم فلبى دعوته.. إنه فقيه وقور، متوسط القامة ممتلئ الجسم، يلبس جبة صوفية قصيرة، يضع على رأسه عمامة نيلية اللون. ذو لحية قصيرة، منقطة بشعيرات بيضاء. يبدو وكأنه في الأربعينات من عمره. بعد السلام أذن له المراقب بالجلوس. فجلس جلسة رزينة هادئة. وبعد صمت قصير، بادره المراقب قائلاً: قل لي يا عبد الكريم، هل تعرف القراءة والكتابة؟ نعم... وأين تعلمتها؟ في مدينة مليلية وجامعة القرويين؟ إذن تتكلم الإسبانية؟ والفرنسية أيضاً. قال المراقب في لهجة ملؤها السخرية والاستهزاء: إنك موسوعة يا عبد الكريم ولا شك في ذلك؟.. اسمع أيها الفقيه الفاضل. بما أنك المثقف الوحيد في القبيلة فإنني قررت تكليفك وحدك بالطواف على قراها وبطونها، لإحصاء سكانها وما يملكون حسب ما سمعته في بلاغ يوم الخميس الماضي. أحنى عبد الكريم رأسه أرضاً. وشرع يخاطب نفسه همساً: «إنها فرصة ذهبية لاستطلاع أحوال السكان ومدى وعيهم بالدين الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى فرصة لدراسة مسالك وشعاب القبيلة وتضاريسها». رفع عبد الكريم رأسه ودون مقدمة قال: «سمعاً وطاعة سيدي».

توكّل عبد الكريم على الله، وحمل بعض الزاد على راحلته، وراح يطوف على قرى القبيلة، ويجمع المعلومات عن أهلها، ويحصي ممتلكاتهم، ويستطلع أحوالهم الدينية والمعيشية. وبعد شهر كامل من الترحال، والعمل الشاق المضني، أنهى الحاسب الإلكتروني «عبد الكريم» عملية الإحصاء، ورجع إلى المراقب الإسباني يحمل مجلداً مملوءاً بمعلومات دسمة، عن مختلف أنماط الحياة في القبيلة. فاستقبله استقبالا يليق والمهمة التي قام بها. حطّ السجلات عن بهيمته، وسلمها إلى المراقب، وقفل راجعاً إلى قريته لتعليم الحروف الأبجدية ومبادئ الدين للأطفال الصغار، بعدما شكره المراقب على خدمته النبيلة لإسبانيا وملكها وشعبها.

عكف المراقب على دراسة سجلات الإحصاء، سجلاً، سجلاً حتى وصل إلى سجل قرية «كافرة» وبالضبط عند الضلع المخصص لتسجيل الحيوانات. لاحظ المراقب أن جل ساكنيها يملكون ويربون «الخنازير» وحسب علمه فإن هذا الحيوان لا يكتسبه المسلمون، لأنه يعدُّ مالا حراماً في نظر شريعتهم.

سأل المراقب عينه على القرية فأفاده بأنه لا وجود للخنازير إطلاقاً في قرية «كافرة». ثارت ثائرة المراقب، وغضب غضباً شديداً، وتوعّد وهدّد. وأخيراً بعث في طلب الفقيه عبد الكريم. فلما حضر لديه قال له بلهجة ساخطة خشنة: قل لي يا عبد الكريم. هل كل البيانات التي دوّنتها في سجل الإحصاء المتعلق بقرية «كافرة» صحيحة؟ وهل حقاً إن ساكنيها يربُّون الخنازير ويكتسبونها؟ بالتأكيد سيدي. اشتد غضب المراقب، وانتفخت أوداجه. ثم قال: ولكن يا عبد الكريم إن المعلومات التي أتوفر عليها تثبت غير ذلك. ارتبك عبد الكريم. لكنه تشجع ثم استأنف الكلام قائلاً: الواقع سيدي المراقب أنني قمت بعمليتين إحصائيتين الأولى لفائدة الحكومة الإسبانية، والثانية لحسابي الخاص، وقد ركزت في هذه الأخيرة على الجانب الديني. فقد كنت أستفسر أهل كل قرية عن مدى تمسكهم بالشريعة الإسلامية والمحافظة على مبادئها. فوجدتهم متشبثين بأركان الإسلام.. محافظين على تعاليمه. إلا أهل قرية «كافرة» فقد ألفيتهم يسرقون ويزنون ويشربون الخمر، لا يصلون، ولا يصومون ولا يزكون، نمّامون، كذابون منافقون. فقررت تصنيفهم ضمن جنس الحيوانات.. فصيلة الخنازير، وأثبت ذلك في سجلات الحكومة الرسمية.

قهقه المراقب قهقهة عالية ثم ودّع الفقيه عبد الكريم. وفي طريقه إلى قرية «سلمى» قطع وعداً على نفسه بأنه سيبذل قصارى جهده من أجل محو الأمية في قبيلته وتحويل الخنازير إلى بشر مبدأه الإسلام، وهدفه الخلق النبيل والسلام.



كيمياء جسم الإنسان



الألبومين Albumin :

من أهم البروتينات الداخلة في تركيب **بلازما الدم** عند الإنسان والحيوانات الفقارية . ومن الناحية الكيميائية ، يتألف الألبومين من ارتباط الحموض الأمينية بروابط إلكترونية خاصة . تجري عملية اصطناع الألبومين عند الإنسان في الكبد ، وبالتالي فإن أي مرض يطرأ على هذا العضو ينعكس على وظيفته في اصطناع هذا البروتين الهام . تبلغ نسبة الألبومين في بلازما دم الإنسان ، في الحالة الطبيعية ، حوالي ٣,٧ ــ ٥,٦ غرامات في كل ١٠٠ ملي ليتر (أو ٣٧ ــ ٥٦ غراماً في الليتر الواحد) . **يقوم الألبومين بوظائف هامة في جسم الإنسان .** إضافة إلى الألبومين الدموي ، يصادف هذا البروتين أيضاً في تركيب بياض البيض والحليب ، فثلثي بياض بيض الدجاج تقريباً عبارة عن ألبومين ، ولذا يعتبر هذا البروتين من المواد الغذائية الهامة في حياة الإنسان .



البيبسين Pepsin :

هو أحد الأنزيمات الرئيسية التي تدخل في **تركيب العصارة المعدية** عند الإنسان . يقوم البيبسين بعملية هضم المركبات البروتينية الغذائية الداخلة إلى القناة الهضمية عن طريق الفم . فاللحوم والبيض وبروتين الحليب والبروتينات البقلية (مثل الفول والعدس والحمص . . .) تتعرض لتأثير أنزيم البيبسين في المعدة ، حيث تتفكك جزئياً ، وينشكل نتيجة لذلك مركبات تستطيع أن تتابع طريقها في القناة الهضمية إلى الأمعاء . يصطنع الأنزيم بيبسين من قبل خلايا متخصصة في جدار المعدة . إلا أن الأنزيم المصطنع في هذه الخلايا ، اعتباراً من الحموض الأمينية الحرة ، لا يعتبر فعالا مطلقاً ، ولكن بعد خروجه من الخلايا المذكورة إلى العصارة المعدية ، يتحول إلى الشكل الفعال ، ويقوم عندئذ بعملية **هضم البروتينات** . وفي الواقع ، إن الذي يحول الشكل غير الفعال إلى الشكل الفعال من الأنزيم هو **حمض كلور الماء** المتوفر وجوده في العصارة المعدية ، ولذا تعتبر هذه الأخيرة من السوائل الحيوية ذات الحموضة المرتفعة .



التيآمين Thiamine :

اسم لمركب كيميائي يشكل الفيتامين B1 . يوجد هذا الفيتامين في تركيب قشور الحبوب (القمح ، الأرز ، الشعير ، . . .) . إن نقص الفيتامين B1 يؤدي إلى حالة مرضية تعرف باسم البري ــ بري Beri - beri الواسع الانتشار في البلاد الهندية وجزر الفيليبين وفي اليابان . . . ، حيث تعتمد شعوب هذه المناطق على الأرز المقشور كغذاء رئيسي لها . وكثيراً ما ينصح الأطباء مرضاهم بتناول خبز دقيق الحبوب غير المنخول . ولكن يمكن لهذا الفيتامين عند الحاجة أن يؤخذ بصورة محضرات دوائية مع الفيتامينات الأخرى من المجموعة B ، أو مع غيرها . ولكن تبقى مصادره الطبيعية أفضل وأسلم . أما دوره الحيوي داخل الجسم فيتلخص بأنه عامل ضروري وهام جداً في عملية تفكك السكر خلال « احتراقه » لتشكيل الطاقة اللازمة لجميع خلايا الجسم . وكثيراً ما يؤدي نقصانه إلى

اضطرابات في استقلاب السكاكر ، وأن أول الأعضاء المتضررة من جراء ذلك هي الدماغ والعضلات .



الثرومبين Thrombin :

هو من العوامل الهامة في عملية **تخثر الدم** . فعندما تجرح منطقة ما من السطح الخارجي للجلد نلاحظ أن الدم يبدأ بالسيلان ، لكنه بعد فترة من الزمن يتوقف وتتشكل خثرة من الدم في منطقة الجرح . وكذلك الحال عندما توضع كمية من الدم في أنبوب اختبار ، وتترك لفترة من الزمن ، نلاحظ أن الدم قد انفصل إلى طبقتين : سفلية وهي الخثرة (أو العلقة) ، وعلوية وهي المصل . يعود الفضل في هذا إلى خاصية التخثر . تعتبر الجملة المخثرة للدم من المركبات المعقدة ، ويدخل فيها كعامل هام وأساسي مركب بروتيني يسمى **بالثرومبين** . ويتلخص دور هذا الأخير في عملية التخثر بأنه يحول **مولد الليفين** Fibrinogen (وهو بروتين خاص يوجد في الدم بصورة منحلة) إلى **الليفين** Fibrin غير المنحل . يقوم الفيبرين بتشكيل العلقة مع الكريات الحمراء . ولذا فإن أي نقص في كمية الثرومبين ، الذي يصطنع في الكبد ، سينعكس حتماً على عملية التخثر ، وهذا النقص يؤدي إلى استمرار سيلان الدم بدون توقف .



الأجسام الكيتونية Ketone bodies :

يتطرح مع بول المصابين بمرض السكري مجموعة من المركبات الكيميائية تعرف باسم **الأجسام الكيتونية** ، في حين أن بول الأشخاص الأصحاء لا يحوي على مثل هذه المركبات . ويلجأ الأطباء إلى تشخيص **مرض السكري** والتأكد من وجوده بإجراء تحليل للبول للتأكد من وجود الأجسام الكيتونية والسكر معاً . أما تفسير ظهور هذه الأجسام عند هؤلاء المرضى فهو على النحو التالي : نتيجة لنقص في كمية **هرمون الأنسولين** ، يتراكم السكر في الدم وترتفع نسبته عن حدها الطبيعي ، ولا يجري استهلاكه من قبل خلايا الأعضاء (بصورة خاصة العضلات والدماغ) . ونتيجة لنقص السكر في الخلايا ، فإن هذه الأخيرة تلجأ عندئذ لتعويض ما نقصها من مادة السكر بحرق المواد الدسمة ، التي تتدفق عليها بكميات كبيرة . إن هذه الكميات المتزايدة ، لا تستطيع أن تحترق بصورة تامة مما يؤدي إلى تشكيل الأجسام الكيتونية التي تنتقل إلى الدم ومنه إلى جهاز الإفراغ . وعن طريق الكليتين تخرج هذه المركبات مع البول إلى الوسط الخارجي .



الحموض النووية Nucleic acids :

هي من مجموعة المركبات الكيميائية ذات الشأن العظيم عند جميع الكائنات الحية . تقوم الحموض النووية بدور هام ، فهي تحمل الصفات الوراثية الخاصة بكل كائن لتنقلها من جيل إلى آخر دون تغير أو تبديل ، وكذلك تقوم بدور المنظم **لعمليات الاستقلاب** المختلفة الجارية في الخلية . يميز نوعين من هذه المركبات : الحموض النووية الريبية المنقوصة الأوكسجين (د . ن . أ) التي تدخل في تركيب الصبغيات (**الكروموزومات**) الموجودة في نواة الخلية ، وهذا النوع من الحموض هو الذي يحافظ على الصفات الوراثية . أما النوع الثاني فيعرف باسم الحموض النووية الريبية (ر . ن . أ) ، ويميز له ثلاثة أنواع تختلف عن بعضها البعض بأماكن توضعها وبالوظيفة التي تحققها داخل الخلية . ولكن جميع هذه الأنواع تشترك في إنجاز أضخم عملية كيميائية حيوية تقوم بها الخلايا ، ألا وهي عملية اصطناع البروتينات اعتباراً من الحموض الأمينية الحرة .



الخمائر Enzymes :

تحوي الأحياء في تركيب أعضائها مجموعة كبيرة من **الخمائر** ، يعرف في الوقت الحاضر منها حوالي ١٠٠٠ خميرة على الأقل . والخميرة بحد ذاتها عبارة عن مركب بروتيني فقط ، أو أنها تحوي بالإضافة إلى البروتين قسم آخر ذو طبيعة لا بروتينية يسمى بالجزء الملحق بالخميرة . وهذا الجزء غالباً يكون من أحد الفيتامينات المعروفة التي تدخل إلى الجسم مع الأطعمة المختلفة . ومن هنا تأتي العلاقة الوثيقة ما بين الخمائر والفيتامينات . تقوم الخلايا الحية بتصنيع جميع الخمائر بفضل أجهزتها الخاصة وذلك اعتباراً من الحموض الأمينية الحرة . أما دور الخمائر في الجسم فهو إنجاز التفاعلات والتحولات الكيميائية المختلفة الجارية في جميع الأعضاء . وعادة هناك خميرة واحدة معينة لكل تفاعل كيميائي . وتوجد الخمائر أيضاً في تركيب العصارات الهاضمة ، وبفضلها تتحقق عملية هضم الأغذية في المعدة والأمعاء ، وبالتالي امتصاص الأغذية النافعة من الأمعاء إلى الدم .



الدهنيات Lipids :

توجد الدهنيات في جميع الكائنات الحية ، وتشكل فئة هامة من المواد

الغذائية الضرورية لحياة الإنسان . تشتمل الدهنيات على ثلاثة أنواع من المنتجات الغذائية ، وهي : **الشحوم والدهون** (من مصادر حيوانية وتتمتع بقوام صلب) **والزيوت** (من مصادر نباتية وتتمتع بقوام سائل) ، وجميع هذه الفئات متشابهة في تركيبها الكيميائي تقريباً ، وذات فائدة غذائية في حياة الإنسان . تعتبر الدهنيات من المصادر الرئيسية للطاقة عند الإنسان ، فاحتراق غرام واحد منها يؤدي إلى نشر ٩,٣ كيلوكالوري ، بينما احتراق غرام واحد من المواد السكرية يعطي ٤,١ كيلوكالوري فقط . إضافة إلى القيمة الحرارية ، تقوم الدهنيات بوظائف هامة أخرى في جسم الإنسان .



الذرة Atom :

وهي أصغر جسم موجود في الطبيعة . فالعناصر الكيميائية تتألف من وحدات دقيقة جداً تدعى **بالذرات** . وتختلف ذرة كل عنصر عن ذرة عنصر آخر بوزنها وبحجمها . وتعتبر **ذرة الهيدروجين** أصغر الذرات الموجودة في الطبيعة ، حيث بلغ حجمها ٠,٠٠٠٠٠٠١ من الميلي متر ، بينما يبلغ وزنها جزءً من ١,٦٧ × ١٠^٢٤ جزء من الغرام الواحد . تتألف كل ذرة من نواة تشكل كتلتها ومن إلكترونات تحمل شحنة كهربائية سالبة تدور حول النواة . والنواة بحد ذاتها تحوي على بروتونات تحمل الشحنة الكهربائية الموجبة (وعددها يعادل عدد الإلكترونات) ، وعلى نيوترونات متعادلة كهربائياً . ويكون دوران الإلكترونات حول النواة يشبه تماماً دوران الكواكب السيارة حول الشمس في المدارات المختلفة . إن ذرة الهيدروجين تحوي في نواتها على بروتون واحد فقط ويدور حولها إلكترون واحد . تتحد ذرات العناصر المختلفة مع بعضها بطرق خاصة ، وعن طريق روابط إلكترونية ، لتشكل مركبات ذات وزن أكبر ، وهذه تجتمع مع بعضها لتشكل وحدات أكبر . . . وهكذا تبنى الخلايا من هذه المركبات . . . ومن هذه الخلايا تبنى الأعضاء التي تشكل جسم الإنسان .



الريبوسومات Ribosomes :

يدخل في تركيب الخلايا عند جميع الأحياء وحدات صغيرة الحجم تشاهد بصورة واضحة بواسطة المجهر الإلكتروني ، هي عبارة عن الريبوسومات (أو كما تسمى بالأجسام الريبية) ، ويكون عددها كبيراً جداً ، حيث يتجاوز ١٥٠٠٠ ريبوسوم في خلايا جرثوم العصيات الكولونية مثلاً . تتوزع الريبوسومات على سطح غشاء خاص في الخلية يسمى **بالشبكة الأندوبلاسمية** . وتتألف هذه الوحدات من مجموع مركبين رئيسيين هما **البروتينات** (حوالي ٥٠٪) ، **والحموض النووية** (حوالي ٥٠٪ ـ هذا بالنسبة لخلايا الإنسان والحيوانات الراقية) . أما دورها في حياة الإنسان فهو بالغ الأهمية وعظيم الشأن ، فعليها تتم أكبر عملية كيميائية حيوية تنجزها الخلايا ، وهي اصطناع البروتينات اعتباراً من الحموض الأمينية الحرة . وتقوم الريبوسومات بعملها بصورة معقدة جداً ، حيث هناك أمور كثيرة غامضة ما زال البحث عنها مستمر حتى الآن .



الزيوت Oils :

وهي إحدى فئات المواد الدسمة ذات القيمة الغذائية العالية للإنسان . تستخرج الزيوت من مصادر نباتية ، ومن أهمها زيت الزيتون ، وزيت بذر القطن ، وزيت الذرة الصفراء . . . . ومن الناحية الكيميائية تتألف الزيوت من اتحاد مركبين كيميائيين هما : **الغليسرين ، والحموض الدسمة** . ويكون الخلاف بين الزيوت بنوعية الحموض الدسمة الداخلة في تركيبها . تعتبر فائدة الزيوت بالنسبة للإنسان أكثر من فائدة كل من الدهون والشحوم نظراً لما تحوي الزيوت على نوعية معينة من الحموض الدسمة ذات أهمية كبرى في التغذية .



السيللوز Cellulose :

يعتبر من منتجات العالم النباتي الهام في الطبيعة . يشكل السيللوز جميع الجدر الخلوية النباتية ، وبالتالي فإن جميع جذوع الأشجار ـ أي الأخشاب ـ عبارة عن مادة السيللوز . تتألف هذه المادة الكيميائية الكتيمة من ارتباط عدد كبير جداً من **سكر الجلوكوز** ، وذلك بواسطة روابط كيميائية معينة . وتكون جزيئات السيللوز متماسكة ومتينة جداً مما تعطي للنباتات صلابتها ومقاومتها للظروف الطبيعية . أما من **الناحية الغذائية** ، فالسيللوز لا يستفاد منه مطلقاً في القناة الهضمية ، نظراً لانعدام الأنزيمات المفككة له في العصارات الهضمية . ولكن هناك بعض الجراثيم المعدية تستطيع تفكيك السيللوز بصورة جزئية ، بينما القسم الأعظم منه يخرج مع البراز من الإنسان إلى الوسط الخارجي .



الشحوم Fats :

تعتبر الشحوم من منتجات العالم الحيواني ، ويستخدمها الإنسان في التغذية . ولكنه نظراً لارتفاع نسبة **الكوليسترول** فيها ، فإن استهلاكها يتضاءل . تتوضع الشحوم في مناطق مختلفة من جسم الكائن الحي ، وغالباً توجد في نسج خاصة تسمى بالنسج الشحمية التي تحيط بالبطن عند الإنسان والحيوانات الفقارية . إن عملية هضم الشحوم تشبه عملية هضم كل من الدهون والزيوت وذلك نظراً لتشابه هذه الفئات الثلاث في تركيبها الكيميائي . أما نواتج تفكك هذه الفئات الثلاث في القناة الهضمية فهي **الغليسرين** ، ومجموعة الحموض الدسمة التي تستطيع الجدر المعوية امتصاصها بطريقة تعتبر معقدة إلى حد ما .



الصفراء Bile :

يوجد في منطقة معينة على السطح الداخلي للكبد عند الإنسان والحيوانات الفقارية كيس (**حويصل**) ذو لون أخضر مصفر هو عبارة عن الكيس الصفراوي الذي تتجمع فيه عصارة الصفراء . وعن طريق قناة خاصة تصل بين هذا الكيس والمعي الدقيق ، تنتقل العصارة الصفراوية إلى الأمعاء لتنطرح من هناك إلى الوسط الخارجي . ولكن الصفراء ـ التي تعتبر مادة سامة بحد ذاتها إذا ما بقيت في الجسم ـ خلال مرورها عبر الأمعاء تقوم بوظيفة هامة جداً ، وهي إنجاز عملية هضم المواد الدسمة المختلفة إلى جانب الأنزيمات المتخصصة لهذه العملية . تحوي الصفراء في تركيبها ، بالإضافة إلى الماء ، على أملاح صفراوية تصطنع في الكبد (وهي التي تشترك في إنجاز عمليتي هضم وامتصاص المواد الدسمة) وأصبغة صفراوية هي عبارة عن نواتج تفكك خضاب الدم الأحمر ، وتحوي العصارة أيضاً على أملاح معدنية ومركبات أخرى .



الضغط الحلولي Osmotic Pressure :

لكل سائل من سوائل الجسم ، كالدم والعصارة الخلوية مثلاً ، ضغط حلولي معين ، يعتبر ضروري وهام جداً في المحافظة على حياة خلايا هذا الجسم بصورة طبيعية . وأهم العوامل المؤثرة على الضغط الحلولي هي تركيز العناصر المعدنية (كعناصر الصوديوم والبوتاسيوم والكلور . . .) . فعندما يتناقص الضغط الحلولي لبلازما الدم مثلاً ، فإن الغشاء المحيط بالكريات الحمراء يبدأ بالتمزق ، وبالعكس عندما ترتفع قيمة هذا الضغط عن حدها الطبيعي فإن الكريات تبدأ بالانكماش . وكلتا الحالتين ضرر بالغ الأثر على حياة الإنسان .



طلائع الأنزيمات Proenzymes (أو Enzymogenes) :

هناك عدد من **أنزيمات (خمائر)** العصارة الهاضمة ـ وبشكل خاص تلك التي تقوم بهضم البروتينات الغذائية ـ تصطنع من قبل الخلايا المتخصصة بصورة غير فعالة تسمى بطليعة الأنزيمات . وعندما تنتقل هذه إلى الوسط الذي ستعمل فيه تتحول بآلية خاصة إلى الشكل الفعال ، وبالتالي تبدأ بعملها . وعلى سبيل المثال نذكر **الأنزيم تريبسين Trypsin** المصطنع من قبل خلايا الغدة البنكرياسية بشكل غير فعال يسمى **بمولد التريبسين Trypsinogen** . يتحول هذا إلى الشكل الفعال (أي إلى التريبسين) مباشرة عندما يصل إلى الأمعاء مع **العصارة البنكرياسية** . فلو كان الأنزيم يصطنع مباشرة بصورة فعالة لقام فوراً بهضم بروتينات نسج الغدة البنكرياسية . ولكن هذا غير وارد عند الإنسان .



ظروف الوسط الخلوي In vivo :

في كثير من الدراسات البيولوجية تستخدم تجارب مخبرية في شروط تشبه إلى حد كبير الشروط السائدة داخل الوسط الخلوي ، وكذلك شروط الوسط التي تحيط بالخلايا . فمثلاً عندما يراد دراسة تفاعل كيميائي معين يجري داخل الخلية الكبدية ، يُعمد إلى إجراء مثل هذا التفاعل مخبرياً ، بحيث يؤمن له شروط مشابهة ، إلى حد كبير ، الظروف السائدة داخل وخارج **الخلية الكبدية** ، سواء من ضغط ، أو درجة حرارة ، أو تركيز بعض العناصر والمركبات الضرورية لحياة مثل هذه الخلايا .



العناصر المعدنية Elements :

اكتشف في الوقت الحاضر حوالي ١٠٠ عنصر كيميائي تدخل في تركيب القشرة الأرضية ، إلا أن هناك ٢٢ عنصراً منها تقريباً يدخل في تركيب الأحياء التي تعيش على سطح الكرة الأرضية . وهذه العناصر في

الأحياء لا تكون جميعها بنسبة واحدة، وإنما بنسب مختلفة. **فالكربون والهيدروجين والأوكسجين**... مثلاً تكون بنسبة عالية، بينما الزنك والحديد والكوبالت والنحاس... تكون بنسبة ضئيلة جداً. إن كل من الكربون والهيدروجين والآزوت والأوكسجين تستطيع الارتباط مع بعضها بعضاً لتشكل مركبات عضوية ذات أحجام مختلفة (كالسكاكر والدهنيات والبروتينات...) تبنى منها جميع الكائنات الحية.



الغليكوجين Glycogen :

يسمى هذا السكر المعقد أحياناً بالنشاء الحيواني نظراً لتواجده عند الحيوانات فقط. يوجد الغليكوجين في مكانين رئيسيين عند الإنسان، وهما: **الكبد** (بنسبة ٥ ــ ١٠٪)، **والعضلات** (بنسبة ١ ــ ٣٪). يعتبر الغليكوجين السكر الادخاري الرئيسي عند الإنسان. فجميع **الجلوكوز** (سكر العنب) ذو المنشأ الغذائي والممتص من قبل الأمعاء يحمله الدم إلى الكبد، وفي الخلايا الكبدية يتحول إلى غليكوجين الذي يدخر بشكل حبيبات ذات شكل مجهري معين. وعند الحاجة إلى السكر من قبل أعضاء الجسم المختلفة، يتفكك الغليكوجين من جديد ليعطي الجلوكوز الذي يحمله الدم إلى تلك الأعضاء، وهناك «يحترق» ليعطي الطاقة الضرورية لحياة الإنسان.



الفيتامينات Vitamins :

هي مجموعة المركبات الكيميائية التي يحتاج إليها الإنسان بكميات ضئيلة جداً وذلك لإنجاز الوظائف الحيوية الهامة. لا تستطيع عضوية الإنسان اصطناع الفيتامينات (مع وجود بعض الاستثناءات القليلة جداً)، بينما النباتات تصطنعها بسهولة من عناصر أولية. يعطى عادة للفيتامينات تسمية خاصة، وهي بعض الأحرف الهجائية الأوروبية. وأهم الفيتامينات المعروفة في الوقت الحاضر هي: A و D و E و K و Q و F (وهي مجموعة الفيتامينات المنحلة في الدسم) و B1 و B2 و B3 و PP و B6 و B12 و Bc ــ أو حمض الفوليك ــ و C و H (وهي مجموعة الفيتامينات المنحلة في الماء). أما وظيفة الفيتامينات في الجسم فهي معقدة وتختلف من فيتامين لآخر. **فمثلاً الفيتامين A**: ضروري لوظيفة العينين والرؤية، **والفتامين D**: ضروري لتشكل العظام، **والفيتامين E**: ضروري لإتمام الوظائف الجنسية التناسلية، **والفيتامين K**: ضروري لعملية تخثر الدم... وهكذا بالنسبة لباقي الفيتامينات.



القواعد الآزوتية Nitrogen basis :

يدخل في تركيب سلاسل الحموض النووية مركبات آزوتية المحتوى تسمى **بالقواعد الآزوتية**. فالحموض النووية ــ من الناحية الكيميائية ــ تتركب من مكونات أساسية ثلاثة هي: المجموعة السكرية والقاعدة الآزوتية وحمض الفوسفور. توجد خمس قواعد آزوتية تدخل في تركيب الحموض النووية، وهي كما يلي: **الأدينين Adenine**، **والغوانين Guanine**، **والسيتوزين Cytosine**، **واليوراسيل Uracil**، وأخيراً **التيمين Thymine**.



الكوليسترول Cholesterol :

يعتبر من المركبات الرئيسية الهامة الداخلة في تركيب الدم عند الإنسان. إن المحافظة على نسبة الكوليسترول الطبيعية (وهي ما بين ١٥٠ ــ ٢٥٠ ميلليغراماً في ١٠٠ ميللي ليتر) بصورة دائمة خلال حياة الإنسان تعتبر من الدلائل الجيدة على الصحة الجيدة. أما ارتفاع هذه النسبة عن حدها الطبيعي فيدل على وجود بعض الأمراض، **كتصلب الشرايين**، وهو أهمها، أو **اليرقان**، أو **مرض السكري**، أو **التهاب الكليتين**... وللكوليسترول أهمية كبرى في الجسم، فهو يصطنع في الكبد بصورة رئيسية اعتباراً من مركبات بسيطة متوفرة في الجسم. واعتباراً من الكوليسترول تصطنع بعض المركبات الهامة جداً كالهرمونات الجنسية (الذكرية والأنثوية) بكاملها وهرمونات القسم الخارجي **للغدد الكظرية**، وكذلك اعتباراً منه تصطنع الحموض الصفراوية الضرورية لإتمام عملية هضم المواد الدسمة في الأمعاء.



اللاكتوز Lactose :

يعتبر من السكاكر الداخلة في تركيب الحليب، ولذا غالباً يسمى **بسكر الحليب**. يعتبر اللاكتوز من المركبات الضرورية لحياة الأطفال الرضع. يصطنع هذا السكر في موقع رئيسي في الجسم وهي الغدد الثديية

وذلك اعتباراً من سكريين بسيطين متوفرين في الجسم وهما : **الجلوكوز** Glucose **والجالاكتوز Galactose** بطريقة تعتبر بحد ذاتها معقدة جداً ، ولكن خلايا هذه الغدد تقوم بهذه المهمة بسهولة كبيرة ، بينما يتطلب لتحقيقها صناعياً خبرات علمية واسعة وتجهيزات تكنولوجية معقدة .



المورثات Genes :

المورثات هي الوحدات المشكلة لجزيئات الحمض النووي الريبي المنقوص الأوكسجين المكون لكروموزومات نواة الخلية ، **وهي المسؤولة عن حمل ونقل الصفات الوراثية عبر الأجيال المتعاقبة** . ومن الناحية الوراثية يقال إن كل مورثة مسؤولة عن بروتين واحد (أو أنزيم واحد) معين . فخضاب الدم الأحمر مثلاً يشرف على عملية اصطناعه مورثة خاصة به لا تخطئ « مطلقاً » في انتقاء وتحديد الحموض الأمينية المستخدمة لاصطناع هذا البروتين . أما عدد المورثات في خلايا الكائنات الحية فيختلف من واحد لآخر . فالجراثيم تحوي في كروموزومها الوحيد على عدد محدود من المورثات ، بينما خلايا جسم الإنسان تحوي على ملايين منها .



النشاء Starch :

يصطنع النشاء في النباتات الخضراء ، وذلك كناتج أخير لعملية التركيب الضوئية . فخلايا هذه النباتات بفضل تكوينها الخاص ، تستطيع اصطناع النشاء اعتباراً من غاز **ثاني أوكسيد الكربون** (المنتشر في الهواء الخارجي) ، والماء الممتص بواسطة جذور النباتات وبتأثير **الأشعة الشمسية** . إن الذي يصطنع أولا هو **سكر الجلوكوز** الذي يتحول في مرحلة ثانية إلى نشاء يدخر في أعضاء متخصصة في النباتات ، كالحبوب والدرنات . . . إلخ . يعتبر النشاء ذو قيمة غذائية كبيرة في حياة الإنسان وذلك كمصدر للطاقة الحيوية .



الهرمونات Hormones :

هي مجموعة المركبات العضوية ذات الفعالية الحيوية الهامة في الجسم . فالهرمونات تصطنع من قبل أعضاء معينة ، وبكميات ضئيلة جداً ، تسمى **بالغدد الصماء** . وأهم الغدد الصانعة للهرمونات في جسم الإنسان هي : **الدرقية ، والدرقية الجانبية** (أو مجاورات الدرق) ، **والبنكرياسية والكظرية** (بقسميها الخارجي والداخلي) ، **والجنسية** (الذكرية والأنثوية) ، **والنخامية والصنوبرية** . ونتيجة لاضطرابات قد تحدث على عملية اصطناع الهرمون أو على الغدة الصانعة بحد ذاتها تنشأ أمراض في غاية الخطورة تعرف باسم أمراض الغدد الصماء . فعن طريق الهرمونات يتم تنظيم جميع الوظائف الحيوية القائمة في الجسم .



الوسائط Catalysts :

إن لكل تفاعل كيميائي يجري تحقيقه صناعياً أو مخبرياً ، لا بد من وجود مادة مساعدة ومسرعة لهذا التفاعل ، تعرف هذه المادة باسم « **الوسيط** » . وهكذا يعرف في الوقت الحاضر مجموعة من المركبات الكيميائية تستخدم لهذا الغرض . أما في الكائنات الحية ، وفي الإنسان ، فإن جريان التفاعلات الكيميائية لا تتم إلا بوجود وسائط تعرف باسم الأنزيمات (**الخمائر**) .



اليرقان Jaundice :

مرض يصيب الإنسان ، ويتميز باصطباغ جلده وعينيه باللون الأصفر الذي تزداد حدته أو تنقص بحسب شدة المرض . أما سبب هذا اللون الأصفر فهو ارتفاع نسبة الصباغ المعروف باسم **البيلي روبين** Bilirubin في الدم عن حده الطبيعي . فنسبته في الإنسان السليم لا تتجاوز ١ ملغ ٪ . يتشكل هذا الصبغ خلال عمليات تفكك الجزء الملون (المعروف باسم الهيم) لخضاب الدم الأحمر المشكل للكريات الحمراء . ويجب أن ينطرح البيلي روبين بصورة طبيعية مع العصارة الصفراوية إلى الوسط الخارجي . ولكن بسبب ما قد يطرأ في الجسم ؛ إما على عملية التفكك المذكورة ، وإما على احتباس الصفراء وصعوبة وصولها إلى الأمعاء ، وإما على وظيفة الخلايا الكبدية في إنتاج البيلي روبين ، تؤدي هذه إلى ارتفاع نسبة هذا الصبغ الأصفر في الدم ، وينشأ عنه نتيجة لذلك مرض اليرقان .





تراتيل

شعر: عبد المنعم الأنصاري



قلبك المترع بالخوف يئن
وعلى صدرك مسخ مطمئن
دونه جند وأعوان.. هم
أوجه في لون أحزانك دكن
وأنا.. لا بطل يرجى.. ولا
فارس ليس له في الهول قرن
ما أنا.. إلا مغن.. معرض
كاد من إعراضه المسخ يجن!
في دجى روحي توارت شعلة
واختفى في صمت أعماقي لحن

★ ★ ★

لا تقولي إنما صمتك جُبْن
فصدى لحن بأعماقي.. يرن
كنت أخفيه إلى موعده
وإليه الموعد الآتي يحن؟
ها أنا أوشك أن أمضي به
أكشف المسخ وما بات يكن
وأنا لا درع تحميني.. فهل
لي من قلبك لو أهرب حصن
وإذا مت فهل أدفن في
خفقة منك؟ وهل تدمع عين؟

★ ★ ★

من سيفديها، إذا كنا نضن
وهي ما زالت على النار تئن
أيها القادم من عرق الأسى
من لنا غيرك في المحنة عون؟

كشف المسخ لنا عن وجهه
وبدا الهول الذي أمسى يجن
فإذا الجنة نار.. وإذا
شاطئ الحلم الذي نرجوه سجن
قوتنا فيه لأوغاد بهم
نهم وهو من الأغراب دين
وأبيح العرض فيه.. وهوى
من بقايا صرحنا الشامخ ركن
أيها القادم.. ها نحن على
هضبات الرعب في أفقك نرنو
ولك النور الذي نعشقه
راية.. والريح من تحتك مَتن

★ ★ ★

همس عينيك على الشرفة لحن
لم تزل تدنو به الريح وتدنو
يوقظ الأموات من غشيتهم
يتغنون به والدهر أذن

★ ★ ★

حيث لا يورق في الأعماق غصن
من أمانينا كما كنا نظن
ثم لا يولد من أيامنا
فرح بكر ولا يشرق حزن
ونصلي العام والعام.. فلا
تنزل السلوى ولا يهبط من
ما الذي نرجوه بالصبر إذن
نحن أبناء الهوى الآثم.. نحن



الأنهار في قارة أميريكا الشمالية

النهـــر	الطـول بالكيلومتر
المسيسيبي	٦٣٥٦
ماكينزي	٤٠٢٢
يـوكــن	٣٢٠٠
كولومبيا	١٩٢٠
الكولورادو	
نلــسون	
سانت لورنس	
الريو جراند	٢٨٨٠

نهر المسيسيبي في أرقام وحقائق
نهر ميسوري في أرقام وحقائق

طول المسيسيبي إلى الفرع :	٢٠٥٠ كيلومتراً
طول المسيسيبي من الفرع إلى البحر :	١٩٣٠ كيلومتراً
طول المسيسيبي من منبعه إلى الدلتا :	٣٩٨٠ كيلومتراً
طول الميسوري إلى الفرع :	٤٣٧٠ كيلومتراً
طول الميسوري من منبعه إلى الدلتا :	٦٣٠٠ كيلومتر
العمق في المتوسط:	٣٠ ـ ٤٠ متراً
العـرض الأقصى :	٣ كيلومترات
مساحة الحوض :	٣,٢٧٥,٠٠٠ كيلومتر مربع
عـدد الأفـرع :	٢٥٠ فرعاً

أرقام إحصائية عن أنهار آسيا

النهـــر	الطول بالكيلومتر	مساحة حوض الأمطار بالكيلومتر
أوب	٥٣٠٠	٢,٩٤٧,٠٠٠



النهــــر	الطول بالكيلومتر	مساحة حوض الأمطار بالكيلومتر
ينيسـي	٤٣٠٠	٢,٥٩٢,٠٠٠
لينـا	٦٤٠٠	٢,٣٨٤,٠٠٠
آمـور	٤٤٨٠	
هوانج هو	٤٢٠٠	
يانج تسي كيانج	٥٥٥٢	١,٧٧٥,٠٠٠
ميكونـج	٤٥٠٠	
براهما بوترا	٢٩٠٠	
جـانـج	٢٧٠٠	
السـنـد	٣١٨٠	
الفـرات	٢٧٦٠	
الـدجـلة	٢٠٠٠	

جبـال آسيـا

أولا : مرتفعات الهيمالايا : طولها ٢٤٠٠ كيلومتر . ومن أعلى قممها :

إفرست :	٨٧٠١٦ متراً
دهاولاچيري :	٨٠٤٣ متراً
كافشنچونجا :	٨٤٤٣,٨ متراً
نانجاپاريات :	٧٩٩٨ متراً

ثانياً : مرتفعات الكاراكورام :

ك ٢ :	٨٦١١ متراً
جاشيريرم ١ :	٧٩٤١ متراً

الهضاب العالية في آسيا

هضبة الأناضـول : بين الجبال التي تحف بالبحر الأسود وطورس : تعلو فوق ٩٠٠ متر

هضبة إيران : « العجم » : تعلو فوق ٩٠٠ متر

هضبة التبت : « بين الهيمالايا وجبال كنلن » وهي أكبر وأعلى هضاب الأرض : تعلو فوق ٣٦٠٠ متر

هضبة جوبي : « وسط آسيا » : تعلو فوق ٩٠٠ متر



العيادة النفسية والاجتماعية

صراع داخلي

● القارئة (س . م . ع) من صنعاء ، تقول إنها تعاني من آلام جسمانية ، وإنها تناولت أدوية كثيرة ، وأجريت لها بعض العمليات الجراحية دون فائدة تذكر . وقد قيل لها إن حالتها نفسية ولم تقتنع بذلك .

وتقول إنها اختارت للزواج شخصاً مسناً ، وقد تمت خطبتها له عن رضا واقتناع ، وذكرت عنه أنه يلبي رغباتها مهما كانت ولا يرفض أي مطلب لها . وذكرت من تاريخ حياتها أن والدها كان قاسياً جداً مع والدتها ، وكان لا يأبه لرأيها .

●● بالنسبة لرجلك فكبر السن لا يتنافى مع الزواج ، ولكن يشترط أن يكون الزوج كفئاً من الناحية البدنية بحيث يكون قادراً على القيام بواجباته الطبيعية نحوك كزوجة . ويلزم أن يكون نزوله عند رأيك عن قناعة . أما إذا كان فارق السن كبيراً بحيث يعجز عن القيام بواجبه كزوج ، فإن زواجكما غير متكافئ ، والشرع يكفل لك حقوقك .. أما أنه يخضع لك بصورة مطلقة ليعوضك عن حقوقك الزوجية الطبيعية فهذه علاقة غير طبيعية .

والمعروف أن بعض السيدات يرغبن في الاقتران برجل ضعيف للسيطرة عليه ، ويتصورن أنهن بهذه السيطرة يحققن لأنفسهن حياة سعيدة ، وهو تصور خاطئ ، ويخالف لطبيعة العلاقة بين الزوجين .

وبالنسبة لحالتك ربما أثرت علاقة أبيك بأمك على نفسك بصورة جعلتك تختارين زوجاً مسناً ضعيفاً خوفاً من أن يحدث لك ما كان يحدث لأمك .

إن ما تعانين منه من آلام جسمانية ربما كان سببها ما تعانيه من صراع داخلي لا تودين البوح به .

يجب أن تكوني مع منطق الأمور وواقع الحياة ، وأن تتخلصي من آثار العلاقة بين أمك وأبيك .. ويجب أن تعرفي أن الزوج الضعيف والسلبي في كل المواقف لا يحقق السعادة لزوجته .. والحياة الزوجية عشرة تحكمها المودة والألفة والاحترام والتسامح .

يبحث عن مهدئات

● القارئ (ع . ع . م) من الخرج ـ السعودية ، يقول إنه يعاني من أرق بعد وفاة والدته ، وإنه يريد دواء منوماً ، ويجد صعوبة في ذلك ، فلا تصرف هذه الأدوية من الصيدليات إلا بوصفة طبية .. وذكر أن الطبيب النفسي قال إنه يلزمه علاج نفسي ويسأل لماذا التعقيد في صرف هذه الأدوية ، وهل العلاج النفسي سيعيد له والدته ؟ .

●● مسألة الاعتماد كلية على المهدئات لعلاج الأرق يحمل خطورة التعود عليها . وهذا سبب صعوبة صرفها من الصيدليات حماية للمواطنين .. وتصرف هذه الأدوية عادة تحت إشراف الأطباء لضمان استعمالها في الوقت المناسب ، وللمدة التي تلزم للعلاج ، لا أكثر ولا أقل حتى لا يتعود المريض على الدواء ، فلا يستطيع الإقلاع عنه . فهذه الأدوية سلاح ذو حدين ، وكما تفيد فائدة لا غنى عنها ، قد تضر ضرراً بالغاً . أما قولك بعدم اقتناعك بالعلاج النفسي ، فهذا يعني أن الوعي بالأمراض النفسية وعلاجها غير متوفر . ومن أهداف هذا الباب نشر هذا الوعي ، فالبعض يعتقد أن العلاج النفسي مجرد كلام لا فائدة منه ، وهو اعتقاد خاطئ لأن الكلام له تأثيره وخطورته على النفس البشرية .

فلو تعمدت القول لصديق لك إنك تلاحظ شحوب وجهه وكررت ذلك عدة أيام ستجد في حالات كثيرة أن وجهه قد شحب فعلاً ، وهذا بسبب تأثير إيحائك ، وقد يتردد على الأطباء ويجد بعضهم أثراً من نواتج التوتر الذي صار يعانيه ، كارتفاع الضغط ، وقد يصف له علاجاً ويطلب منه أبحاثاً طبية .

والعلاج والأبحاث تزيد من تأثير الإيحاء الأول ، وقد يدخل المريض في دوامة مرضية لا يستطيع الخروج منها خاصة إذا كان لديه الاستعداد النفسي لهذا الإيحاء .

وقولك إن العلاج النفسي لن يعيد والدتك صحيح ، ولكن حزنك الزائد عن الحد الطبيعي قد يعني حالة نفسية تحتاج للعلاج ، فقد تكون متعلقاً بوالدتك تعلقاً شديداً وتجد صعوبة في الحياة بدونها مما يجعل تدخل الطبيب النفسي

●● من أجل أن نزرع وردة في جفاف صحراء النفس .. ونرسم فجراً مشرقاً في مواجهة الظلمة والعتمة الداخلية والخارجية .. و نمد جسوراً من الآمال أمام النفوس المحبطة والمتشائمة والمعقدة اجتماعيا ونفسيا .

من أجل كل هذه الأهداف والمعاني الإنسانية النبيلة تطل مجلة « الفيصل » من خلال هذه النافذة « العيادة النفسية والاجتماعية » على قرائها أملاً في الإسهام بإيجاد الحلول الصادقة المخلصة لكل صاحب مشكلة نفسية او اجتماعية والله الموفق .

أمراً مهماً يساعدك على تجاوز حالتك .

ونكرر أن استعمال الأدوية المهدئة دون إشراف طبي له خطورته وخطره .. ويجب أن تعرف أن كل الدول المتحضرة لا تصرفها دون وصفة طبية .

حالة نفسية عضوية

● القارئ (ص . س) من عمان ـ الأردن يعاني منذ ستة شهور من أعراض متعددة منها الدوار، وتنميل اليدين وتقلص الأمعاء ، وقد تعاطى علاجات كثيرة دون فائدة تذكر . وأخذ بعض المهدئات بوصف طبيب نفسي، ولكن شعر معها بتعب أكثر . وذكر أن حياته خالية من كل ما يؤلم النفس ، وقد ناقشه الطبيب النفسي كثيراً لكنه لم يصل إلى أي سبب نفسي .

●● إن وصف الأعراض التي تشكو منها توحي بأنها نفسية . وبما أنك لا تعاني من أي مشكلة ، وأن الطبيب لم يصل إلى شيء من ذلك فهذا يرجع إلى أن حالتك نفسية ، من النوع الذي يعتمد العلاج فيه أساساً على الأدوية . ويبدو أن طبيبك النفسي قد أدرك ذلك . ويبدو أنك لا تتحمل بعض الأعراض الجانبية التي تصاحب بداية استعمال الأدوية النفسية ، ولم تنتظر نتيجة العلاج التي تتأخر بعض الوقت في بعض الحالات . ننصحك بالانتظام في العلاج ومراجعة طبيبك ، وإذا شعرت بما لا يريحك من الدواء فاستشره وسيوضح لك ما يفيدك . وننصحك بعدم تعجل نتيجة العلاج .

يفكر في الموت

● القارئ (أ . ب . ع) من بنها ـ مصر ، يقول إنه يشعر بخوف ، وإنه مشتت الفكر .. وعندما يكون جالساً مع أصدقائه تراوده فكرة أن أحدهم قد يموت ، ويحدث هذا مع أسرته . ويعاني من ضيق ويثور لأتفه الأسباب . ويشعر بألم في المعدة والجانب الأيسر من الصدر .. ولا يستطيع مقاومة الاندفاع لممارسة العادة السرية ، وهذا يؤدي إلى شعوره بالضعف والخمول . وذكر أن هذه الحالة بدأت عندما كان في الكفاءة (الثالثة الإعدادية) . وزادت منذ سنة بحيث تدنى معها مستواه الدراسي ، وساءت علاقته مع أسرته وأصدقائه . وأشار إلى قسوة والده عندما كان صغيراً ، إذ كان يضربه بشدة ويمنعه من اللعب مع أترابه . ورغم قسوة الوالد إلا أنه كان عنيداً متمرداً ودائم الشغب . وقد كان متفوقاً في الدراسة حتى بداية المرحلة الثانوية .

●● حالتك مجرد اضطراب نفسي يتميز بالخوف المرضي والاكتئاب والأعراض النفسية الجسمية .. ألم المعدة والجانب الأيسر من الصدر واضطراب السلوك .. ويرجع السبب في ذلك إلى قسوة والدك ظناً منه أن القسوة مفيدة في التربية ، وهو اعتقاد الكثير من الآباء على النمط القديم ، كما هو واضح من رسالتك أن هذه القسوة أدت إلى العكس ، فتمردت بدلا من أن تطيع ، ومع بداية المرحلة الثانوية ظهر تأثير فترة المراهقة عليك ، فالمراهق يحتاج أن يشعر به الآخرون ، وأن له قيمة ، ووزناً محسوسين . ولم تتسلح بشيء لذلك ، واستمر سلوكك الذي تعودت عليه في الصغر ، فساءت علاقاتك وانخفض مستواك الدراسي ، وبدأت تعاني نفسانياً .

والتفكير في الموت ناتج عن عدم وجود معنى الحياة وقيمتها فيما تشعر به ، فهي كالموت لكنك تريد الحياة رغم ذلك ، فأنت تسعى للشفاء ، واندفاعك للعادة السرية سببه أنك لا تجد لذة في الحياة فتسعى إلى بعضها من خلال هذه الممارسة . والإرهاق الذي تشعر به هو نتيجة للمعاناة النفسية لشعورك بالإثم والذنب لهذه العادة المستقبحة .

عليك أن تدرك أن أسلوبك في الحياة خاطئ ، فيجب أن تحقق ذاتك من خلال الاهتمام بالدراسة وحسن معاملة أفراد أسرتك وزملائك ، لا من خلال المشاغبات . فالمعاملة الحسنة تجلب لك رعاية الأسرة التي لا غنى لك عنها ، وتحبب الناس فيك وتدفعهم إلى تقديرك واحترامك . وسوف تجد أن الحياة ممتعة دون الهروب إلى وسائل غير مستحبة بحثاً عن المتعة ، وسوف تختفي الأعراض التي تشعرك بالتعاسة .

* * *

مناقشات

و تعليقات

الإنسان .. والجوع

أودّ بهذه المناسبة أن أشكركم على المقال المنشور بالعدد ٧٨ ، ص ٦٧ ، عن **الإنسان والجوع** بقلم الأخ **فتحي سلامة** ، وأودّ أن أعقّب على ما نشر عن هذا الموضوع الخطير لأن تشخيص الجوع بأنه نتيجة لندرة الغذاء والأرض ، كما قال كاتب المقال ، هو اتهام على مشكلات من صنع البشر .

ففي العالم يوجد على الأقل ٥٠٠ مليون من البشر ، سيئي التغذية أو جائعين ، وهذا الجوع يوجد في مواجهة الوفرة ، وهنا تكمن المشكلة .

ومن الطرق التي يمكن بها إثبات أن ندرة الأرض والغذاء ليست هي السبب الحقيقي للجوع ، توضيح أنّه لا توجد ندرة في أي منهما ، والطريقة الثانية هي شرح ما يسببه الجوع فعلاً ، وفي هذا التعقيب سنحاول أن نوضح الشيئين .

والأقوى بالقياس عالمياً ، يوجد الآن ما يكفي من الغذاء لكل فرد ، فالعالم ينتج كل يوم رطلين من الحبوب أي أكثر من ثلاثة آلاف سعر حراري وبروتين وفير لكل رجل وامرأة ، وطفل على الأرض[1] ، وهذا التقدير لثلاثة آلاف من السعرات ، وهي أكثر مما يستهلكه شخص من أوروبا الغربية لا يتضمن الأطعمة المغذية الأخرى العديدة التي يأكلها الناس من (البقول والجوز والفواكه ، والخضروات ، ومحاصيل الجذور ، ولحوم الحيوانات التي تتغذى بالأعشاب ، وهكذا) وعلى مستوى العالم ، فليس هناك أساس لفكرة أنه لا يوجد من الغذاء ما يكفي الجميع .

وفي بداية السبعينات برزت على الصعيد العالمي قضية الغذاء ، عندما تنبه العالم إلى مخاطر تزايد الفجوة بين معدلات الطلب على الغذاء ومعدلات إنتاجه ، وهي فجوة تعاني منها في المقام الأول أقطار العالم النامي ، وفي مقدمتها بطبيعة الحال جل أقطار الوطن العربي ، وقضية الغذاء في الواقع هي الجانب المؤثر من قضية الزراعة ، فلو واكبت الزراعة ـ أي الإنتاج الزراعي ـ التزايد في الطلب على هذا الإنتاج ، والناشئ أساساً عن تزايد السكان وتحسن مستوى معيشتهم لما كان هناك ما نسميه الآن بقضية الغذاء أو أزمة الغذاء .

وفي الأقطار العربية تزايد الطلب على الغذاء والمنتجات الزراعية بصورة حادة في السنوات الأخيرة ، وكان هذا نتيجة مباشرة وطبيعية لتزايد شديد في أعداد السكان مصحوب بتحسّن ملموس في مستويات معيشتهم ، ولكن على الجانب الآخر ظلّت الزراعة ـ معبراً عنها بما تنتجه من غذاء ومنتجات أخرى ـ على حالها ، أو في أحسن الظروف ، تزايد إنتاجها بمعدّلات متواضعة ، وذلك لأسباب عديدة تتلخص في أنها لم تلق الاهتمام الكافي ، فبعض الأقطار العربية كان يعتقد أن الغذاء متوفر ومتاح في السوق العالمي لكل من يريد الشراء ويستطيع دفع الثمن ، والبعض الآخر استهوته التنمية الصناعية إلى أبعد الحدود فانكمش بالتالي اهتمامه بالزراعة ، والكل بدون استثناء استغرقت منه قضية الأمن درءً لعدوان واقع فعلاً أو تحسباً لدفع تهديد وعدوان محتمل ، قدراً كبيراً من جهده وموارده . وهكذا نشأت الفجوة بين ما نحتاجه وما ننتجه من غذاء ومنتجات زراعية أخرى ، وهي فجوة تشير كل المعلومات المتاحة إلى أنها آخذة في الاتساع ما لم يبذل جهد مكثف ومنسق على مستوى الوطن العربي لتداركها ، خاصة أن الغذاء لم يعد مجرّد سلعة في السوق العالمي ، بل أصبح سلعة استراتيجية ، شأنه في ذلك شأن السلاح والنفط ، من يملكه يستطيع أن يؤثر على مقدرات من يحتاجه .

فيصل الرماني ـ تونس

الهوامش

(١) Calculated from, food and agriculture organization, production year books.

قلعة الجبل

اطلعت على الاستطلاع القيّم للموضوع الخاص بعنوان « **قلعة الجبل** » في العدد ٨٣ من مجلة « **الفيصل** » الغرّاء بقلم **الأستاذ عبد الغني محمد عبد الله** . لقد كان موضوعاً فريداً من نوعه ، حافلاً بالمعلومات الجيدة ، ومزداناً بالصور الجميلة ، والآن اسمحوا لي ببعض الملاحظات .

يقول الكاتب :

« وهناك بعض الأقوال التاريخية تقول إن رجلاً من الموصل ظهر في مدينة القاهرة فجأة ، وكان هو أول من أطلق الدعاء للخليفة العباسي على المنبر ، وتلك قصة لم يؤيدها بهاء الدين أو ابن الأثير ، وأرجعوا أمر الدّعاء نفسه إلى صلاح الدين » .

وإليكم تطور قطع الخطبة للخليفة الفاطمي وإطلاقها للخليفة العباسي على الشكل التالي :

يقول الأستاذ **قدري قلعجي** في كتابه (صلاح الدين الأيوبي) أو (قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) :

مناقشات وتعليقات

وفي يوم الجمعة من محرّم سنة ٥٦٧ هـ ـ ١٠ أيلول (سبتمبر) ١١٧١ م، ذهب نجم الدين أيوب ـ وهو والد صلاح الدين الأيوبي ـ ومعه جماعة من أصحابه إلى المسجد الجامع بالفسطاط واستدعى إليه خطيب المسجد، فقال له: «إن أنت ذكرت هذا المقيم بالقصر في خطبتك ضربت عنقك!» فشده الخطيب وعجب، ثم سأل: فلمن أخطب إذن؟ فقال نجم الدين: لمولانا الخليفة العباسي المستضيء بالله. وصعد الخطيب المنبر وقد استولت عليه الحيرة ونال منه الذعر، إنه إن أطاع أمر نجم الدين فلربما ثار به المصلون وقضوا عليه، وإن لم يطعه عرض نفسه للقتل، فألق خطبته مضطرباً مرتبكاً على غير عادة، وهو لا يدري ما يقول، وأخيراً هداه الموقف الشائك إلى أن دعا للأئمة المهديين ثم للسلطان الملك الناصر صلاح الدين.

ونزل فصلى بالناس وهو لا يكاد يتمالك نفسه من الخوف، فلما انفض الناس دعاه إليه نجم الدين وسأله (لِمَ لَمْ تفعل كما أمرت؟) فقال الخطيب معتذراً: «إنني لم أعرف اسم المستضيء ولا نعوته، فإذا علمتها دعوت له في الجمعة القادمة إن شاء الله»، وآثر نجم الدين العفو، وخرج فجمع في داره جماعة من الفقهاء وطلب إليهم أن يختاروا من بينهم واحداً يتولى الخطبة للخليفة العباسي في الجمعة القادمة، فتقدم منهم رجل موصليّ كفيف البصر اسمه الأمين العالم، وقال: «أنا لها أيها الأمير».

وقام الأمين العالم يوم الجمعة التالي بالخطبة للخليفة العباسي، وكتب بذلك إلى سائر البلاد المصرية، وقال ابن الأثير إن الناس قد قابلوا هذا الحديث بهدوء عجيب، «ولم ينتطح فيه عنزان».

علماً بأن الكاتب صاحب الموضوع المذكور قال إن ابن الأثير أنكر هذه القصة.

عبد الله حاج عبدو بن محمد

كفر صفرة ـ عفرين ـ سورية

استدراك وتصويب

أشكر من سويداء قلبي ذوي أمر المجلة على ما يقدمون لنا من بحوث مختلفة الأهداف معززة بصور كنت أتمنى رؤيتها، لكن هنالك أخطاء تتضمنها أعداد مجلتكم الموقرة التي تسعى في تجنبها. ومن هذه الأخطاء:

★ في العدد ١٨، صفحة ١٤٦، جاء في السطر ١٢ «حيث أن السجين لا يزال شاباً»، والصواب: هو أن تكسر همزة أن بعد حيث.

كما جاء في نفس العدد، الصفحة ١١٥ «.. حيث إن الشعر في الغالب ...».

★ وفي نفس العدد صفحة ١٥٨: «الأخ البطيوي محمد الناطور» «ولكن اسمها الناظور».

وفي العدد ٨١، صفحة ٨٣، جاء في عنوان كتاب «... vers le tiers mondes...»، والصواب أن يحذف حرف «s» لأنه يستعمل للجمع فقط، والكلمة جاءت مفردة، وفي ترجمة هذا العنوان «... إلى العام الثالث»، والصواب هو: «إلى العالم الثالث»!

★ أما في العدد الذي يليه في قصيدة رياض المعلوف خطأ لا يغتفر، اقتسمت مجلتكم الموقرة ذنبه مع الشاعر، كما يقول آخر:

إذا الأغنام في الفلوات ضاعت ... يظل الذنب في عنق الرعاة

يقول المعلوف:

وغصنك أرجوحة طير طروب ... طليق الجناح اعتراه الرفيف

وهذا الخطأ جاء عروضياً وتفعيلة البيت هي:

وغصـنك أرجـوحة طـير طـروب
فعول فعولن فعـولن فعـولن

طليـق الجنـاح اعـتراه الـرفيف
فعولن فعولن فعـولن فعـول

وهذا الخطأ هو إضافة متحرك لتفعيلة البحر المتقارب.

أصاف عبد الوهاب

مراكش ـ المغرب

● **المجلة:** نشكر للأخ (أصاف) أو (أحاف) كما جاء في رسالته، نشكر له ملاحظاته.. ونحن نتفق معك أن أغلب الأخطاء يشترك فيها الكاتب والمصحح والمطبعة.. فمن عادة أغلب الكتّاب كتابة موضوعاتهم بالخط، وبعض الخطوط يتعذر فك رموزها كما حصل في اسم القارئ (أصاف).. أما الأخطاء العلمية فيتحمل مسؤوليتها الشعراء والكتّاب.. ومن أجل هذا أفسحنا صفحات «مناقشات وتعليقات» لتعقيبات القراء إيماناً منا بأهمية النقاش.

أما التصحيف والتطبيع فهما آفة صحافة العصر، ورغم كل المحاولات المبذولة إلا أن ما يحدث ـ حتى لو كان نادراً ـ يجعل من هذه الأخطاء كأنها شر لا بد منه.. والكمال لله أيها الصديق الكريم.



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن امكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

السؤال الأول :

أين تقع مدينة « تنومة بني شهر » ، ولماذا سميت باسم « تنومة » ؟

السؤال الثاني :

في أية مناسبة استخدم القمر الصناعي لنقل وقائع هذه المناسبة بالصورة والصوت لأول مرة .. وما اسم القمر الصناعي الذي استخدم في هذا النقل ؟

السؤال الثالث :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لطف اللطائف ـ حسن المحاضرة .

السؤال الرابع :

أين يوجد المتحفان التاليان :

متحف المستقبل ـ متحف الأحياء المائية الذي أنشأه الأمير ألبرت الأول عام ١٨٩٩ م .

السؤال الخامس :

هل الخفافيش حيوانات أم طيور .. ولماذا ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٩٥)

الاسم : ------------------------------------
المهنة : ------------------------------------
العنوان : ------------------------------------

● أجوبة المسابقة (٨٨) ●

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :

ــ « الكتاب » : عمرو بن عثمان ، الملقب بـ « سيبويه » .

ــ « التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية » : حسن عبد الله آل الشيخ .

ــ « لجام الأقلام » : أبو تراب الظاهري .

ــ « منهاج الدكان ودستور الأعيان في تركيب الأدوية النافعة للأبدان » : أبو المنى داوود بن أبي النصر المعروف بـ « كوهين العطار » .

ج ٢ مساحة الماء في الكرة الأرضية هي (١٣٢٧) مليوناً من الكيلومترات المكعبة ، وهذه المساحة تغطي ٣/٤ مساحة الكرة الأرضية .

ج ٣ الاسم الحقيقي لنابغة في الموسيق ، جعل العود خمسة أوتار (وكانت من قبل أربعة أوتار) .. اشتهر ببغداد وقرطبة في أواخر القرن الأول ، وأوائل القرن الثاني الهجريين .. اخترع مضرب العود من قوادم الريش (وكان من قبل يصنع من الخشب) .. لقب باسم أحد الطيور المغردة .. الاسم الحقيقي لهذا النابغة هو « أبو الحسن علي بن نافع » وقد أطلق عليه « زرياب » لسواد لونه ، وفصاحة لسانه ، تشبيهاً له بطائر مغرد اسمه « زرياب » ، وتعني هذه الكلمة في اللغة الفارسية (ماء الذهب) ، وتنطق « زرآب » .

ج ٤ العالم الجغرافي الذي ينتهي نسبه إلى المظفر بن شاهنشاه ابن أخي صلاح الدين ، الذي ولد في دمشق عام ٦٧٢ هـ .. قاوم الصليبيين مع والده ، وساهم في الحملة على أرمينية .. تحالف مع المماليك .. عاصر الرحالة الأوروبي « ماركوبولو » .. اشتهر بكتابه « تقويم البلدان » الذي يشكل حلقة وصل بين الجغرافيا الأدبية والجغرافيا الرياضية . إنه أبو الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي .

ج ٥ يبلغ قطر الشمس نحو ٨٦٤,٠٠٠ ميل ، أي حوالي ١٠٩ مرات قدر قطر الأرض .. ويبلغ قطر القمر نحو ٢,١٦٠ ميلاً .

* * *

● نتيجة المسابقة (٨٨) ●

● فازت بالجائزة **الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخت **صفر خدوج** ، الدار البيضاء ــ المغرب .

● وفاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخ **عبد العزيز سعد الحراشي** ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخت **مها إبراهيم حافظ** ، الرميثية ــ الكويت .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من السودان ــ الخرطوم ، ص . ب ٤٤٣ ، الأخ محمد هارون أحمد .

● من الجزائر ــ المدية ، مدرسة الشيخ محمد بالجباس ، ذكور ، الأخ أحمد عثمانين .

● من البحرين ، الأخت أمينة عبد الرحيم محمود .

● من سورية ــ دمشق ، الأخت سعاد مصطفى جلال الدين .

● من مصر ــ بورسعيد ، الأخ محمد كامل أحمد أبو سعدة .

● من المملكة العربية السعودية ــ مكة المكرمة ، الأخ عدنان أحمد حسن كيفي .

● من أندونيسيا ــ جاوا الوسطى ، الأخت زهير الشارني .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من اليمن ــ صنعاء ، الأخ هزاع سيف سعيد .

● من الباكستان ــ السند ، الأخ حافظ محمد إبراهيم سومرو .

● من الأردن ــ عمّان ، الأخ محمود حسن محمد .

● من مصر ــ القاهرة ، الأخت راوية عبد العزيز فؤاد عفيفي .

● من العراق ــ بابل ، الأخ زاهد طاهر سعيد .

● من المملكة العربية السعودية ــ جدة ، الأخت صفية معتاد الخالدي .

● من المغرب ــ الدار البيضاء ، الأخ أحمد بنشريفة أحمد .

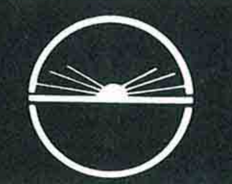
● من الإمارات العربية المتحدة ــ دبي ، الأخ محمد سعيد المسلماني .

● من سورية ــ دمشق ، الأخ محمد أسامة عرفة .

● من الجزائر ــ ولاية الجزائر ، الأخ حايد محمد .

* * *

كتب وردت الى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

قبرص المسلمة بين دعاة الحق وأعداء الإنسانية

تأليف الأستاذ **محمد صفوت السقا أميني، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقاً**. استعرض فيه الحقائق التاريخية حول كفاح مسلمي قبرص ضد اليونانيين القبارصة. يضم الكتاب العديد من الصور التي تبين مآسي الاعتداء على المسلمين القبارصة. يقع الكتاب في (٢٥٦) صفحة من القطع المتوسط، الناشر: **رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة**.

السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان

من إصدارات **شعبة البحوث والنشر بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم**. يضم دراسة من إعداد الأستاذ **حسن مكي محمد أحمد** حول الخطط التعليمية ومراحل انتشار الثقافة العربية والدين الإسلامي في **جنوب السودان** منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إلى الوقت الحاضر، مع استخلاص مقترحات وبدائل تهدف إلى تصحيح مسار حركة التعليم بجنوب السودان. يقع الكتاب في (١٢٠) صفحة من القطع المتوسط.

الإسلام والتربية الصحية

من إصدارات **مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض**، يشتمل على رسالة الدكتوراه التي قدمتها **الدكتورة عائدة عبد العظيم البنا**، حول التعريف بالتعاليم الصحية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية والسنَّة النبوية والهادفة أساساً إلى تنظيم أسلوب حياة المسلم وأثر تلك التعاليم القيمة في حل المشكلات الصحية في المجتمع. يقع الكتاب في (١٨٠) صفحة من القطع المتوسط.

العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه

تأليف الأستاذ **محمود شاكر**. تناول فيه كشف المخططات المختلفة التي ينتهجها أعداء الإسلام في صراعهم للسيطرة على المسلمين سواءً أكان ذلك سياسياً أم عسكرياً أم فكرياً أم خلافه. كما تناول دراسة مشكلات العالم الإسلامي الداخلية والخارجية مع استخلاص السبل الكفيلة بحلها وتوحيد الصفوف الإسلامية لمواجهة مخططات أعداء الإسلام. صدر الكتاب ضمن مطبوعات **المكتب الإسلامي ببيرت**، وهذه هي **الطبعة الثالثة** من الكتاب. يقع في (١٦٠) صفحة من القطع الصغير.

الموت في الفكر الغربي

تأليف **جاك شورون**، ترجمة **كامل يوسف حسين**، مراجعة وتقديم **الدكتور إمام عبد الفتاح إمام**. يتناول الكتاب دراسة آراء الفلاسفة الغربيين حول موضوع الموت منذ بداية التفكير الفلسفي في اليونان حتى الفلسفة الوجودية المعاصرة. صدر الكتاب ضمن **سلسلة «عالم المعرفة»** الثقافية الشهرية التي يصدرها **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت**. يقع الكتاب في (٣٥٢) صفحة من القطع الصغير.

الأسس الفكرية والعملية للاقتصاد الإسلامي

بحث من إعداد **الدكتور محمود محمد بابللي**. استعرض فيه الأسس الفكرية والعملية للاقتصاد الإسلامي من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية، مما يعكس دقة النظام الاقتصادي الإسلامي وتكامله بما يكفل استقرار العيش. يقع الكتاب في (١٥٦) صفحة من القطع المتوسط، ويعتبر باكورة **سلسلة «في الاقتصاد الإسلامي»** التي تصدرها **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

أضواء على تاريخ توران (تركستان)

تأليف السيد **عبد المؤمن السيد أكرم**، وتقديم الأستاذ **أحمد محمد جمال**. ألقى المؤلف الضوء على تاريخ إقليم توران المعروف حالياً بتركستان، مبيناً الحضارة العريقة لتلك البلاد ومن أنجبتهم من دعاة وعلماء أجلاء كان لهم دوراً كبيراً في نشر الإسلام. يقع الكتاب في (٢١٦) صفحة من القطع المتوسط. صدر عن **رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة**.

